اللـه

ο Ο ο

لـم تتفق الانسانية ، عبر تاريخها القديم والحديث ،على قضية خطيرة كما اتفقت على معضلة الله ، مـن حيث الجوهر لا من حيث الوجـود . ان الـذي يتصفح الاجيال الماضية ، منذ بداية الزمن الادمي ، لا يرى غبرة واحدة عطلت الايمان بالعلة الاولى . لقـد سلمت البشرية ، حالما ادركت لب كيانها ، بحتمية واجب الوجود . هذا الواجب ان يكون علـى رأس الخليقـة ؛مصدرا لها وغاية في الوقت نفسه ، هو بالواقع منبع كل الحضارات ، لدى الافراد والشعوب . هو ملتقى دروب الفكر الانساني كله . منذ اندفقت جميع مظاهر المدنيات في تاريخ الامم ، واليه ترد جميع مظاهرها الوجدانية .

اما التباينات التي حصلت وما زالـت ، بصـدد معضلة الله ، فهي من جهة وجود هذا الواجب الوجود ، اي من جهة كيفية المراسيم التي يتمظهر بها . منهم من جعله شخصا معينا كالانسان ، يتصـل بالكـون لـدى بعضهم ، ويترفع عنه لدى بعضهم الاخر . ومنهم مـن اذابه في الكائنات ، فاذا به قوة غامضة مفلوشة ، قد اندمجت بكل شيء .. هو الكائنات ذاتها ، والكائنـات هو ذاته ، ومنهم من الحد ، والالحاد على انواع . واحد ينكر وجوده في بدء من البحث عنه . وثان ينكر وجوده الفوقي ليحل محله وجودا تحتي . وثالث يعاند وجوده الروحي ذهابا من وجوده الروحي عينه . حول هـذه المراسيم في تحديد كيفيات وجوده ، تناحرت العقائد ، وتلونت ، فكانت الاديان المتنوعة بشكل طـوائف ... وكان الالحاد ايضا ، الذي هو ايمان به ؛ ولكن علـى طريقته الخاصة .. اي بصورة مقلوبة ، معكوسة .

الحق ان البشرية لا تستطيع ان تعيش بدونه . لكل دين اله ، وليس من شعب في التاريخ الا وله دين خاص به ، ولكل الحاد اله ، اذ الالحاد ايمان مبعوج . ان الله جوهرا كائن في اساس مطلق الحاد . وهذا يعني ان الالحاد نسبي . الالحاد التام ما كان ولن يكون . لم تعرفه الانسانية في الماضي ، ولن تعرفه في المستقبل . ذلك لانه يتناول الغاء شرشها الاول ، فتنتحر انتحارا جامعا ، وهذا مبطل لذاته اساسا . وما لنا الا ان نعود الى حياة الامم ، التي مرت على مسرح الوجود ، لنرى كيـف استطاعت ــ في الكثير من الحقب ــ ان تتخلـى عـن الفلسفة ، او الفن ، او العلم ، او الصناعة ، ولكنها لـم تستطع مرة ان تتخلى عن الايمان بالعلة الاولى . قد تكون هذه العلة المادة ذاتها . قد تكون بهذا الشكل الوجودي ، او بذاك ، او بذلك ... المهم انها كائنة من حيث الجوهر ، ولا كيان لشيء الا بكيانها .

من الخطأ الكبير الاعتقاد اذن اننا نعيش في عصر المادية ، أي في عصر الالحاد والعلوم الايجابيـة . هـذا الاعتقاد وهم فادح . ان العلوم ، حتى في اوج كمالها ، لا يمكنها ان تعالج معضلة الله . ونحن نؤكد ان العلم لم يستطع ، في يوم من الايام ، ان يثبت غياب العلـة الاولى . ونؤكد ايضا ان الانسانية لم تجابه في عصر من العصور معضلة الله ، دون ان تدري ، بالـزخم نفسـه الذي تجابهها عن طريقه في جيلنا الحالي . مساكين هم الذين يحددون هذا الجيل بجيل المادية . انـه الجيـل الاكثر استمرارا بالعقائد . والعقيدة حافة من حفافي الوجدان الانساني . العقيدة فوق العلـم ... فـوق موميائية ارقامه واشكاله ... فوق جـفاف براهينـه المحاسبة .

العقيدة رؤية مباشرة ، هي ضرب من المشاهدة الواضحة ، المتميزة ، التي لا يحتاج صاحبها الى ما او من يبرهن له انه في مجابهة صريحة . هي وجه لوجه توا . ولذا كانت ايمانا لا تدليلا او استنتاجا . كانت فـوق أسانيد الكم ، ومنطيق التحليل والتركيب . ومن هنا التماسها القوة في سبيل الذود عنها . العقيدة لا تدرك بهدوء . لا تنال بالجدل المسوس . العقيدة بنت العنف والقسر . بنت الاستشهاد ذهابا من الدم الطاهر . وهل حاربت الانسانية ، في يوم من الايام ، من اجل منطق ؟ من اجل عملية حسابية ؟ من اجل علم ايجابي ؟ اي مـن اجل ما يمكن الوصول اليه بالاستناد الى الارقام ؟ وهل انتشرت عقيدة الا عن طريق الصـراع ؟ وكلمـا ازدادت العقائد ازداد الصراع . الارقام لا تتطلب عقيدة ، اي ايمانا بها . الارقام هادئة ، ساكنة ، لانها من عند الجماد . العقيدة ما ورائية المصـدر والغاية . العقيـدة تقميش نجمي . والعقيدة سلم قيم غيبية . ادناها متصل جدا بأعلاها . واعلى العقائد هي الله . وهل الاجماع جوهرا حول الله الا الدليل الاكبر الى ان الشعوب تقوم اساسا على قاعدة واحدة ، اي الى انها تنبض بانسانية هي هي ، من حيث العين والذات والنفس ، في كل زمان ومكان ؟

كمـال يوسف الحـاج

نشأة الاطار الفكري لعلم الاجتماع الحديث

بقلم الدكتور محسن مهدي

✱

يقال ان مبشرا اجتمع بعيد الحرب الاخيرة مع زعيم قبيلة من آكلي لحوم البشر في مجاهل افريقيا . ولما كان المبشر لم يكن قد ذاق طعم اللحم البشري ، لم يتمكن من اثبات بشاعة أكله على اساس التجربة الشخصية ، فحاول ذم قتل الانسان لاخيه الانسان بوصف اهوال الحرب التي انتهى منها بنو وطنه منذ عهد قريب .

ولما وصل الى ذكر ان ثمانية عشر مليونا من البشر قتلوا خلال هذه الحرب ، لم يتمالك الزعيم ، الذي كان يتابع الحديث بشوق ، عن مقاطعة المبشر بسؤال شغل باله : وكيف تمكنتم من اكلهم جميعا ؟ ولم يثر فيه جواب المبشر ، الذي اعترض ان بني قومه لا يأكلون لحوم بني جنسهم ، الا التعجب والاستغراب والحيرة، فتساءل : لم قتلتموهم اذن؟

وان كان المبشر والزعيم قد افترقا وفي كل منهما نقمة على عمل مجتمع الاخر غير الانساني ومتهما اياه بقلة العقل او الدين او الادب ، فعالم الاجتماع الحديث لا يرى في شيء من هذا داعيا اما للاستغراب او للذم ، بل يرى ان الاستغراب من افكار مجتمع اخر سببه الجهل ، وذمه سببه التعصب الاعمى وعدم الاستنارة باخر الاكتشافات العلمية . واذا ما تساءل احد عن هذه الاكتشافات اجابه عالم الاجتماع انه قد « ثبت علميا » ان لكل مجتمع افكاره الخاصة به في الكون والعدالة والحق ، وان هذه الافكار توجد ضمن اطار اجتماعي تولده خصائص المجتمع الذي توجد فيه ، وهذا كل ما في الامر — اي ان المجتمع هو الذي يولد هذه الافكار ، ولا معنى لها الا بعلاقتها بالمجتمع الذي ولدها ، وكل محاولة لفهمها على اساس اخر ، اي على اساس انها صالحة او طالحة او صحيحة او خاطئة او مفيدة او مضرة ، ستؤدي بالانسان الى فرض مقاييس اخلاقية او دينية او فلسفية « مطلقة » ،وقد برهن علم الاجتماع انه لا مقاييس مطلقة وان كل مقياس هو في الواقع وليد مجتمع خاص وظروف اجتماعية معينة . فكل ما يعمله الانسان عند حكمه على افكار مجتمع غير مجتمعه هو انه يحكم عليه على اساس افكار مجتمعه هو ، أي ان كل حكم من هذا النوع مبني على وهم اساسي فضحه علم الاجتماع ، ويجب ان يتحرر منه النظر العلمي الموضوعي.

وعلم الاجتماع ليس وحده الذي يعتقد بهذه النظرة الى الامور ، بل سبقته وتعاصره علوم اجتماعية عدة ، بنى كل منها للفكر اطارا حبسه فيه ، ولم ير للفكر معنى الا ضمن هذا الاطار ، واعتقد ان الفكر ليس بقادر ابدا على التحرر منه . فالتاريخ يتحدث عن الاطار التاريخي للفكر ، والاقتصاد يتحدث عن الاطار الاقتصادي للفكر ، وعلم النفس يتحدث عن الاطار النفسي للفكر ، وهكذا .

ويعم اليوم الاعتقاد ان هذه النظرة الى الفكر الانساني غنية عن البيان ، ولا تحتاج الى برهان ، وانه ليس على الانسان الا ان يلقي نظرة موضوعية على الواقع الاجتماعي ليراها ظاهرة واضحة . ولكن هذا الاعتقاد في واقع الامر وهم باطل . وذلك لان هذه النظرة ذاتها تفرض اطارا فكريا يستوجب بدوره افتراض نظرة الى الوجود وافتراض عدد كبير من المبادىء التي لا هي جلية بينة، ولا هي في غنى عن البرهان — وهذه المبادىء لا يعرفها عادة كثير من الذين يعتنقون هذه النظرة ، ولذلك ينقصهم الوضوح في طبيعتها ومغزاها الحقيقي . ولمعرفة هذا الاطار وتلك المبادىء علينا ان نرجع الى اصلها التاريخي ، او الى كبار المفكرين الذين اوجدوها في القرن السابع عشر ، مثل ماكيافللي وهوبز وديكارت وسبينوزا ، ونفهم طبيعة ومغزى ثورتهم على الفكر القديم التي كان لها ابعد الاثر في تكوين الفكر الغربي الحديث عامة والفكر الاجتماعي خاصة .

البحث عن اطار الفكر معناه البحث عن حد الفكر وحدوده ، ولما كان الفكر هو ميزة الانسان ، فالبحث عن حدود الفكر يعني البحث عن حدود الانسان او حدود الانسانية ، وحدود الانسان او حدود الانسانية لا يمكن ان توضع دون معرفة ما هو فوق الانسان ، اي ما يقع وراء هذه الحدود وما يضع هذه الحدود . لذلك فكل بحث في اطار الفكر عامة ، او في الاطار الفكري لاي علم من العلوم — او ما يسمى بمنهج ذلك العلم — يؤدي بالناظر ضرورة الى مشكلة طبيعة الفكر وطبيعة الكون وصلة الفكر بالكون . وصفة كل علم تتوقف في النهاية على قبول او افتراض حل ما لهذه المشكلة وبناء منهجه وبحثه، ثم التوصل الى نتائجه ، على اساس هذا الحل . ولكن العلوم المختصة وان كان عليها ضرورة قبول حل ما لهذه المشكلة ، لا تقدر بذاتها حل هذه المشكلة ، اي البرهنة على ان الحل الذي تقبلته هو الحل الصحيح . وذلك لان موضوع كل علم مختص محدود بطبيعته ، وحل هذه المشكلة يعني اصدار الحكم البرهاني على الكل ، اي على موضوع اوسع من موضوع كل من العلوم المختصة .

لذلك نجد القدماء لما نظروا في هذا الامر وجدوا ان فهم طبيعة الكل هو غاية العلم باسمى معانيه او الفلسفة ، وان هذا العلم الاول هو الذي يبحث ويقترح الحلول لمشكلة طبيعة الفكر وطبيعة الكون وصلة الفكر بالكون . وان العلوم

الجزئية بدورها تأخذ نتائج هذا البحث مبادىء للبحث في مواضيعها الخاصة . وهكذا تكون العلوم الجزئية اقل رتبة من العلم الاول وتعتمد عليه لبرهنة مبادئها . وطبيعة الفكر ومنهج البحث العلمي من اختصاص العلم الاول الذي يعطي مبادئها ثم من اختصاص المنطق الذي يحدد منهج الفكر في البحث عامة ويقرر الطرق التيعليهالتمسك بها ليتجنب الخطأ في احكامه . ولذلك سمي المنطق آلة العلوم . ثم انه لما كانت لكل علم امور تخص موضوعه ومسائله ، كان من الضروري لكل علم ان يختار من بين قوانين المنطق العامة لكل العلوم ما يتلاءم وموضوعه ، وان يستنبط من هذهالقوانين العامةالقواعدالتي يحتاج اليهافي البحثعن موضوعهالخاص

هذا ولم يتحدث القدماء عادة عن اطار الفكر وانما عن طريق الفكر او آلة الفكر . وذلك لانهم كانوا يميلون الى الاعتقاد ، على قول ارسطو في كتاب النفس ، بأن « النفس هي جميع الاشياء » (٤٣١ ب ٢١) ، اي ان الانسان بقواه النفسية من حس وعقل قادر مبدئيا على تصور جميع الاشياء المحسوسة والمعقولة ، او انه لا يوجد شيء لا يقدر العقل بطبيعته ان يعرف كنهه : ان موضوع العقل هو الكون باسره او كل ما هو موجود . فالمشكلة عندهم لم تكن اذن البحث عن اطار الفكر او حدوده ، اذ ان اطار الفكر هو اطار الكون وكل ما هو موجود ، او انه لا اطار يحدد الفكر بما هو فكر . ولذلك فمشكلة الفكر هي بالاحرى مشكلة الطرق التي يجب ان يتبعها في بحثه عن ماهية الموجودات ، والقوانين التي يجب اتباعها في هذا البحث والتي تفرضها طبيعة الموجودات وطبيعة عملية التفكير التي تبغي الوصول الى احكام عن طبيعة الموجودات تطابق ماعليهالموجودات ذاتها .

وهذا يعني ان العالم الطبيعي وعالم الانسان معقول في جوهره ، وان توجه العقل الانساني نحو معرفة العالم كما هو ليس جريا وراء حلم جميل ورغبة غير مشروعة ، بل جزءا جوهريا من تركيبه وطبيعته ، وان محاولة العقل معرفة طبيعة الاشياء واسبابها اساسه ان للاشياء طبائع واسبابا — اي ان هناك توافقا بين العقل الانساني والعالم الخارجي . فاذا لزم مع هذاالتحدث عن اطار الفكرعند القدماء، فيجب القول ان للعقل عند القدماء اطارا طبيعيايعمل ضمنه

اما عند المحدثين فنجد عددا من العلوم الجزئية ، وخاصة العلوم الاجتماعية ، تقوم ببحث اطار الفكر وتحاول هي ذاتها حل مشكلة طبيعة الفكر والبرهنة على صحة حلها . فالتاريخ يحل المشكلة بالتوكيد بان الفكر الانساني باجمعه محدد باطار تاريخي يجري التفكير ضمنه ، ويحاول البرهنة على ذلك بالاشارة الى تبدل الافكار من عصر لاخر . والاقتصاد اكد في مرحلة من مراحله بان الفكر الانساني باجمعه يجري ضمن اطار اقتصادي ، وحاول البرهنة على ذلك بالاشارة الى اثر المصالح الطبقية في تكوين الافكار . وعلم الاجتماع يؤكد اليوم ان الفكر الانساني باجمعه يجري ضمن اطار اجتماعي ، ويحاول البرهنة على هذا بالاشارة الى اختلاف الافكار من مجتمع الى اخر ومن طبقة اجتماعية الى اخرى ، وهكذا .

ولا يمكن فهم مغزى مثل هذه التوكيدات قبل فهم الاسس التي بنيت عليها . واحسن طريق لفهم هذهالاسس هو مقارنتها بالاسس التي بنى عليها القدماء نظرتهم الى هذا الموضوع . فالعلوم الجزئية لم تكن عند القدماء بقادرة على البحث في اطار الفكر لان موضوعها جزئي وموضوع اطار الفكر كلي ، اما المحدثون فقد تغلبوا على هذه الصعوبة بتحويل موضوع العلم الجزئي في كل من العلوم الاجتماعية المذكورة الى موضوع ذي صفة كلية . فالتاريخ لم يعد ذلك البحث ذا الموضوع المحدود وهو اعمال الانسان الماضية عامة ، واعماله السياسية خاصة (فالتاريخ كان حتى العصر الحديث هو التاريخ السياسي) ، وغايته لم تعد معرفة الحوادث الماضية كما وقعت ! مما دعى ارسطو الى القول ان التاريخ اقل حظا من الفلسفة حتى من الشعر) ، بل اصبح موضوعه يشمل كل شيء انساني من سياسة واقتصاد وحضارة وعلوم وفلسفة ، واصبح يعتقد ان كل شيء هو في النهاية تاريخي ، اي يتبدل ويتقلب ، وان هذه التاريخية هي صفته الجوهرية ، وان غاية المعرفة الانسانية هي معرفة تاريخية كل شيء . والاقتصاد لم يعد ذلك الفن الوضيع الذي ينظر في تدبير المنزل ويخدم علم السياسة في تدبير الدولة ، بل اصبح كل شيء : فقيل ان الحياة الاقتصادية هي التي تؤدي الى تكوين الحياة السياسية والفنية والعلمية والفلسفية ونظرة الانسان الى الكون والمجتمع — ولما كانت كل هذه الاشياء ترجع في جوهرها الى التركيب الاقتصادي للمجتمع ، فغاية المعرفة الانسانية هي ان تعرف هذا الجوهر بارجاع هذه الاشياء الى اسسها الاقتصادية . وعلم الاجتماع لم يعد ذلك العلم العملي الذي كان يعرف بعلم السياسة وموضوعه حياة الانسانالاجتماعية وغايته مساعدة السياسي في تدبير المجتمع وتحسينه ، بل اصبح علما نظريا يؤكد ان الحياة الاجتماعية منها تنبع الحياة الاقتصادية والفنية والعلمية والفلسفية ونظرة الانسان الى الكون ، وان هذه ترجع في جوهرها الى تركيب المجتمع الذي تقع فيه (فهو يتحدث عن « اجتماعية المعرفة » مثلا) وان غاية المعرفة الانسانية هي ان تعرف هذا الجوهر بارجاع كل هذه الاشياء الى المجتمع الذي تقع فيه . كما ان ما يؤكده التاريخ والاقتصاد والاجتماع ليس فقط ان للفكر ارتباطا بالزمان او الحياة الاقتصادية او الحياة الاجتماعية ، فهذا شيء تافه عرفه كل من بلغ سن الرشد منذ بدء الخليقة ، بل ان العصر التاريخي او الحياة الاقتصادية او الحياة الاجتماعية تكون الاطار الذي يحد الفكر باجمعه ، وبذلك يكون الحد الذي يجبر الفكر على التفكير ضمنه ولا يتمكن ان يتعداه — انه مربوط دائما ضمن النطاق الذي تقرره له . هذا هو التوكيد الذي يعطي العلوم الاجتماعية الحديثة صفتها الخاصة ويفرقها عن الفكر الاجتماعي الذي سبقها باجمعه .

والعلوم الاجتماعية الحديثة ما كانت بقادرة على هذا القول لو انها لم تسلم بان رأي القدماء في ان العقل قادر مبدئيا على معرفة كل شيء هراء باطل . والعلوم الاجتماعية لم توجد هذه الثورة على الفكر القديم ، بل اوجدها التفكير الفلسفي في القرن السابع عشر . والتفكير الفلسفي في القرن السابع عشر بدأ حيث تبدأ كل فلسفة ، اي بدأ بالشك . ولكن بينما الفلسفة القديمة وجدت ان مذهب الشك يناقض نفسه وان المعرفة تعني التغلب التدريجي على الجهل ، وان الشك آلة مفيدة في الوصول الى المعرفة ، وقفت الفلسفة الحديثة عند مذهب الشك واعتقدت ان عدم وصول المفكرين طوال هذه العصور الى

اتفاق نهائي بخصوص مبادىء الكون ومبادىء الحياة الاجتماعية دليل قاطع على ان هذه المشاكل بطبيعتها لا تقبل ولن تقبل حلا نهائيا ، وان كل بحث عن هذه الحلول عبث باطل ، اي ان الفلسفة بمعناها الاصلي والقديم عبث

ولكن الثورة على الفكر القديم لم تكن غايتها اعتماد الشك كمذهب نهائي ، بل كانت مقدمة للوصول الى مذهب فلسفي جديد ينجح حيث فشلت الفلسفة القديمة . فقد قيل ان الفلسفة هي حب الحكمة والبحث عنها . ولكن الى متى سنبقى نحب الحكمة دون الوصول اليها ، ونبحث عنها دون ان نجدها ؟ واذا كانت ثلاثة الاف سنة لم تكف لنجاح هذا البحث ، فالظاهر اننا لن ننجح فيه منفردين او مجتمعين ، لا خلال فترة حياتنا ولا خلال حياة امتنا . ان هذا الحب ميئوس منه ، وهذا البحث لا طائل من ورائه ، وطريق القدماء لا فائدة منه . فما هو الطريق الذي سيؤدي حتما الى النجاح في ايجاد الحكمة وتحقيقها ، وما هو الطريق الذي سيقودنا اليها بالتأكيد ؟

الطريق هو ان نبدأ من اساس موثوق كليا ، اي من مبادىء لا يتطرق اليها الشك الذي منع حب الحكمة قديما من النجاح . ولكي نصل الى هذا الاساس ، علينا ان لا نقمع الشك او نبعده ، بل ان نتركه يلتهم كل ما يقدر عليه . وما سيتبقى بعد ذلك ، ما لم يقدر الشك عليه ، سيكون الاساس الذي سنبني عليه طريق تحقيق الحكمة .

والقرن السابع عشر وجد ان المعرفة التي صمدت حقا تجاه الشك ، وكانت انجح العلوم المعروفة ، هي الرياضيات . لذلك نجد كبار مفكري القرن يوغلون في ولعهم بها واحترامهم لها . ولكن الرياضيات لم تتمكن من الصمود تجاه الشك والحصول على نجاحها الذي اثار اعجاب الناس دون ان تمر بتحول اساسي تركت خلاله معناها واصولها القديمة وبدات بتفسير جديد لمعناها واصولها ادى اليه اكتشاف الجبر الحديث . فالاصل في الرياضيات لم يعد المطابقة بين الاعداد والخطوط والسطوح وما هو في الخارج بل وضع التعاريف ثم تركيب النتائج عليها ، اي ان عملية التفكير الرياضي اصبحت كلها خلقا ، وتركيبا نخلقه باختيارنا المطلق ، ومصدرها فكرنا وليست الاشياء الخارجية وغايتها ليست معرفة طبيعة الاشياء بل نجاح استخلاص النتائج بصورة برهانية من المقدمات التي وضعناها — فالغاية ليست في الاشياء بل في المعرفة ذاتها . وعلى هذا يمكن القول ان مفكري القرن السابع عشر استبدلوا الاطار الطبيعي للفكر باطار مصطنع هو من خلق الانسان ، وانهم وجدوا في هذا الاطار المصطنع الطريق الذي يضمن تحقيق الحكمة . وهذا التحول من الاطار الطبيعي للفكر الى الاطار المصطنع هو اساس الفلسفة الحديثة او العلم الحديث

واعتقد مفكرو القرن السابع عشر ان نجاح الرياضيات في عصرهم كان بسبب هذا التحول في اتجاهها ، وان نجاح باقي العلوم يتطلب تحويلها في هذا الاتجاه . وهكذا ستبنى الفلسفة الجديدة على نسق الرياضيات . وهذا الطريق سيؤدي حتما الى تحقيق الحكمة . ان الفلسفة القديمة ضلت لانها اعتقدت ان الفكر قادر على معرفة العالم الخارجي ، اما الفلسفة الجديدة فقد وجدت ان الانسان لا يعرف حقا الا ما يضعه فكره ويركبه عقليا ، وما يعمله بصورة شاعرة حرة . الانسان يعرف حقا ما يخلقه ، ما هو سببه الاول والاخير ، ما هو ليس بخارج عنه ، وما هو خاضع لارادته . او ان العقل لا يعقل العالم بل يعقل نفسه وما يضعه هو لا غير . هذه هي المعرفة التي ستقف امام الشك ، والتي هي الحكمة الموثوقة . وكل معرفة لشيء طبيعي او خارج عن العقل هي بالضرورة ناقصة . فالفيزياء مثلا ، يقينية الى الحد الذي هي فيه فيزياء رياضية ، وغير يقينية ، او كما يقول هوبز « افتراضية » ، الى الحد الذي تتحدث فيه عن شيء موضوعي .

ما معنى هذا التحول في النظر الى طبيعة العلم وما هي نتائجه؟ انه يعني ان العالم الخارجي غير معقول ، او على الاقل ان الاشياء الطبيعية غامضة وخفية عن العقل الانساني وان العقل الانساني لا يتمكن ان يعرف شيئا يقينيا عن العالم الخارجي وبالتالي عن موضوع ما اذا كان معقولا او غير معقول ، وانه لا اساس للاعتقاد بمعقولية العالم . والمعرفة اذن لا علاقة لها بطبيعة الاشياء ذاتها ، انها ليست شيئا طبيعيا ، ولا يوجد أي انسجام بين العقل والعالم الخارجي . وكل معرفة ادعت انها تمثل العالم الخارجي مشكوك في امرها . والمعرفة اليقينية معرفة مصطنعة ، يصنعها فكر الانسان . الانسان لا يعقل العالم او الطبيعة ، انه غريب عن الكون ، والعقل غريب عن الكون — ولكن هذا لا يقف حائلا امام تحقيق الحكمة ، بل بالعكس هو الذي سيؤدي الى تحقيق الحكمة . سنحقق الحكمة الان لاننا نعرف انها ليست اكثر من التركيب العقلي الاختياري الحر . والانسان الذي كان حب الحكمة يذكره دائما بصغره وقلة اهميته ، سيصبح ملكا خلى كل ما يعرف ، لان صنيعته ومخلوقه ، بل انه مجبر على ان يصبح ملكا لانه يملك ما يصنع ولا يشاركه فيه اخر . والانسان الذي عذبته الطبيعة التي حاول معرفة كنهها ، سيقهر الطبيعة وسيتسلط عليها ويستخدمها لاغراضه ، بالعلم الذي سيخلقه هو ولما كان هذا العلم الذي سيخلقه حرا لا حد له فلن يكون هناك حد لتسلطه على الطبيعة ولتسخيره لها . وبعد البحث غير المثمر عن الغاية في الطبيعة والكون ، عرف الان ان الغاية ليست في الطبيعة ولا في الكون ، بل في الانسان وفي المعرفة الانسانية . ومنشأ هذه الغاية حاجات الانسان ورغباته — وهذه هي المبدأ الاول والاخير ، انها المبدأ الاعلى الذي يؤدي الى كل ما يعمله الانسان ويعلمه ولذلك فالعلم الاول ليس علم مبادىء الاشياء الطبيعية ، بل علم الانسان — ان علم الاجتماع اكثر انواع العلوم اهمية والفلسفة الاجتماعية هي اهم اقسام الفلسفة على الاطلاق . وهكذا تم قلب نظام الكون ، واصبح المخلوق الضعيف ملكا وانتقل مركز الثقل من دراسة مبادىء الطبيعة الى دراسة الانسان .

لذلك اصبح لعلم الانسان والسياسة والمجتمع مركز عظيم الاهمية في تفكير القرن السابع عشر . ولكنه كان علما من طراز جديد وذا اطار جديد . فهو يشترك مع العلم النظري الجديد بانه اتخذ الرياضيات مثله الاعلى وحاول تطبيقها في علم المجتمع . ومعروف ان الذي دل هوبز على فلسفته السياسية الجديدة كان اكتشافه لاقليدس وتأثره بغاليليو ، كما ان محاولة سبينوزا لتركيب علم الاخلاق على شاكلة الرياضيات والهندسة معروفة من كتابه « الاخلاق » ولكن مقابل تحول اطار العلم النظري من الاطار الطبيعي الى الاطار المصطنع ، لم يخلق مفكرو القرن السابع عشر اطارا جديدا لعلم الاجتماع بل اخذوا اطار المفكرين القدماء وقلصوه

باهمال جزء اساسي منه . وسبب هذا التقليص يوازي السبب الذي دعاهم الى تحويل اطار الفكر النظري . فكما انهم هناك بحثوا عن الاطار الفكري الذي يضمن تحقيق الحكمة ، كذلك بحثوا هنا عن المعرفة العلمية اليقينية عن المجتمع الصحيح الذي يمكن تحقيقه بصورة اكيدة وبطرق علمية مؤكدة المفعول . وهذا دعاهم الى تركيز بحثهم في الانسان والمجتمع الانساني على ما هو عليه ـ كيف يعيش الانسان في الواقع ، وما هي الدوافع الواقعية التي تدفعه ، وما هي الاهداف الواقعية التي تصبو الى تحقيقها هذه الدوافع . ودعاهم الى البحث عن الاهداف « الواقعية » ، اي الاهداف الموجودة فعلا او التي يمكن تحقيقها بسهولة . وادى بهم الى اعتبار كل محاولة لمعرفة كمال الانسان ، وكل الميول الانسانية نحو معرفة حياة افضل من الحياة التي يعيشها عامة الناس عادة ، وتحقيق اهداف اسمى من اهدافهم « الواقعية » ، وكل محاولة لمعرفة غرض للحياة الانسانية ابعد من الاغراض الزائلة التي يحققها الانسان في هذه الدنيا ، على انها حلم جميل ولكنه جري وراء سراب . وذلك لانها تفرض غايات خارجية واهدافا طبيعية اسمى من الانسان والها وروحا ، وسندا كونيا لحياة الانسان ، بينما برهن العلم النظري اننا لا نعرف شيئا عن هذه الامور . فيحسن بعلم الاجتماع اذن ان يهمل كل هذه الامور وان يركز على دراسة المجتمع كما هو في الواقع لا غير . ولكي يتوصل الى نتائج تنطبق على جميع الافراد والمجتمعات ، عليه ان لا يهتم بالاحسن او بما تقدر عليه جماعات قليلة او متقدمة فقط ، او ما يقدر عليه خيار الناس ، بل ان يركز على ما يصح على الجميع بلا استثناء ، اي عليه ان يتوصل الى القاسم المشترك لجميع الناس . ولكن هذا القاسم المشترك هو بالضرورة ادنى ما في الانسان وليس اعلى ما فيه : وهكذا قرر ان الذي يدفع حياة الانسان ليست الغاية بل الاصل والسبب الفاعل ، ليس العقل بل الانفعالات والعواطف ، ليس حب تحقيق الفضائل الانسانية بل الخوف من الموت وحب البقاء واشباع الغرائز والشهوات .

وغاية المجتمع لم تعد كما كانت عند القدماء هي توفير الفرصة للانسان لتحقيق ما يمكن تحقيقه من الكمال الانساني ، بل اصبحت المحافظة على سلامة الافراد من الموت قسرا بيد الاخرين ، اي المسالمة ، ثم الوفاء بشروط العقود واهمها العقد الاجتماعي ، ثم فسح المجال للافراد للسير الحثيث نحو اشباع شهواتهم . والمجتمع الصحيح لم يعد المجتمع الذي تحقق فيه اعلى الغايات الانسانية بالاضافة الى غاياته الدنيا والضرورية ، بل الذي تحقق فيه الشهوات والحياة المريحة لا غير . فالحياة المريحة لم تعد واسطة لخدمة المعرفة مثلا . بل بالعكس اصبحت المعرفة واسطة في خدمة الحياة المريحة وفي خدمة شهوات الانسان . ولم يعد علم الاجتماع يهتم بمحاولة معرفة احسن انظمة الحكم او السياسة الفاضلة ، ولا بكيفية تحسين المتجمع للاقتراب من نظام الحكم هذا ، ولا بفن السياسة الذي يحتاج اليه الحاكم الناجح ، بل لم يعد يفرق بين نظم الحكم الحسنة والسيئة . وجرى وراء الهندسة الاجتماعية او محاولة خلق مجتمع جديد بطرق علمية مضمونة ، وتنظيمه بشكل تحل فيه جميع مشاكل الانسان . وهكذا اصبح علم الاجتماع ينظر الى الانسان كمادة يمكن درس خواصها بفهم انفعالاته وعواطفه ، وينظر الى نفسه بانه قادر على قهر طبيعة الانسان بحسن استعمال وتدبير هذه الانفعالات والعواطف . واصبح عالم الاجتماع كالمهندس الذي يريداصلاح ماكنة توقفت عن العمل ، فيستخدم طريقة « التفريق والجمع » ، كما سماها هوبز ، وذلك بحل اقسامها وتنظيفها وابعاد الشوائب التي تمنعها عن العمل ثم اعادة تركيبها من جديد لتقوم بعملها .

فعلم الاجتماع الجديد اعتقد اذن ان الذي يدفع الانسان ليس العقل بل الانفعالات والعواطف والشهوات . العقل عاجز امام الانفعالات ، انه شيء ثانوي ، والافكار اشياء ثانوية ضعيفة ، عاجزة . انها جميعها مشتقات ثانوية . اما الاشياء القوية الاولية الغالبة فهي الانفعالات والعواطف والشهوات ، انها هي التي تخلق الفكر وتدفع الفكر وتستخدم الفكر ـ انها الاطار الحقيقي للفكر . وقد فشل الفكر حتى الان لانه حاول ان يقف في وجه الانفعالات والعواطف والشهوات ، حاول ان يتسامى عليها ، حاول ان يكبتها ، حاول ان يقلل من اهميتها ، وحاول ان يستخدمها كآلات لتحقيق الفضائل . ولكن علم الاجتماع الجديد اراد ان ينجح حيث فشل الفكر في الماضي . ورأى الطريق المضمون لنجاحه في التعاون مع الانفعالات والعواطف والشهوات ، لا بل في خدمتها ـ في ان يصبح آلة لها : هذا هو الاطار الفكري الصحيح لعلم الاجتماع . ولكي يكون نجاحه تاما ، عليه ان يتفنن في الخدمة وعليه ان يصرف النظر عن كل ما يمنعه او يحيد به عن شهوات الانسان ـ ان عليه ان يحرر نفسه من جميع الافكار التي تعارض الشهوات . وسيتحرر منها عندما يعرفها على حقيقتها ، اي عندما يفضح امرها ويبين انها زور وبهتان . وهكذا يتوصل علم الاجتماع الى ان كل تفكير يدعى انه يريد الخير للانسان بالحد من شهواته لتحقيق فضائله التي تفوق تحقيق شهواته مرتبة ، هو في النهاية من خلق هذه الشهوات ، وان الحديث عن الفضائل الانسانية ليس اكثر من طريق ملتوية لتحقيق هذه الشهوات . هذه هي حالة الانسان الحقيقية . وعلينا ان نقابلها بشجاعة . واذا كانت الشهوات هي التي تولد الافكار وتكون اطارها ، فلنقبل بهذه الحقيقة الواقعة ولنخضع لها طائعين بدل ان نقسر على ذلك

ولكن علم الاجتماع اكتشف بعد ذلك ان من العبث التحدث عن حالة الانسان كانسان ، وان حالة الانسان تتبدل من عصر لعصر ومن امة لامة ومن طبقة لطبقة ومن فردلفرد ، وان ممايتبدل بتبدل حالة الانسان هو القوة النسبية للانفعالات والعواطف والشهوات والمثل والافكار والقيم ، وان هذا التبدل هو نتيجة تبدل الاطار التاريخي ـ الاجتماعي ـ الاقتصادي . ولما كان على علم الاجتماع ان يكون آلة مطيعة في خدمة تلك الناحية التي هي اقوى في الانسان تحت ظروف معينة ، فغاية علم الاجتماع ، والسيد الذي يخدمه ، وطريقته في الخدمة ، كلها ستتبدل من ظرف الى اخر . وبتعبير اخر ان الاطار الفكري لعلم الاجتماع سيتغير من ظرف الى اخر . انه متقلب متغير من عصر لعصر ومن امة لامة ومن طبقة لطبقة ومن فرد لفرد .

وعلم الاجتماع الحديث اعتقد ايضا انه توصل الى التخلص من الوهم الذي كان سبب فشل الدراسات الاجتماعية السابقة ، اي انه توصل الى فهم ان الفكر مرتبط باطار

اجتماعي ـ تاريخي ـ اقتصادي . ولكن علام يستند هذا الاعتقاد ؟ اذا صح ما يقوله علم الاجتماع ، يجب ان يكون هذا الاعتقاد نتيجة لحالتنا الاجتماعية ـ التاريخية ـ الاقتصادية . ولكن هذا شيء لا يمكن البرهنة عليه اولا ، ثم ان حالتنا الاجتماعية هذه ستتبدل وتحل محلها حالة اخرى تنتج اطارا اخر للفكر الاجتماعي . فنحن لا نعرف حقا فيما اذا كان اطارنا الفكري احسن من الاطارات السابقة ولا من الاطارات اللاحقة ، انه الاطار الذي فرضته علينا حالتنا الاجتماعية. ان اعتقادنا بافضليته ليس مستندا على معرفة عقلية جلية ، ان حالتنا الاجتماعية هي التي تفرض علينا هذا الاعتقاد ، ان هذا الاعتقاد ايمان اعمى وقسري يفرضه علينا القضاء على الرغم مما ندعيه ، بل هو اساس ما ندعيه ، من افضليته وعقلانيته ووضوحه وعدم حاجته الى البرهان . ولا يمكننا التخلص من هذا المأزق بالمزيد من الابحاث المنهجية وتكرار اصطلاحات كالمنهج العلمي والموضوعية وغيرها ، لانه ظهر ان هذه ليست الا محاولة لتغطية الفراغ الاساسي الذي يستقر عليه علم الاجتماع .

والطريق الصحيح للخروج من هذا المأزق هو اعادة النظر في المبادىء الاولية لهذا العلم من الاساس ، اي اعادة النظر فيما اذا كانت ثورة مفكري القرن السابع عشر على الاطار الطبيعي عند القدماء محقة ام لا . وهذا يتطلب فهم الفكر القديم فهما موضوعيا . ولكن علم الاجتماع الحديث غير قادر على الوصول الى مثل هذا الفهم لانه يفرض مقدما ان ذلك الفكر مبني على وهم لا اساس له ، ولذلك فهو لا يملك الدافع الصحيح لفهمه بصورة جدية . والواقع ان كل ما يقوله علم الاجتماع الحديث عن الفكر القديم تافه لا قيمة له . وعندما يصل علم الى مرحلة لم يعد فيها واثقا من صحة اسسه ولا يقدر على اعادة النظر فيها ، يتحتم على الذي يريد حتى فهم هذا العلم ذاته ، الخروج من اطاره الفكري والتحرر منه والتعالي عليه للتمكن من الحكم عليه. ولا ينفع في هذا المأزق الالتجاء الى علم جزئي اخر لحل مشاكل علم الاجتماع . وكل محاولة لانتشال علم الاجتماع اليوم باللجوء الى الفيزياء او علم الحياة او الرياضيات او علم النفس او التاريخ ستبوء بالفشل لا محالة .

وقد بدا العلم الوحيد الذي يقدر على هذا العمل ، وهو العلم الاول او الفلسفة ، يبحث هذه المشكلة فعلا ، وبلغ حدا كبيرا من الوضوح فيها ، وخاصة في المانيا في العقود الاخيرة . وهذا البحث بدا ينتشر حتى في الولايات المتحدة على ما عليه اكثر علماء الاجتماع هناك من الانشغال عنه بالابحاث التجريبية .

ونحن نبدأ اليوم تقليدا جديدا في دراسة المشاكل الاجتماعية أتينا به من الغرب . وامامنا طريقان : اما ان نبقى نقلة ومبشرين ملوءنا الثقة بصحة علم لم يعد في موطنه الاصلي يتمتع بهذه الثقة ، اذ اتضح من الدراسات التاريخية والفلسفية أنه يعتمد على تفضيل اعتباطي لمبادىء مشكوك في امرها ، واما ان نشارك في محاولة اعادة النظر في اسس هذا العلم لنكن على بينة من امرنا في ماهيته . والطريق الاول هو طريق التقليد الاعمى . والطريق الثاني هو الطريق الوحيد لوضع اساس مكين لهذا العلم .

بغداد محسن مهدي

فراغ

لا العطر يخصب خاطري ، لا الضوء ، لا الوترُ
وأصيدُ ... ماذا ؟ كل صيدي المرتجى صور
دكناء .. ساخرة .. بقحط الظنِّ تنفجر
اجترُّها طلتسم عمرٍ ملَّه الضجر

✶

لي موعد .. يا ليل .. عبر الآه .. ينتظر !

الى شقراء

تعبرين النسيان والجوع والخوف ووقع الندى وغمر الضياء
أي حلم امرعت في افقي النائي فأيقظت من جراح ابائي
احدجي فيَّ لن تري في محياي ظلالا من بسمة خضراء
كل عمري نثرته لاهيا بالظن فالظن اغنيات رجائي

نداء

زندنا أخضرُ
كدرب الاساطير ، كنيسان ، كالصباح الصبي
نحن جذع المجهول ينشق احلاما يتامى نحن ابتهال النبي
فتخطوا بنا الحدود الغبيات تخطوا موج الظلام الغبي
كعينٍ من الشمس ، كنبع ـ في ارضنا ـ طيّبٍ
وعدنا الخيِّرُ

حلب علي الزيبق

صـورتي

ه

مع الجنادب أنثني
في وحدتي أسمع لحناً
كان بالامس ثروتي
مع الغروب لوّن وحشتي
أحبُّ وحدتي أحبُّ وحشتي
والصورة على الحائط
ماذا تقول صورتي ؟
في الثانية كنت في الثانية
بنيت أنا وحدتي
بريشة وحشتي زهزهت جدرانها
قبّلت صورتي وأنا في الثانية
قبّلتها .. قبّلت منها العينين والجبين
رحت ألثم رمشاً برمشين
جفّت قبلتي
كأنَّ شفة أمي وأبي
ما قبّلتني يوم كنت
يوم كنت في الثانية
وهاتان العينان ماذا تقولان ؟
والذراعان الذابلان
رحت أخلع من صورتي اليدين

أغمرهما بين جانحيَّ
أشدُّ .. أشدُّ
أروي الصغيرة
أغسل وجه صورتي بالدموع
سرُّ عينيَّ وأنا في الثانية
عرفته .. عرفت غدي
عرفت أحلامي القاسية
يد أمي تهزُّ السرير
وحول السرير
صوتها المرير :
لو قطعت أوتار السرير !

. . . . . .

. . . . . .

صورتي وما بقي
ومن غدي
صورتي الصغيرة
وعينان كالينبوع
تغسلان سواد الليالي
وندم الثانية

ثريـا ملـحس

اراجون : شاعر المقاومة الشعبية

بقلم مرسي سعد الدين

o O o

ان وطني كالسفينة الشاردة
التي هجرها بحارتها
وانا في ذلك كالملك اذ خانه الحظ
فهجره الاصدقاء والخلان
ولكنه بقي ملكا على احزانه

هكذا بدأ اراجون احدى قطعه الشعرية التي كتبها أثناء الحرب العالمية الثانية كان هذا الشاعر الفرنسي يعرف تماما ان بلاده قد نخر فيها الفساد ، الفساد في أداة الحكم والفساد في الجيش والفساد بين افراد الشعب . وقد بدأ اراجون يتحقق من هذا قبل قيام الحرب بمدة طويلة حين كان يعمل رئيسا لتحرير جريدة « سي سوار » فكتب المقالات التي يعالج فيها ذلك الفساد الذي عم البلاد وكان من جراء ذلك انه اعتقل وسجن وعطلت جريدته واوعز الى الناشرين بعدم قبول كتبه .

ونشبت الحرب العالمية الثانية وظهر معها شعراؤها وكتابها كما يحدث دائما في الحروب وفي حركات النضال والمقاومة ، فما من حركة قومية ظهرت او حرب نشبت الا وتغنى بها وعنها الشعراء ونشرت حولها الكتب ولدينا الامثلة في الحرب العالمية الاولى والحرب الاسبانية والثورات العالمية ، وامامنا مثل حي في حربنا .

ويعد لويس اراجون بحق شاعر الحرب العالمية الثانية وشاعر المقاومة الشعبية في فرنسا . وتختلف اشعار اراجون عن اشعار غيره في انه استطاع ان ينسى نفسه في خضم المعركة ، فبينما نجد ان شعراء الحروب السابقة انما يكتبون عن تلك الحروب في علاقاتها بانفسهم فان اشعار اراجون تعد سجلا للعواطف الجماعية التي جاشت في صدور الشعوب المحتلة وممثلة في الشعب الفرنسي أن مهمة اراجون لم تنصب على كتابة الشعر فحسب بل تعدتها الى خلق مقاومة فكرية . وحقيقة انه اشترك اشتراكا فعليا في المقاومة المسلحة ولكن الدور الهام الذي قام به كان في تأييد الاقلام والافكار بين من تبقى من الفرنسيين الاحرار ، وفي مقاومة الدعاية النازية التي تشيعها حكومة فيشي الخائنة . وكانت مهمة تلك الدعاية القضاء على روح المقاومة بين الفرنسيين وعلى الثقافة الفرنسية . وقد عبأوا لها جميع وسائل الدعاية مثل الراديو والصحافة والكتب والمسرح والسينما . ولكي يفعل اراجون ذلك قام بتنظيم تام لحركة طباعة سرية في جميع انحاء فرنسا فانتشرت المطابع تنشر الجرائد والمجلات الادبية والنشرات والكتب .

وكان دور الشعراء في هذه المعركة اهم من اي دور اخر ، وحقيقة انه ظهرت مجموعة من الكتيبات والكتب والمسرحيات ولكن لا شك في ان حركة المقاومة كانت مبنية على الشعر والشعراء وانتجت حركة احياء شعرية واسعة النطاق . وسبب هذا هو ان الشاعر يستطيع في شعره ان يعبر عن عواطف واحاسيس لا يقدر الناثر ان يكتبها دون ان يتعرض للاخطاء كما ان قطع الشعر القصيرة يمكن سهولة تداولها من يد الى يد ويمكن ترديدها على الجماعات وبمعنى اصح يمكن للشعر ان يقوم بالدور الذي قام به في العصور الوسطى ، دور البطولة والفروسية . ونشر اراجون اشعاره وصارت تحفظ وتتغزل وتلحن وتنشد . وبدأ الكتاب يعرفون ان في استطاعتهم التعبير عما يحسون به في اشعار دون ان تمنع هذه الاشعار ، بدأوا يعرفون ان الشعب يقرأ الشعر ويحفظه عن ظهر قلب ويردده في كل مناسبة وتحول الناثرون الى كتابة الشعر وصار كتاب المسرح والقصة يقرضون الشعر حدثت نهضة شعرية ذات طابع سياسي وطني ويصف اراجون هذا الشعر فيقول « ان الشعر الجديد هو في الواقع حركة تآمر بين الكتاب والشعراء للتعبير عن الاراء الوطنية وترديد الاشياء التي لا يريدنا الاسياد ان نرددها » .

أحس اراجون منذ بدء الحرب ثم بعد سقوط فرنسا ان روح الفساد قد تغلغلت في صميم الحياة الفرنسية أحس ان فرنسا قد اهينت واذلت .

فرنسا تحت الاقدام كالسجادة البالية
فقد تضاءلت وانكمشت تحت وقع الاحذية

ولم يعد يشعر بأن هنالك ما يربطه بمن حوله سواء أكانوا من الالمان المعتدين او الفرنسيين المتعاونيين . وجاءت حكومة فيشي وحاولت ان تقنع الفرنسيين انها حكومة وطنية وانها سلمت وقامت بما قامت لصالح فرنسا ولكن اراجون وغيره من المفكرين الاحرار كانوا يعرفون عكس هذا وكتب اراجون يخلي نفسه من اية علاقة مع كلا الطرفين ، انه ليس منهم انه لا يزال بشر يحن الى الرغبات البشرية ويحس بالحب والحنين والرغبة كغيره من الادميين .

انصتي ، ضربات قلبي تناديك في سكون الليل
وعندما اتحسس سريري بحثا عنك تزول كل احزاني
فلا قيمة للحياة بدونك . انا لست واحد منهم
لست ملكا لهم لان جسدي ليس عجينا يقطع بالسكي
لست ملكا لهم لان النهر لا بد له من بحر يصب فيه
ولان حياتي في حاجة الى حياة صنوة لها
لست واحدا منهم ما دامت الظلال تظلل الاحياء
وما دام ضوء الشمس يغمر الاشجار
وما دامت الرياح تحمل البذور من شجرة الى اخرى
اني ملك لك انت فقط ـ اني ملك لك انت فقط

كان اراجون يكتب بكل بساطة وسهولة عن الاحساسات التي يحس بها الجنود والفرنسيون المفكرون الذين يرون فرنسا تنهار حربيا ومعنويا وخلقيا يرون الفساد يعبث فيها والعدو وقد قضى على روحها المعنوية . يرونها وقد هجرها قادتها وساستها وتركوها تتخبط من يد الى يد وكتب اراجون احدى قطعه عن هذه الناحية وقد استمدها من

مسرحية ريتشارد الثاني ومن احدى فقراتها التي تقول (قد تأخذون مجدي ودولتي ولكن لن تأخذوا احزاني فلا زلت ملكا على هذه الاحزان) :

الحياة الان مكر وخداع والرياح لن تجفف دموعي
والان يجب ان اكره ما كنت اعبد واعطي ما ليس ملكي
ولكني ما زلت ملكا على احزاني .
ان قلبي اوشك على التوقف ودمي اوشك على الجفاف
وانقلبت الاوضاع وتهاوت المعايير وسقطت الاقلام .
ولكني ما زلت ملكا على احزاني .
والسماء لا لون لها سواء عند الفجر او عند الغروب
والربيع وقد مات في حوانيت الزهور والوداع يا باريس
ولكني ما زلت ملكا على احزاني .

وقام اراجون بتكوين اللجنة القومية للكتاب وكان الفرض منها اشراك الكتاب والمفكرين في المعركة واصدرت اللجنة عن طريق مطابعها السرية نداءات موجهة الى الكتاب والمفكرين ومن امثلة هذه النداءات :

« في هذه الساعة الحاسمة لا يجب ان يبقى المفكرون بعيدا عن الصورة لما يحدث في بلادهم . فهل من الممكن انه في خلال هذه الاسابيع الحاسمة لا نسمع صوتا واحدا من المفكرين الفرنسيين ؟ ان الصمت يخيم على الجرائد والمجلات والراديو وهذا من شأنه ان يجعل شعبنا جاهلا فيما يقع من حوله من احداث . لقد اخفى العدو عنا اعمال الشجاعة التي قام بها اخوتنا كما اخفى الالام التي يقاسيها ابناؤنا . ان هذا السكوت هو جزء من خطة هتلر للقضاء على فرنسا والشعب الفرنسي ومهمتنا الان هي قطع هذا السكون بجميع الوسائل الممكنة اننا نستطيع ان نقول الحقيقة وبذلك نقضي على الدعاية النازية التي تنشرها حكومة فيشي القائمة . ان هذه هي مهمة كل من يعيش بفكره ، مهمة العلماء والفنانين والمشتغلين في المعامل والفنيين والاطباء والمحامين والمدرسين والفلاسفة مهمة كل هؤلاء الذين يستعملون عقولهم ايها المفكرون عبئوا هذه العقول لخدمة فرنسا . ان نشر ما يريد العدو اخفاءه يعد عملا حربيا وخلق الاداة التي يمكن بها التعبير عن ارائنا لا يقل اهمية عن احضار اسلحة لفرنسا . »

ونتيجة لهذه النداءات بدات حركة نشر واسعة النطاق سواء في داخل فرنسا في طريقة سرية او في خارجها في طريقة علنية وكانت مهمة اراجون هي في توصيل الطعام الى الناشرين سواء في الداخل او في الخارج فظهرت في سويسرا مجلة (كراسات الرون) وفي فرنسا بدات مجلة الشعر في نشر اشعار رجال المقاومة .

وحاول اراجون ان يعطي للكتاب الاخرين المثال الذي يحتذونه في الكتابة ضد الالمان وضد حكومة فيشي دون ان يتعرضوا للحبس والاعتقال . وجاءت تلك الاشعار بسيطة سلسة يستطيع الشعب حفظها عن ظهر قلب .

وقد ساعدت الحركة اراجون وغيره من الكتاب على استعادة العالم الحر الذي كان يعرفه ولو في الخيال وبدات الكلمات تأخذ معاني حقيقية ملموسة . كان اراجون كالمسافر الذي يعود الى قريته بعد رحلة طويلة ليرى عالمه قد تغير كل شيء فيه وان كان لا يزال كما هو . وهذا هو ما حدث مع الكتاب نتيجة للحرب التي خاضت مصر غمارها فقديما كانوا يتغنون بالوطنية والشجاعة دون ان يعرفوا معنى هاتين الكلمتين الا عن طريق الخيال كانوا يندون بالمستعمر والعدو دون ان يعرفوه عن قرب اما الان بعد ان مرت مصر في تجربة حقيقية فان كلماتهم اتخذت معاني جديدة محسوسة . ولذلك نجد ان اراجون استطاع ان يضع اكثر ارائه تعقيدا في اشعار سهلة في سهولة الاغاني بل انه كتب فعلا بعض الاغاني التي كان رجال المقاومة الشعبية يرددونها طول الوقت .

وكانت اشعار اراجون وغيره من شعراء المقاومة تنشر في هيئة نشرات توزع منها الاف من النسخ او كانت تطبع على بطاقات صغيرة تتداولها الايدي في الخفاء او كانت تشغل على طروف المفارش والاغطية كما تشغل الرسوم والزخارف .

ان قصة اراجون أثناء احتلال الالمان لفرنسا هي قصة المقاومة عن طريق تجارب فرد من الافراد وقد كتبها اراجون بالشعر فردد ما احس به الشعب المحتل وما يحس به أي شعب يقع تحت نير الظلم ومن ابدع القطع التي كتبها قطعة اسمها بعد عشرين عاما :

اننا نسير خلال البيوت التي اخليت دون سلاسل ودون تأوهات اننا اشباح تظهر عند الظهيرة اشباح من حياة كان الحب فيها معروفا فقد جئنا الان لنستعيد عاداتنا من حجرة النسيان بعد ان تركناها عشرين عاما

نحن الالف من المساجين نقوم بنفس الحركات ونعيش في زنزانات لا نحس فيها بالبرد او بالحر . هنا يتحدث الرجال بطريقة ميكانيكية لا حياة فيها ويتركون جانبا اغانيهم التي رددوها وكبرياءهم الذي فقدوه عشرون عاما مضت ولكننا صرنا في منتصف الحياة ندفع ما تاخر علينا ونراقب المجندين الذين كانوا اطفالا منذ عشرين عاما . بعد عشرين عاما نعود الى الاحلام لتقابل شبح تلك التي احببناها هناك حب واحد وعاطفة واحدة وامل واحد وحزن واحد لا تزال تشرق من بين ضباب شهر اكتوبر . واني لا زلت انتظر خطابا منها واعد الايام يا زوجتي العزيزة لقد نلت الحياة الجزء المؤلم منها والسنوات التي امتلات بالتفكير . والان قد ذهب هذا الجزء اختفى كحرف مكتوب في الرمال اختفى كعلامة على الحائط أزالتها الامطار . ان الرجل يتغير كما تتغير السحب في السماء .

ومررت بيديك على عيني وعلى جبهتي وحاولت ان تزيلي غضونها بلمسة سحرية ولكن اصابعك توقفت عند شعري الابيض ولم تستطع حراكا . اتعرفين الان ما اقصد يا حبيبتي لم يعد لي الاك والان في هذه الساعة الحزينة من افولي عندما افقد الخيط الذي يربطني بما اكتب وبالحياة نفسها وبالارادة للكلام فاني اريد ان اقول اني احبك ولكن الكلمات التي النطق بها بدون وجودك .

مرسي سعد الدين
القاهرة

زنابق من الاحلام

٥

وحدَكِ ؟ وحدكِ ؟...
يا لعتمةَ الدروب ! يا لوعورة المسالك ؟
الى أين ؟ الى أين ؟
هنا مدارجُ طفولتك ...
هنا ملاعبُ صباكِ ...
هنا مطاوي شبابك ...

الى أين ؟
تخدّش روحَكِ الظنون !
وتدمّي فؤادَكِ الضمائر
وتهدُّ أيمانَكِ الزعازع ؟

الى أين ؟
وللصخور تكشيرةُ الانياب ؟
وللافاعي سمومُ الفحيح ؟
وللاوكار دبيبُ التماسيح ؟...

الى أين ؟
وفي صدري أسرارُ الليل !
وفي قلبي ألغازُ الوجود !
وزهزهةُ الفجرِ كلّها في عينيَّ !...

... زندي ولن تضعفي
... يمينَكِ ولن تضلّي
ولنطوِ الدروب : دربا دربا
فالعتمةُ أقوى من الوحدة
... يمينَكِ
وملاعبُنا قبابٌ من المجد
نقطفُ النجوم ... حبّةً حبة ...
نرشّها على الدّنيا ... زنابق من الاحلام ...

موسى سليمان

في مقبرة جنوه

وقفت تزهو فوق احدى التلال ، وحيدة كالحكماء ، منطوية النفس في رفعة وجلال واطلت فوق «جنوه» تنظر الى مينائها الرحب وابنيتها الفاخرة، الى مصارفها وفنادقها .. وتميزت بمقابرها الحزينة عن البيوت الرائعة على طول الساحل وانقذت ذاتها من النشاط المنتظم ومن جميع مظاهر الثراء متجنبة هرج الاقوياء والسعداء .. ثم ظلت موسرة ثرية بما فيها من مساواة وطهارة ونقاء .. فسلطة الموت تنكر كل الوان العبودية وثراء التراب يجهل التمرد والكبرياء ، لان اصالة الحياة تبدو ازاء الفناء صريحة خالية من كل زيف . فقد عانق الصفاء انحاء ارضها الهادئة الصارمة وارتوى ثراها من عصارات القلوب المندثرة، ولكثرة ما مرت عليه مهج محترقة ، امسى متسامحا حانيا يكرم وفادة ساكنه بالعطف والترحاب .

فالموتى مخلدون هناك بتماثيل تحيي العين بحركات اجسادها واشارات ايديها وايماءات رؤوسها وطيات ثيابها، وهي متزنة الخطوط كان تركيبها لحن عذب يأسر القلب والعين معا ، وهي تصطف حول القبور بهيئاتها الضخمة المتناسقة لتشيد عالما قائما على اركان النحت وحده .

فليس من يذكر بان وراء كل قبر نفسا عاشت قصتها على هذه الارض ، وبانها انشات كونا صغيرا جديدا يختلف عن عوالم النفوس الاخرى ، وبان آلاف الادمعة والعيون والارواح تثوي بعيدا في اعماق الارض وقد انصهرت جميعها في قالب مهيب خادمة بذلك روح الفن والجمال .

فان التماثيل الناهضة على جانب الاروقة الخمسة عشر هي وحدها التي تحيا دون ان تدرك من السكون غير هدوء التأمل، حتى كان الالم لم يعد يسكن الضلوع الذاوية، ولم يبق الا الخلود ماثلا في هيكل الفن الكبير .

عاجزة حتى ردهات الوعظ عن ان تثير في القلب ما يثيره ذلك الرواق الصامت من يقظة ، وفي برهة تلخص تماثيله بمادتها وروحها معا ذات الانسان التائه الضال وتشرق في جنانه خشوعا ومهابة وشعورا روحيا عميقا .

فقد دفن موزعا في انحائها الزارع الذي كان يخرج الى الحقول ليسقي الاثمار ، والتاجر الذي كان يجلس الى مكتبه وروحه خاضعة الى ما كدس من مال ، والشاعر الذي كان يرى العالم سحابة من جمال ، ورقد القسيس والمخترع والميكانيكي والبحار ، ومن انفق السنين في تبصر العلوم ، ومن بدأ الحياة على الشاطىء تسطع فوقه نجوم الالهة ، ومن انقلب عاملا كادحا ومات نفورا ، وجميعهم اصبحوا كامنين خلف قانون الموت الذي مسح عن جباههم شهيق الانفاس وزفيرها ، فجللها الفن العظيم بالرفعة والحياة ، فلم يعد الفرد فيهم وحدة ولم يعد شخصا خالقا يبدع ثمرات الحياة ، انما يحسب بين الالاف التي هيمن عليها الفن عاصبا هاماتها باكاليل البهجة والظفر ، دافعا عنها ذلك الركود الذي تتأثر به جميع المقابر الخالية من يد الفن الحاذقة .

فليست هذه المقبرة بذائقة طعم الموت ما دام قلب الفن يتشرب روح الله دائما ويدفع القلب البشري بكل انسجامه الى تلمس الفردوس مؤكدا ان اصل الانسان في السماء . ان بين اولئك الراقدين من ضحك وبكى ، من احب وتألم ومن حرث وزرع وتكلم وقرأ الكتب ، ومن آلمه راسه ونبض قلبه ، لكنه مع هذا لم يترك وراءه أثرا يشير بانه عاش يوما ، وذلك لانه لم يرسم خطا واحدا في سجل الحقيقة المطلقة المتبلورة في قلب الفن وحده .

كيف ينتقش الظلام في تلك المقبرة الشاسعة ؟ ايقوم مهرجان التماثيل مشيعا في الفضاء آهات الموتى ، فتهرع ملائكة السماء الى الهضبة المجاورة محتضنة اعجوبة النقش على صلد الصخور ، محيية انامل الابداع التي كونت عالما زاخرا بالحركة والثبات هل ادركت الايدي العظيمة التي صاغت تلك التماثيل بانها حبست شطرا وفيرا من ارواح الموتى المثقلة بالضحك والبكاء والصمت والنطق ثم اطلقتها في تجاويف الصخر فنا وتعبيرا تتناقلهما الاجيال وتتأثر بهما النفوس الفنية ..؟ ان الزم مميزات الاجساد الحجرية المنتشرة بين القباب هي تلك الحركة النابضة التي تكاد تومىء الى ان الحياة المعاشة اضربت عن العمل هي الاخرى متماسكة متجمدة في ظل ما اشاعه الفن والموت من وقار .

ماكان اعظمها تلك الايدي العجيبة التي عكفت على حاجة الروح من الابداع ، فاختبرت كل لحظة وعاشتها وهي تعلم اثر الجد والاجتهاد في عمر قصير سريع العطب ، وكان كل ثنية من ثنايا الحجارة المنقوشة عظة تقول بان الانسان ضعيف ومدحور ما لم يتوج حياته بالعمل المبدع ، وبان الحياة مجدبة قحطاء ما لم تلونها اشعة الفن ، وبان هناك موتا معنويا يسبق الموت ويفوقه اذى وايلاما . يا لمعجزة اولئك الذين استطاعوا ان يجعلوا الصخر آدميا ثم يمهرونه من الروح ما يقرب من التنفس وينفثون في الروع تأثرا يبلغ حد التصوف .

يا لليد الماهرة التي انعشت الحجر ونقلت اليه روعة الروح وخفتها ، حتى كفت تلك التماثيل عن ان تظل حجرا، وبعثت اشعاعات ورؤى مليئة بالايحاءات والصور ، وبثت في القلب ما يذهله ويشعله .

كل تمثال فوق القبر الصامت ناطق بليغ يتكلم ووجهه مؤلف من ملامح لم تفسد، فتجويف العينين مكون على استقامة التعبير والمقلة تختلس نظرة من هنا ولمحة من هناك .. وقد يلتفت الراس كله او تومض بسمة نفاذة تهزأ بمعنى الموت والحياة جميعا .

كل تمثال صورة معادة عن اقصى ما يمكن للحركة ان تبلغه من حرية ، يجتاحها معا ذلك الهدوء المثالي الذي يبديها وكانها اشخاص اسطورة يؤدون رقصة دينية في كنف المعابد .

وراء كل تمثال نغمة من نغمات حياتنا العميقة نسمعها مغتبطين لانها تروي فرحتنا وشكوانا وتشف عن احزاننا واحلامنا على اشد الاشكال عفوية واصالة .

هنالك في المقبرة الخالدة .. احتجت انسانيتنا على فقدان الروح الفنية في بلادنا ... هنالك حيث الموت في ظلال التماثيل نوع من الحياة ، حيث الرقدة الجليلة تداني النوم ارتياحا .. فكيف نجعل الفن لدينا غريزة ليكون لنا الموت بعد ذلك نصرا مؤزرا ؟ ؟

دمشق

هبة الوادي

قصة سورية

بقلم علي بدور

العسل المصفى

ooo

حياة الناس في هذه الدنيا، مثل الفيوم، مرة تكون رقيقة بيضاء ومرة تكون سوداء عابسة ولا بد من ان ينعكس ظلها على الارض، فتحيلها بين بياضها هذا، وسوادها ذاك، دنيا قلقة لا تستقر على حال. ولعل العنف والصخب يصيبان اكثر ما يصيبان من البشر، عواطفهم واحساساتهم وتأثراتهم الوجدانية الرقيقة، حتى اذا لعبت بها لعب الريح بالقيثارة، تركتها في حال يائسة، ومست شغاف القلوب اصداء مؤلمة من حاضر تعس تناهبته الايام، ومستقبل مخبأ بين طيات الغيوب.

كانت سميرة تحدثني بذلك كله، أثر لقائنا الثالث في الجامعة، منذ عامين، حتى خيل الي ان وراء هذه العيون التي تظل ساهمة في الافق الذي تحجبه ذرى قاسيون المطلة على دمشق، كل ما في اعماق المرأة من اسرار تحرص على ان تواريها التراب لتموت، اذا كانت في شك من قدرتها على الاحتفاظ بها لذاتها.

وكان نحولها ينم عن مدى الظلم الذي تحيقه افكار هذه الفتاة الرقيقة واحساساتها بجسدها، حتى ان الخوف من الحياة الحرة التي كانت تتطلبها البيئة الجامعية كان يأكل منها، ما يكفي لان يبقى حيا. وكانت تدفع من شبابها فداء ذلك كله.

هي دائما مستغرقة سابحة في خيالاتها، قد تطوف الارض كلها، وهي تحدق فيك بعينين واسعتين جميلتين، وصافيتين ايضا. كانت لا تتأخر عن موعد الدرس في الغالب واذا تأخرت، فتحت الباب، وللباب صرير قاس وكان زملاؤها الطلاب وزميلاتها لا يسمعون لاقدامها وقعا، فهي تتسلل ببطء وبخفة كأنها انتعلت خفا من شرانق الحرير اللينة. وكان كل ما فيها يبعث على التفكير والبحث ولكنها كانت الى جانب اثارتها هذه

الافكار وتلك التساؤلات لدى الزملاء، ليست محل عنايتهم، فالمشكلة التي تشق على الانسان، فلا يجد لها حلا، تبدو امامه مشكلة، ولكنها مشكلة مهملة. وكان هذا الاهمال يثير في نفسها الشجن، حتى كان يخيل الي، عندما تحدثني عن انطباعاتها الجديدة في الجامعة، انها تريد اشياء لاتستطيع تحديدها. وكانت هذه الافكار القلقة في رأسها اشبه بنار تذيب اعضاءها وجوارحها، حتى اقلها حساسية.

كنا نتفرغ في بعض الايام لان نمضي معا في حديث متشعب يبدأ بالطقس وينتهي عنه. وكان قدح الشاي الذي نتناوله في النادي يبعث في اوصالها الدفء، وكان يخيل الي انه كان يبعث في قلبها الصقيع، فهي كانت تتأمل وجوه زميلاتها، وهن جالسات الى زملائهن، يعبثن العبث البريء، واحيانا يتعاطين احاديث فيها من الغزل نسبة ضئيلة ولكنها كافية لان توردمنهن الوجنات وتبعث في العيون اشراقات خفيفة، تعبر عن امنيات بيض وحمر ومن كل الالوان.

كنت امزح معها كثيرا واحيانا ما كنت اخلط بين اسمها واسم اميرة شقيقتي التوأم. كانت اميرة تشبه سميرة الى حد كبير. كانت تشبهها في الشعر الاشقر الذي كانت تحيله الى ضفائر ذهبية مسترسلة على ظهرها في تيه، وكانت تشبهها في وجهها المستدير، وعينيها الزرقاوين وانفها الدقيق. وفي كل مايستدعي الاعتقاد بانهما شقيقتان ولدتا معا من جوف واحد.. ولكن سميرة تلك الصديقة الطيبة، لم تكن تعتقد بصحة هذا المزاح الدقيق الذي كان يدعوها لان تمضي في الاعتقاد ولو ببطء، بوجود فتاة اخرى على شاكلتها.

عندما اتت شقيقتي اميرة بصحبة والدتي لزيارتي في الجامعة كانت تتعرض لمضايقات عدة، ولكنني كنت ادعوها للصبر. كان الزملاء يحيونها مرددين:

– صباح الخير يا سميرة.. كيف الصحة يا سميرة..

حتى الزميلات.. كن كذلك، وكانت شقيقتي تضحك.. وتضحك بشدة عندما التقت بسميرة. كانت سميرة في دهش انها وجدت في شقيقتي صورتها التي تعادلها نقاء وكذلك الصديقة الوفية بحيث كانت هذه الصداقة سهلة الوقوع لان كلا منهما لم تكن تتكلف في هذه الصداقة ان الانسان في مثل هذه الحالة لا يتطلب منه الا ان يتعرف الى نفسه. الى جسده المائل.. الى نفسه التي انشطرت شطرين متساويين في لحظة لم تعها ساعة الزمن، وقد اسرت كل منهما للاخرى بما في صدرها من احلام وآمال.. بحيث استطاعت شقيقتي ان توجز لي في تعريفها لسميرة كما عرفتها:

– انها يا اخي فتاة طيبة. واملي كبير في ان تكون حيالها الصديق الوفي.

خلفت شقيقتي في سفرها ما تخلفه السحابة الممطرة من خير في الارض العطشى، اذ ان هذا الاسبوع كان كافيا لترويض هذه الانسانة القلقة، واشاعة البهجة في نفسها، حتى انها اخذت تحبوني بثقتها واخلاصها، وتحل الانس بيني وبينها في كل جلسة عارضة في حديقة الجامعة. وقد حاولت كثيرا ان يتلقاها قلبي الى ان افلحت. فكان دخولها فيه وقورا يدل على تعقل ورصانة لا حد لهما، فلم يكن دخولا نزقا فرضته شهوة عارمة، او مناسبة خاطفة استعر فيها الدم.. ثم لم يلبث ان هدأ.. لقد كان بطيئا وعميقا ايضا. وكان هذا العمق وحده يخيفني. ان الاشجار الكبيرة وحدها الثابتة امام الاعاصير. ففي الارض

تغور جذور متينة قد تشعبت ، والاشجار الصغيرة هي التي تستهين بها الرياح فتقلعها . وكنت اخاف من هذا الود العميق الرصين ، ذلك الذي يتوشج بالاعصاب والحنايا ، توشجا صارما ، ويكون من العبث بعد ان يفكر الانسان بامكان التخلي عنه

كانت سميرة تفهم الحب انه عاطفة كريمة وشعور انساني يتطلب توترا عاليا من الفهم العميق لقلب الانسان. وكانت ترى ان الحب دواء للمرضى والاصحاء على السواء . وانه اكسير الحياة الذي لا بد منه لمن اراد الحياة. وكانت عندها الجلسة الهادئة البعيدة عن الصخب والحديث الذي يدور عن الدروس والاستعداد لها ، وعن الرفقاء والاصحاب وعن الاساتذة والعمداء ، ان ذلك كله كان عندها الحب في صميمه . هي لم تكن تفهم ان الغزل المباشر من عناصر الحب . هي كانت تسر وتجذل وتتورد منها الوجنتان ويفيض من عينيها شعاع دافىء يغري بالاصطلاء في ايام الشتاء عندما كنا نجلس على العشب ، ونظل صامتين قدر ساعة من زمان عجول. كان يحيرني فيها هذا الاتجاه في فهم معنى الحب . وان كنت غير مستعد لان اقودها في الطريق الذي يسلكه كل الاحياء ، ليعودوا ، منه بعد كل جولة بوفر من المسرة والهناء .

احاديثها المتناهية في الصراحة عن الحياة السعيدة التي يمكن لنا ان نقضيها بقرب اميرة في بيتنا بعد تخرجنا المشترك ، كانت لا تنقطع بل كانت تعود جديدة فيها من الحاضر رؤاه ومن المستقبل عبيره ، وكان النماع اسنانها الصغيرة اثر كل ابتسامة حالمة ، كافيا لان يشق حجب الاعوام القادمة ، منيرا ظلماتها، ومنيرا معها ، قلبي المظلم الذي اوشك ان تشرق فيه شمس الضحى بهية، فتية

وكانت اميرة ما تفتأ على اتصال ، معنا انا وسميرة برسائلها التي تفيض شوقا لاخيها ولصديقة اخيها. وكانت هذه الرسائل نصف الاسبوعية المتلاحقة بمثابة جسور نعبرها انا وسميرة ، علنا نصل الطريق المفضي الى جنتنا .. جنة الحياة الزوجية. ولعل شقيقتي كانت توصي سميرة بي في رسائلها الخاصة اليها .. اذ كنت الحظ ان سميرة تحاول ان تفيض عن نفسها لمرضاتي ، وكانت مرضاتي سهلة ولم يكن زادها يتعدى الابتسامة الرقيقة والرضا الوافر بالوقوف للتحدث معا ، احاديث الاصدقاء .. واحاديث المستقبل .. عن العائلة والاولاد ، واصول التربية التي يجب اعتمادها في ذلك كله ، وكان الامر لا يخلو من سذاجة وطرافة مع اغراق في البراءة والطهر .

ولكن ذلك كله لم يكن ليكفي لان اكون كامل السعادة . فقد كنت اتعذب في عواطفي كثيرا . اذ كانت سميرة لا تسمح لنفسها بان تتهاون في ضبط عواطفها ضبطا دقيقا. فهي كانت تؤجل البحث في الحب وممارسته كما يعرفه الناس وكما يمارسونه الى ما بعد التخرج من الجامعة . كان المزاح الذي يبدا باللمس ، شيئا مكروها لديها. وكانت القبلة ، فاكهة محرمة على امثالنا .

وكانت النظرة التي تصعد دم الجسد كله الى الوجه ، اثارة ليست جديرة بفتاة جامعية تود المحافظة على سمعتها العطرة بين زميلاتها وزملائها ، وكذلك لدى من عرفت من الاساتذة . وكان علي ان اتجنب الخلط بين شخصيتين اثيرتين لدي : اميرة شقيقتي وسميرة صديقتي . فقد كان لا يبرح مخيلتي عندما أرى سميرة في كل صباح ، وجه اختي اميرة التي تبعد عني كثيرا ففي كل ابتسامة ، وفي كل تقطيبة حاجب ، وفي كل خطوة رشيقة ، كان ظل اميرة يتجسد في حركات صديقتي ، جميعا هذه الفتاة الطيبة التي كانت تريد مني ان اصبر .. فصبرت ، وتريد مني ان اؤجل كل شيء لما بعد التخرج ، فاجلت ولكنني رغم حرصي على تحقيق رغباتها ، ورغم ضبطي عواطفي وتصوراتي ، لم استطع ان اتحاشى هذا التناغم المنسجم بين سميرة واميرة .. وكذلك لم اكن قادرا على ان افسح المجال لتصوراتي ، لتتامل في صمت مطبق هذا الجسد الذي اخذ يتفتح شيئا فشيئا، وتلك العيون الصافية المشجعة على الوحي ، وهذه الجلسات الهادئة التي كانت تشبه في هدوئها ، قطعا من ليل مقمر قد طفت على سطح بحر لا سلطان للمد او الجزر عليه . كنت اخاف ان تفسر سميرة رغباتي الجديدة ، تفسيرا بعيدا عن الحقيقة كنت اخشى ان تكتفي بالظواهر فتظلمني في حكمها القاسي . وكنت كذلك بشرا .. وانسانا ذا قلب يغلي فيه الدم الحار ، ويفيض صدره عن عواطف نبيلة تريد مستقرا لها ولو الى حين . وكان جفاف الدروس والمطالعة القاسية يذيب مني حساسيتي بالجمال ، وشعوري بالمحبة ، ولم يكن بد من ان اتجه نحو سميرة ، مؤملا منها ان تمسح بكفها الناعمة ، قحط الحياة ، فتخصب نفسي ، وتورق مني الاحلام والامال . وفي غمرة هذا الصراع الهائل بين افكاري التي تحترق في راسي ، وعواطفي التي كانت تنمو في صدري على رمادها ، كنت استسلم احيانا وانتظر الريح المواتية علها تحرك شراعا ظل مطويا مدة ليست قصيرة . وكان يعذبني كثيرا ، منظر هذه الفتاة التي كنت اراها اكثر النهار . وكذلك كانت تعرض لي صورتها بعضا من الليل ، حين تكون بعيدة عني ، نائمة في مخدعها، تشكو جملة اشياء بعضها الوحدة والبرد ، والامل . وكذلك خيال تلك الفتاة البعيدة شقيقتي ، وهي تعرض لعيني بعواطفها المكثفة ، تلك العواطف التي لم اعرف بعد اين وجهتها . وابدا بان احصر فكري الذي كان كثيرا ما يعجز ، مرة فمرة، بين فتاتين عزيزتين على قلبي ونفسي .. وكنت كثيرا ما التهب عاطفة وشوقا لساعة الخلاص، التي سوف تضمني وسميرة في بيت واحد ، لنحيا حياة سعادة كلها ومسرة كلها .

كنت أعلم ضمنا ان روح الاثم سوف لا تلبث ان تسمق في نفسي ، فتحيلني الى دودة حقيرة تسعى في الظلمة نحو غايتها ، والا فكيف تفرض علي الظروف الصعبة التي اجتازها ان اتعذب في حب خيالي يملي علي شروطه القاسية ، وان تبلغ بي حد الضياع الكلي بالنظر الى جسدين يتشابهان، وروحين يتماثلان، وقلبين يصب احدهما ، دمه ، في مسارب اخيه ؟!

كانت هذه التساؤلات تزداد يوما بعد يوم ، مضيفة اليها الافكار القلقة، كل التصورات السود عن المستقبل الذي بدات اشك في ان يكون حلوا فتيا كما تخيلته سميرة وكما وجدته ، لائقا بحبنا الطويل الذي زادته جفافا

تلك البيئة الجامعية الضيقة ، وهذا الحرص الذي تبديه كل فتاة تجاه اعز الشباب لديها ، وتلك الصورة المتبعة في المحافظة على السمعة بين الناس الذين استطالت منهم الالسنة وصفرت الضمائر ، حتى كان الافق كثيرا ما يتلبد : الاخبار البعيدة من اهلي تشرف على الانقطاع، التطمينات الدائمة نصف الاسبوعية كانت تتعثر، فتمتد الى اكثر من اسبوع واحيانا تصل الى الاسبوعين ، فأخشى ان تكون اختي قد وقعت في شرك ليس من حرير . بينما سميرة يعتريها الذبول ، مثل وردة منعت عنها الماء في ابان تفتحها . وعيناها الجميلتان تقرحهما الدموع .. فأسألها ولكنها تعتصم بالعمق ، فألح عليها ، فتلج في صمتها حتى لاحسب انها تعيش في قبر قد اغلق عليها الى الابد .

بالقرب من بيتنا في المدينة، غروف كبير قائم الى جانب بستان واسع يمده بالماء . مر اخي الكبير عليه ، صغيرا وشابا يافعا ، ومررت انا عليه مثل ما مر اخي . كنا نلعب حوله وبمياهه واحيانا ما كنا ننزل اليه لنبترد بالماء الزلال ، وكنا نشتم كل الروائح ، رائحة الماء وكأن المسك قد فت فيها ، ورائحة الصدا الذي يعلو القواديس ، ورائحة الجدران المبتلة التي غطاها العشب ، ورائحة الظل السميك الذي ينقلب الى رطوبة باردة مشحونة بقوة ذات توتر عال ،الارائحة الخطر .. فقد كانت فتحات انفينا ضيقة ، فلم تكن كافية لان تلتقط كل هاتيك الروائح ، مضافا اليها رائحة الموت في قعر هذه البئر الكبيرة التي تضيع فيها مئة جثة قد لا تعادل في حجمها مئة قادوس ، تحتويها ساقية من سواقي البستان الكبير

لم تكن اختي الحذرة ذات الاقدام الثابتة ، البصيرة ، بمنجاة من هذا المنزلق ، وهي الفتاة الشابة التي تخطو بتعقل وتمشي بتعقل . وقفت على حافة البئر .. تتأمل القادوس يليه القادوس ، وكيف تفرغ ماؤه بسرعة وتسمع الى طرقات الالة الدوراة على نفسها ، وكيف تعطي الاشارة عن كل قادوس يفرغ بضربة على حافة الصفيحة المستقرة تحت اللولب الدائر .. ولما ارادت الالتفات بكليتها لتعود ، زلت قدمها ، فاحتواها الفراغ الواسع بين ذراعيه ، هابطا بها الى اسفل .. ملوحا بها بعنف على حوافي القواديس ، شاجا منها جمجمتها ، راضا اعضاءها ، ميسرا لكمية من الماء كبيرة لان تدخل الجوف ، فتستقر فيه اكثر من ساعة كأنها الابد وقد وضحت نهايته !!

حاولت كثيرا ان امنع سميرة من حضور المأتم فلم استطع . ابرقت الى اهلها تستأذن . فجاء السماح في برقية عزاء لي . وشدت رحالها في صحبة من الزميلات والزملاء ، ابوا الا ان يشاركوني في وفاء الحق الواجب تجاه الاميرة التي فقدوها .. اميرتهم جميعا .

كانت سميرة خلف النعش اشبه بلوح زجاجي يشف عما خلفه ، وفي تلك الساعة ادركت ان سميرة روح كلها ، وما هذا الجسد الذي اراه بعيني الا من عوارضه . انه امتداد لظله الرقيق . انها لم تبك دمعة واحدة ، ولم يبد عليها اي اثر من آثار اللوعة المحرقة . بل كانت مثل نرجسة فتية تعبق بالزكي من العطر وبالحي من الشباب، قد انتظمت في موكب الربيع . وكانت جميلة ، بل هي اجمل من اي يوم مضى . وحين وارينا اميرة التراب ، ودعتها سميرة ببسمة معتدلة ، ولكنها كافية لان تضيء لاختي ظلمة القبر، وكذلك كافية لان تؤنسها في وحشتها القاتلة هذه، فما البسمات ، بعد ، الا ارواح لا اجساد لها . وخيل الي ان سميرة لا يمكن ان تنسى موت اميرة قط . الدموع وحدها بلسم النسيان. الالام وحدها هي التي تمسح جراحنا ومآسينا . اما البسمات على القبر ، اما القامة المشدودة ، اما العيون المضيئة ، فهذه صور يخلد الموت فيها ، كما تخلد روح المودة ، في الكلمة الطيبة .

كان العام الدراسي يشرف على نهايته .. ها هو العام الثاني يوشك ان يمر . وكنا نعد العدة لاجتياز حلقة

كانت تضيق بين سنة واخرى ، فقد كنت اخشى ان اختنق في السنة الاخيرة ، وكانت عاطفة الحب نحو سميرة تخضع لمؤثرات جديدة تذهل بل وتسكر ، حتى تكاد تكون كافية لان تفقد المرء اكثر ما عنده من دواعي الصبر .. والتجلد والثبات . كنت كلما امعنت النظر في سميرة وجدتها تذوب شيئا فشيئا وتذوي بسرعة لا حد لها . بريق عينيها يخفت كمصباح شح زيته حتى اخر قطرة ، وحمرة وجنتيها تنحسر مثل حمرة مصطنعة تلوثت بها الشمس ساعة كسوفها ، فلما انحسرت عن الشمس، كف القمر ، عادت صفراء كبريق الدنانير . وجدها على الدراسة ما زال يتأخر ويفتر الى ان اشفقت عليها من الرسوب في الدورة الاولى ، وكانت المسكينة تفكر بجملة من الافكار الخطرة لم استطع ان استصفي منها ولا قطرة واحدة . اذ كنت على استعداد لان اتذوقها بحواسي كلها فقد اعثر على تركيبها الدقيق .. فافهمه واستريح .

صورة اميرة الحلوة ما تزال محفورة في عيني .. وقلبي . انها فتاة تطلعت الى الحياة ثم ماتت توا ، لم تذق طعم السعادة ، ولم تفهم الحياة على حقيقتها ، من مشاركة في المصير مع انسان ، الى المشاركة في عملية الخلق لعائلة يظللها الامن ، ويرفرف عليها جناح السعادة . انها نعمت بالصداقة .. ولكنها كانت صداقة قصيرة ، صداقتها لسميرة ، ولم يكن لها من الحظ ما يهيء لها النعيم بالحب والانسان يخلق مرتين مرة حين يولد ، ومرة — وهي المعول عليها — حين يحب .

كانت هذه الصورة الحية ، صورة اميرة اختي ، تنطبع على كل الاشياء التي اراها .. وعلى كل الوجوه التي القاها .. ولكنها كانت تقف طويلا على وجه سميرة الحزين .. وكان انتقالها يبدو اصعب مما كنت مقدرا له أن يبقى . كانت سميرة اذا حدثتني خالطني صوت بعيد لعله خارج من القبر .. وكانت اذا تبسمت ، وقلما كانت تبتسم ، فان بسمة حية وموحية معا ، كانت تنبعث من بين شفتين قرمزيتين ، لعلهما اليوم صامتتان على كلمة السر الرائعة .. وكانت اذا مشت اوحت الي مشيتها ، اسلوب اميرة اختي في التنقل .. بحركاتها وكل ما في هذه الحركات من معان ودلائل .. الم تكن سميرة تشبه اميرة في كل شيء : صورة ومضمونا . وهل من السهل علي اذن .. اذا ماتت اميرة ، ان تظل سميرة وحدها . انها لا بد من ان تتضاعف في شخصيتها ، فتنضم اليها تلك الشخصية الانيسة، ليتعذر علي البتة ، ان اراها دون ان ارى فيها روح اميرة تهوم كأنها بلبل يطير في مدى قصير .. مدى القفص الذهبي : جسد سميرة الذي بدا يذوي .. حتى لكأن هذا القفص قد اخذت قضبانه ، بالانحناء من وطأة الزمن وضربات القدر الماحقة .

الحرارة التي في قلبي لم تعد قوية، مثل عهدي بها . الحب كلمة فارغة ، قطعة من قلب ميت لا توحي الي بشيء ، سميرة هذه لم تعد محبوبة أحلم بان تكون شريكة الحياة كلها ومبعث السعادة كلها انها تحل محل اميرة التي طواها الموت ، يوما بعد يوم . ان اميرة حية لم تمت . انني مهما حاولت ان ابعث الرغبة في جسدي نحو هذه الانسانة ، فانني أجدني عاجزا كل العجز . فلم يعد باستطاعتي اذن ان اشتهي تقبيلها ولو من بعيد ، ولم اعد مستطيعا ان اتأمل بشرتها البيضاء المثيرة للخواطر الحلوة

ولم يعد يخطر على بالي سوى ان اميرة حية ترزق ، وان سميرة كذلك وان هذه الانسانة التي تزاملني في الجامعة تقوم بدورين . دور اختي المتوفاة ، ودورها هي ، حتى اختلطت شخصية المثل بشخصية البطل .. ويا له من جنون كبير .. اكبر من العقل بمرات عديدة !!

كانت سميرة شيئا فشيئا تدرك ما في ضميري ، وتعلم انها مضطرة لان تضحي بحياتها في سبيل هذا التشابه بينها وبين شقيقتي . وبسبب سلوكها في المحافظة على جسدها مني .. بحيث لم يعد امامي سوى ان اظهر لها حقيقتي ، فتعلم عن يقين انني اخذت اشعر بميل اليها ، كأخت اما كخطيبة .. وزوجة مقبلة ، فان دون ذلك اكثر من مستحيل .

قلقها اخذ ينحسر مخلفا وراءه فكرا متعبا واعصابا واهنة ، والظمأ الروحي اخذت سميرة ترويه من هذا الاستسلام التام لمشيئة الله بكأس طافحة لا تفرغ قط . واخذ الصفاء العميق يعود الى عينيها المحمرتين من بكاء طويل على صديقة وفية فقدتها ، وصديق مخلص توشك ان تفقد محبته في ايام قادمة ، فهي سوف تنشيء نفسها تنشئة جديدة، لتستطيع ان تجابه التطورات المحتملة التي قد تطرا على حياتها المعذبة .

هي دائما تتحاشاني ، وتتحاشى بخاصة ، ان تدخل معي في موضوع الحب .. وموضوع الزواج بعد هذه الاشهر الاخيرة التي تعتبر بحق فترة انسجام طويلة ، قضيناها معا في الصمت . كان هناك ماض حلو ينهار جدارا فجدارا ، وكان الى قربه ، حاضر يشاد من انقاض هذا الماضي الذي لن يعود ، وكان البناؤون ، يخلعون من صدورهم قلوبا ، ويدفنونها في اساس هذا الحاضر المخيف .

كانت الطمانينة تتسرب شيئا فشيئا الى صدري فتعمره بانس لا حد له . ان الحب جميل ولا شك، ولكن الاخوة اكثر منه جمالا لا يقاس. والمتعة التي يضفي بها الحب ، تجذل وتطيل العمر ، ولكن متعة العيش جنبا الى جنب مع اخت جميلة كأنها العسل المصفى ، هي من المباهج التي تضيء مسارب النفس ، لانها أرقى درجات الشعور الانساني صفاء

اخذت سميرة تبتسم من جديد . يا لله ما اجمل بسماتها ، التي تشبه شموع الاعراس . واخذت تعود شيئا فشيئا الى سيرتها الاولى ، بعد ان انطلقت من سجنها — جسدها — فلم تعد تخاف عليه مني . هي تعاملني معاملة اخت . هي تريد ان تملأ هذا الفراغ الذي خلقته اختي في رحيلها الابدي . هي تملأ فراغ قلبي ، ولكنها تخلف فراغا اكثر هولا من وحشتي واكتآبي . انها تخلف فراغ قلبها .. قلبها هي .. فيالله كم هي انسانة ، وكم هي ، بعد ، قديسة ؟!

جاءتني سميرة وعلى فمها ابتسامة حية ، حاملة علاماتها وهي توشك ان تصرخ في جذل :

— انظر يا اخي علاماتي .. لقد نجحت!

فأجبتها والدموع في عيني .. دموع الفرح . ولساني ينطق في دعة:

— شكرا لله يا اختي .. شكرا لله.

حلب — **علي بدور**

من مذكرات والد

بقلم عيسى الناعوري

اليوم اغضبت ابني « فارس » . لقد قسوت كثيرا في تعنيفه حتى أخرجته عن اطواره ، فقسا في الرد علي خلافا لما الفته منه، وقال في حدة غضبه : « انت والدي حقا ، وانا لذلك احبك واحترمك ، ولكنك حين تهينني بهذا الشكل لا اعود استطيع ان احبك واحترمك ! »

وابني فارس هذا فتى في الثامنة عشرة من عمره ، جميل وخجول ، ولم اعتد منه جوابا ، مهما اشتططت في تعنيفه . ان اخوته الاخرين يخشونني كثيرا – وبعضهم اكبر منه سنا – ولذلك يتجنبون الرد علي ، اما فارس فانه الوحيد بينهم الذي لا يخشاني ، ولكن في الوقت نفسه يحرص على عدم ايذاء شعوري بأي جواب فيه خشونة او قسوة ، الا في هذه المرة وحدها .

انني اعترف بيني وبين نفسي بانني مفرط في قسوتي عليه وعلى اخوته ، على الرغم انني ذو ثقافة عالية ، وقد تخرج على يدي اجيال من الناس . وقد اكون ورثت هذه القسوة عن والدي الذي لا اعرف انه ضحك في وجهي مرة قط ، ثم مضى عني وانا بعد دون العشرين من عمري ، وخلفني لما هو اشد منه قسوة وصرامة وتجهما ، اذ خلفني اصارع الحياة وحدي .

ولكن هل للوراثة وحدها كل هذا الاثر من القسوة التي اعامل بها اولادي منذ طفولتهم الباكرة ، حتى شبابهم العارم اليوم ؟ انني أعلم بحكم ثقافتي العالية وتجاربي العديدة في الحياة ان العلم والتجربة اشد اثرا من الوراثة، وانهما يستطيعان ان يتغلبا على كل ما تتركه الوراثة والبيئة في الانسان من العادات غير الحميدة ، ومن الطباع السيئة ؛ فالوراثة شيء يعلق بالغريزة التي لم يهذبها العلم ولا الاختبار ، أما الانسان العاقل المثقف المجرب فان الذي يضبط تصرفاته وطباعه هو العقل النير المجرب .

اذن ليست الوراثة هي التي تجعلني اتصرف مع ابنائي بكثير من الصرامة والقسوة ؛ فلا بد ان يكون ثمت سبب اخر . ولعل هذا السبب الاخر هو حرصي الشديد على ان يخلو سلوك ابنائي من كل ما يستوجب التثريب واللوم . اريدهم جميعا نماذج للاخلاق العالية ، والبعد عن الرذائل ومفاسد الاخلاق ، وعن كل ما تنهى عنه الاديان السماوية والاخلاق الفاضلة .

حقا انا حريص على ذلك كل الحرص ، ولكنني حين اعود الى نفسي واناقش الامور على ضوء ثقافتي العالية ، وتجاربي الكثيرة ، ودراساتي في كتب التربية وعلم النفس ارى ان القسوة كثيرا ما تقلب النتائج الى عكسها ؛ فبدلا من ان اسير ابنائي في نهج الاخلاق الفاضلة والتقاليد السامية ، ادفعهم بقسوتي دفعا الى التمرد والثورة ، والى الانطلاق من كل ما ارسمه لهم من مناهج اخلاقية ومثل عليا

اذن ليست رغبة الاصلاح والتوجيه هي الدافع الحقيقي الى قسوتي وصرامتي في معاملتي لابنائي ؛ فقد دلتني التجربة على ان بعض الناس ممن يتخذون النصح والارشاد دأبهم في الحياة ، انما يفعلون ذلك تغطية لما في نفرسهم من رغبات مكبوتة ، لا يستطيعون اطلاقها على حقيقتها . فقد يكون فيهم الداعر الذي يود لو أبيحت له جميع نساء الارض ، ولكنه لا يملك ان يحقق رغباته الجنسية كما يشاء ، فيعمد الى تنفير الناس من الشهوات المحرمة . وقد يكون فيهم من يود لو يستطيع ان يسلب كل ذي ثروة جميع امواله ، فيكدس المال الحرام في خزائنه ، ويحرم الاخرين من كل ما يملكون ، ولكن رغبته هذه لا تجد سبيلا الى التحقيق ، فيمضي يعلم الناس القناعة ، وتوخي طاعة الله ومرضاته على كل عرض زائل وعلى كل جاه وسلطان ومتاع دنيوي .

وهكذا كثيرا ما تكون دعوة الفضيلة والاخلاق الحميدة ستارا يخفي وراءه الاخلاقيون رغباتهم المكبوتة الفاشلة . وقد عرفت انسانا كان يكثر من الكتابة في الصحف منددا بتعليم الفتيات الرياضة البدنية ، والاعمال الكشفية ، والرقص ، وبارتدائهن ملابس الرياضة البدنية القصيرة في ساحات مدارسهن ؛ وكان يرى في كل ذلك هدما للاخلاق وللاسرة وللمجتمع . وانا اعرف الرجل معرفة وثيقة ، واعرف انه يتمنى من صميم قلبه لو كانت الدنيا بطولها وعرضها بيتا واحدا للدعارة ، بشرط ان لا يدخله انسان سواه ، فاذا دخله انسان اخر فهناك الطامة الكبرى ، وهناك الجناية التي لا جناية بعدها على الاخلاق والاسرة والمجتمع الانساني كله .

فما الذي دفعني اليوم – كما يدفعني دائما – الى الظهور بمظهر العبوس والصرامة والقسوة مع اولادي ؟ مع انني في الواقع لا احب لاحد منهم سوءا ، ولو اصيب احد منهم بمكروه لما توانيت لحظة عن ان اجعل حياتي ثمنا لسلامته ونجاته ! أتراني – لا شعوريا – من اولئك الذين يسترون مشاعرهم الحقيقية بقناع الغيرة على الاخلاق ؟

يخيل الي ان هناك شيئا بعيدا جدا عن الوراثة – وراثة الصرامة عن والدي – وعن مجرد الرغبة في الاصلاح والتوجيه . او لعل رغبة التوجيه كانت خالصة مجردة ابان طفولتهم ، اما الان وهم في عنفوان الشباب ، وليس فيهم من هو دون السادسة عشرة من العمر ، فالامر جد مختلف كما ارى . ولهذا لا بد من ان اناقش نفسي ، وان اصارحها بما تأباه وتهرب من معرفته . علي ان أكون صارما معها مرة ، بعد ان كنت صارما مع اولادي كل المرات .

انا الان كهل في السادسة والخمسين من عمري . لقد خلفت سن الشباب المتفتح ورائي ، والشعر الابيض ينتشر في الاماكن التي لم يغمرها الصلع بعد في رأسي ، بشكل لا يدع مجالا لتفتح الاماني وضحك الشباب وصبواته ، هذا الشباب الذي اراه في كل جارحة من جوارح ابنائي اراه في وجوههم النضرة كبراعم الربيع ، وفي شعر رؤوسهم البراق الذي يعتنون في تلميعه وتصفيفه ، وفي ملابسهم التي يتأنقون في اختيار الوانها وانواع اقمشتها وطرائق تفصيلها ؛ وفي ضحكاتهم التي يطلقونها من اعماق قلوبهم ؛ وفي مشيتهم المرحة القوية ؛ وفي قاماتهم المستقيمة المنتصبة ، وفي كل حركة من حركاتهم . ولكنني اراه اكثر ما اراه ، واشعر به اكثر ما اشعر ، حين اسير مع واحد منهم في شارع ، او يضمني مع واحد منهم فيه

نساء ، فارى عيون الحسان تطوقهم بالنظرات الحلوة التي يتفتح معها الربيع في الصدور ، ولا ارى منهن نظرة واحدة تقع على موقع العاطفة المؤملة المنعشة .

انني اكاد اهرب من نفسي الان خجلا وانا اصل الى هذا الحد . ولعل خجلي هذا اعتراف صحيح بالتهمة . اتراني حقا اغار من ابنائي بدافع لا شعوري ، فاستر غيرتي هذه — لا شعوريا ايضا — بالصرامة والقسوة ومظاهر الغيرة على الاخلاق والفضيلة ؟

انني لم أفطن قط الى هذا ، لانني لم احاول ان اناقش نفسي من قبل في هذا الموضع الخطير . والذي يجعلني اتهم نفسي الان بهذه التهمة الخطيرة هو ما قرأته صباح اليوم في كراس صغير كان في جيب ابني فارس ، الذي عاد اخيرا من لندن ، حيث يتابع دراسته الجامعية ، لقضاء جزء من عطلة الصيف بيننا . لقد ابحت لنفسي ان اسطو على جيبه اقلبه وارى ما فيه ، بدافع الفضول ، او بدافع الغيرة المكبوتة ، او بدافع الرغبة في صيانة الاخلاق والفضيلة ... لا ادري ... ولكنني اخذت الكراس ورحت اقلب صفحاته ، فقرات في احداها ما يلي :

دعتني اخيرا زميلتي الفنية « جانيت » الى رحلة معها الى دبلن في ارلندة ، حيث تقيم اسرتها . انها فتاة ارلندية رائعة الجمال ، وافرة الغنى . لقد رغبت الي في مرافقتها ، لرؤية بلادها ، والتعرف الى ذويها . وما احب الدعوة من فتاة جميلة مثلها ! انها دعوة لا يقاوم اغراؤها . ولذلك رافقتها بعد انتهاء العام الدراسي ، وقضيت معها اسبوعين من اطيب ما عرفت من ايام العمر . لقد استقبلني ابواها بحفاوة بالغة اكراما لها ، واذنا لي بمرافقتها في نزهاتها في دبلن وفي انحاء اخرى من ارلندة . وكانت نزهاتها ممتعة جدا على براءتها التي لم نتجاوز فيها مدى العناق الحلو واللهو البريء . ولما مر الاسبوعان شعرت ، وانا اودعها للعودة الى بلادي ، بانني لا اضع يدي في يدها ، وانما اضع فيها قلبي وجوارحي كلها . ولم تخجل من ان تعانقني وتقبلني قبلة الوداع امام والديها ، فقد فعلت ذلك ببراءة اخوية تامة .

لو فعلت مثل هذا فتاة في بلادي ، لسلقتها الالسنة بالافتراءات الداعرة المجرمة ، ولشوهت سمعتها مدى الحياة .

وفي صفحة اخرى من الكراس قرات ما يلي :

تنزهت صباح اليوم في قارب على نهر التيمس مع زميلتي فيفيان . كانت السماء صافية — وما اقل صفاء السماء في لندن — وكان النهر ساكنا هادئا ، وكان في وجه فيفيان اجمل ما في السماء وصفحة النهر من جمال وروعة ولم اكن املك نفسي عن تطويقها وتقبيلها كلما رايتها تفتح ثغرها بضحكة . وكانت ضحكاتها اروع من رنين الاجراس في الاعياد . وكانت تستسلم الى ذراعي في كل مرة بمرح شهي وحيوية .

لو رآني ابي اذ ذاك للقيت من خشونته وقسوة تأنيبه ما لا يصبر عليه حتى الصبر نفسه ... انه لا يريد ان يدرك اننا ههنا شبان نمارس الحياة بلا رياء ، وبغير كبت قاتل ، كما نفعل في بلادنا ، وكما تفرض علينا تقاليد بيئتنا الظالمة .

وصفحات اخرى من هذا النوع قراتها في الكراسة ، فشعرت بالدم يغلي في عروقي . لقد خيل الي ان الفضيلة قد انتحرت في نفس فارس ، وان الاخلاق كلها قد دنست بالوحل ، فلم املك نفسي عن تمزيق الكراس قطعا صغيرة . ثم دعوت فارس وشفتاي ترتقصان غضبا . وقلت له بعبوس وصرامة :

اذن انا ارسل اليك النقود للدراسة ، وانت تنفقها على جانيت في دبلن ، وعلى فيفيان ، وعلى غيرهما من صواحبك ؟ ألهذا ارسلتك الى الجامعة ؟ اهذه هي الاخلاق التي حرصت على ان القنك اياها طول عمرك ؟ اهذه نتيجة تعبي وسهري الليالي ؟ انا اتعب ههنا في تدبير المال لدراستك ، وانت تنفقه بكرم واريحية على المومسات في الغرب ؟

فقاطعني فارس قائلا :

ليست جانيت وفيفيان من المومسات يا ابي ؛ انهما من زميلاتي في الجامعة ؛ وعلاقتي بهما وبغيرهما ممن اسخطتك رؤية اسمائهن في هذه الكراسة المزقة هي علاقة زمالة ، وصداقة بريئة ...

فصحت به غاضبا :

اخرس !! علاقة بريئة ؟ ! وهذا الهزال البادي على جسمك ، اليس من اثر الافراط في الامور الجنسية مع المومسات ؟ اهذه هي نتيجة تربيتي لك ؟

ومضيت في ثورتي الصاخبة ، اسمعه من الكلام اعنفه واشده ايلاما ، حتى نفد صبره ، فقال لي ما قاله ، ثم خرج من امامي غاضبا .

أتراني حقا ثرت عليه هذه الثورة ، واسمعته ما اسمعته من الاهانات والكلام الجارح لانه انفق المال الذي كنت ارسله اليه على معاشرة المومسات ؟ ام تراني كنت على حق حين رميت اولئك الفتيات بهذه الصفة القذرة ؟ !

اكل فتاة تمشي مع فتى وتعانقه او تأذن له بتقبيلها هي مومسة حقا ؟ !

يخيل الي انني لم اقل الصحيح حين ثرت على ابني واتهمته ، واتهمت معه فتيات بريئات من زميلاته . ولو عدت في العمر الى مثل سنه اليوم لما فعلت الا ما يفعله هو الان . ولكنني لن اعود الى مثل سنه ، ولن يغطي الشعر البراق المصفف هذه الطريق الصحراوية التي فتحتها السنون في راسي ، والشيب الذي انتشر في بقايا الشعر في راسي يزداد كل يوم وفرة وامتدادا . ان الايام تمضي بي قدما الى حيث لا يعيش من النساء غير العجاف القاحلات ؛ اما هو فان الاعوام الثمانية عشر تجمع حواليه باقات العطر والزهر ، وتفرش دروبه بالثغور الضواحك ، والاذرع البضة ، والخدود النضرة . ان الحياة المقبلة عليه الان ليس من حقي ان انغصها لانها مدبرة عني ، ولانني في شبابي — حين كنت في مثل سنه — لم استطع ان اجد الجو الذي استطيع ان اطلق فيه نفسي على سجيتها مثله ، واعبر مثله عن نوازعي وميولي بشكل صريح ، لان المجتمع الذي كنت اعيش فيه كان قاسيا ، يفرض من التقاليد والقيود الاخلاقية ما لا يطيقه حتى الملائكة ، فكنت لذلك اعيش على الكبت والحرمان .

اكاد اسمع كل جارحة في تتهمني بملء القسوة بان

السعادة في العطاء

ooo

كثيرا ما اعود الى منزلي مضطرب الخاطر مغموما، فلا يكاد ولدي الصغير يستقبلني بوجهه البريء وابتسامته السعيدة، ولا يكاد يخاطبني بلغته المحببة والفاظه البسيطة لا يكاد يفعل هذا حتى تتبدد همومي وانسى متاعبي واستمد من عيني طفلي الوديعتين : عونا يشدد قواي واملا يرفع نفسي، واستبشارا بما يحمل الغد القريب.

لقد اعطاني ولدي بابتسامته قوة جديدة، اعطاني شيئا ثمينا قد لا يستطاع شراؤه بالمال. انه اعطاني السعادة واعطاني الامل.

وما اجدرنا جميعا ان نتأمل دائما العطايا الكثيرة التي اعطيناها : كم نحن مدينون لله تعالى الذي منحنا حياتنا وخلق اجسامنا بكل ما فيها من جمال الصنع ودقة التركيب. كم نحن مدينون لهذه العقول التي نسيطر بها على حركات اجسامنا والتي تعيننا على مواجهة عالمنا الفسيح المضطرب. واذا قلنا ان الله قد خلقنا كما خلق سوانا من ملايين الناس، فما اجدر كل واحد منا ان يذكر العطايا الكثيرة التي منحه اياها ابوه، ومنحته اياها امه.

ان في حياة كل واحد منا، كنوز لا حصر لها، ولا يمكن ان تقدر بمال وهذه الكنوز الثمينة ملك ايدينا وتحت تصرفنا لو استطعنا ان نعود انفسنا على رؤيتها وادراكها والاستمتاع بها.

كل واحد منا يستطيع ان يعطي كما اخذ. والسعادة المثلى ليست في الاخذ بل في العطاء ولو جرب كل واحد منا هذه الوصفة السحرية، وصفة البذل والعطاء لذاق طعم السعادة الخالصة، ولتعرف على عوالم جديدة من الطهر والسمو والنقاء.

وفي مقدور كل واحد منا ان يجعل الحياة اكثر جمالا وتألقا مما هي عليه، كل واحد منا يستطيع المساهمة في زيادة هذا البناء البديع ولو بلبنة واحدة. وان استمتاعنا بحياتنا لا يقتصر على الاغتراف من المناهل التي تتيسر لنا فحسب بل يكمن ايضا في العطاء السخي والبذل الصادق. والبذل والعطاء هما من اجمل المتع الانسانية لا بالنسبة لمن نبذل لهم بل بالنسبة لذواتنا نحن. وان شعورنا بالبهجة التي تغمر قلب ذلك الانسان الذي اعطيناه شيئا من حبنا او مالنا ليبعث في نفوسنا نحن سعادة اكبر من سعادة المبذول له.

وانا اعرف اشخاصا كثيرين يبذلون الاموال الطائلة على سبيل التباهي او الاستزادة من الجاه. وتراهم اشد ما يكونون بخلا وتقتيرا اذا اتصل الامر بقريب فقير او بجار معدم او بعابر سبيل معوز. وهؤلاء وامثالهم لا يستمتعون بسعادة العطاء المثلى لان السعادة الخالصة لا تنتج الا عن العطاء الخالص.

وليس العطاء مقصورا بالضرورة على المال، فنحن نملك ما هو اثمن من المال نملك العون الذي نستطيع ان نمده لشخص ما كل يوم من ايام حياتنا، ونملك المودة التي يمكن ان نفيض منها على كل من يتصل بنا، والمودة والعون هما اثمن من المال في اكثر الحالات.

ونحن نعتز بتاريخنا وباولئك الذين صنعوا تاريخنا، ونحن نفخر بما ترك لنا اجدادنا من تراث ومن ذكريات ولكن تاريخنا وتراثنا لم يجيئا عفوا بل هما نتيجة اعطيات جديدة بذلها اسلافنا، اعطيات مجبولة بالدماء والعرق والدموع، اعطيات حافلة بالجد والنصب والمخاطر. لقد كان ابو العلاء المعري ضريرا ولكن همته العالية لم تقعد به عن ابتغاء السعادة في العطاء، ولقد اغنى ابو العلاء تراثنا الفكري والادبي ولكنه لم يكن في تاليف آثاره، اقل منا سعادة بمطالعة تلك الاثار. ولقد قضى جوتة اربعين عاما وهو يؤلف روايته المشهورة « فاوست » ولكنه لم يكن في كتابتها اقل سعادة من ملايين الناس الذين استمتعوا بقرائتها.

ولا ينتظر منا بالضرورة ان نرتفع الى مستوى العباقرة ولكن كل واحد منا يستطيع ان يعطي شيئا مما في مقدوره، ان الكلمة الرقيقة والابتسامة المشجعة قد تبعثان في نفوس الكثيرين ممن نصادفهم كل يوم — مزيدا من القوة على مجابهة المتاعب، وبذلك نكون قد اعطينا وساهمنا في اسعاد الاخرين واسعاد نفوسنا ايضا.

وانا اعلم بالتجربة ان سعادتي بتقديم الحلوى لولدي تكون دائما اكبر من سعادة ولدي عندما يأكلها، فالعطاء تجارة مربحة تتضاعف خيراتها في النفوس الكريمة السخية.

فدعنا نحاول ان نساهم في تجميل الحياة، دعنا نحاول الاستمتاع بلذة العطاء، دعنا نحاول التخفيف عن بؤس الاخرين بالوسائل التي هي في مقدورنا، دعنا نزيد من قيمة الحياة، دعنا نساهم في ان نجعلها اكثر شرفا وسموا وجمالا، وصدقني اننا لن نكون من الخاسرين.

عمان — سليمان موسى

كبتي وحرماني ايام الشباب، وادبار الحياة عني اليوم، واقبالها بكل مفاتنها ومباهجها على اولادي، هي السبب في عنفي وقسوتي على هؤلاء الابناء الشبان، فكأنني — لا شعوريا — اود ان لا يلاقوا من حياتهم غير ما لقيت انا من الكبت والحرمان الدائمين.

لقد كشف لي ابني فارس اليوم عن نفسي، واراني اياها على حقيقتها بمذكراته؛ فما كانت ثورتي عليه، وتمزيقي لمذكراته، غيرة على الاخلاق والاداب، ولا حرصا على المال الذي ارسله اليه؛ ولا كانت قسوتي شيئا مما ورثته عن والدي ومما طبعته البيئة في نفسي.

ان الاعتراف بالحقيقة صعب جدا حينما تكون جارحة قاسية بهذا الشكل الذي اتمثله الان. ولكن الحقيقة لن تكون الا الحقيقة نفسها، مهما حاولنا ان نموه على انفسنا وعلى الناس بالباسها غير ثيابها.

عمان — عيسى الناعوري

كاتب من يوغسلافيا ميروسلاف كارليجا

بقلم اديب مروة

○
○ ○

نحن في العالم العربي نجهل الشيء الكثير عن الادب اليوغسلافي في قديمه وحديثه . لسبب رئيسي بسيط ، وهو انه لا توجد لغة يوغسلافية بكل معنى الكلمة ، فالجمهورية الاشتراكية الاتحادية الحاضرة التي هي يوغسلافيا تتألف ، كما كانت امبراطورية النمسا ــ المجر قديما ، من عدة شعوب غريبة غير متقاربة ومن عدةمناطق شديدة الاختلاف في ما بينها ، كسلوفانيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك ، وسربيا ومونتينيغرو (الجبل الاسود) ومقدونيا . حيث لا تربطها اية صلة ان كان في المناظر ، او في طرق المعيشة ، والعادات والتقاليد وحتى اللغة .

ولذلك فان الكتاب والشعراء اليوغسلاف ، رغم تأثرهم بالثقافات الالمانية او السلافية او الفرنسية ، يجدون مشقة كبرى في التحرر من اللون الشعبي الذي يسيطر عليهم ، او في الانفلات من الروح الاقليمية الضيقة التي تحيط بهم وتطبعهم بطابعها .

وعلى الرغم من ذلك فقد برز كتاب وشعراء سربيون او سلوفانيون لا يقلون شأوا عن كبار مفكري العالم ، وما اعتقد على كل حال انه يحق لنا اليوم ان نجهل على الاقل اثنين من كبار كتاب اللغة السربية الكرواتية الا وهما : ايفو اندريتش مؤلف « جسر فوق درنه » وميروسلاف كارليجا الذي أثار كتابه الاخير « مأتم في تيريزنبورغ » ضجة كبرى في الاوساط الادبية الاجنبية ، واعتبر المؤلف نفسه بمثابة اكتشاف جديد في دنيا الادب والفكر العالمي .

يبلغ كارليجا الان الرابعة والستين من عمره وهو اديب مناضل قديم وضع وكتب اكثر من مئة مؤلف بينها عشرون فقط ذات طابع أدبي بحت ، وقد مارس الكتابة في مختلف الوان الادب والفن ، فانشأ المسرحيات والروايات المختلفة ، والقصص القصيرة ، ووضع الابحاث المطولة ، ومارس النقد ، ونظم الشعر الغنائي ، والقصائد الساخرة، كما اصدر وحرر وحده سلسلة من المجلات التقدمية كانت معظمها تتعرض للمراقبة والمصادرة ، وكل هذه الاثار تشهد له بعراقة قدمه في دنيا الادب والفكر ، وسعة اطلاعه ، وتوقد ذهنه ، وحدة نشاطه ،وتوزع ثقافته وتضارب افكاره .

وبالفعل فان المجتمع الكرواتي الذي عاش كارليجا بين احضانه هو خير مثال على العبث السياسي . والمأساة الانسانية اللذين كانا وما زالا يعصفان باوروبا .

وقد كان كارليجا على التوالي جنديا في سيبيريا ، اسيرا في المجر جنديا نمسويا في الجبهة الروسية ، مرشح الشيوعية الدولية الثالثة الى المجلس التأسيسي في بلغراد، صديقا حميما للماريشال تيتو ، وهو حاليا نائب رئيس اكاديمية العلوم والفنون في مدينة زغرب .

وهكذا طبخ كارليجا نفسه في مرجل ضخم صاخب من الاجناس والقوى وتبدل المحالفات ، والتفسخ التاريخي وارتفاع موجة المبادىء المثالية ، واندثار الامبراطورية النمسوية المجرية ، وانقسامها بين سرب وكروات وسلافيين وبالنتيجة تراه ينفث بسخرية عجيبة جميع هذا الخليط الغريب من الاموات والاحياء على قلمه المرير ، ويلوث قلبه بالدم المراق في كتب التاريخ ، والذي تخوض غمارهالاجيال الجديدة الصاعدة .

وامامنا الان كتابه الذي نشر اخيرا باللغة الفرنسية مأتم تيريزنبورغ » وقد ترجمه من الكرواتية انطون بولانسكاك ، وصدر في منشورات « مينوي » بباريس ، وعدد صفحاته ٢٨٨ . وهو مجموعة قصصية تضم ستا من القصص العميقة الزاخرة بالاحداث الجسام التي تعبر عن انسانية بعيدة المدى بقدر ما تمثل مجتمعا معينا من الناس عاشه ولا شك المؤلف بكل جوارحه وغرق فيه حتى الاذنين . وتظهر لنا القصة الاولى من الكتاب بطريقة فذة كيف ولماذا يجد كارليجا نفسه بحاجة حيوية الى التهكم اللاذع والسخرية المقذعة . فالتهكم بالنسبة اليه وسيلة للانتقام من الماضي والحاضر . وهو بنظره التعبير الطبيعي عما يختزن في نفسه من حقد قديم لا يتوانى عن البحث عن مخرج دائم . فهو الحقيقة المجردة ذات الابعاد الانسانية في عالم مشحون بالنماذج العاتية ، والاشباح الوطنية ، والمومياءات السياسية الجغرافية . وهكذا يحطم كارليجا واجهة متحف اعتاد الناس ان يكنوا له الاحترام والتقدير !

ويروي المؤلف في قصته « مأتم في تيرنزنبورغ » ــ وهي من اطول قصص المجموعة وقد اتخذ عنوانها اسما للكتاب ــ حكاية ضابط شاب في « الفيلق الامبراطوري الملكي السابع عشر الملقب برجال التنين ، وقد اسسه

رئيس اركان الحرب الشهير فالانشتاين روبرت سان كانتان الاسباني » (وتلاحظ هنا طريقة كارليجا في التشديد على الالقاب الضخمة الرنانة التي تخفي وراءها السخرية اللاذعة من الذين يحملونها وتكشف عن الفراغ الواسع التي تعيش فيه امثال هذه المؤسسات) ويقع هذا الشاب وهو الليوتنان غويزا رامونغ ، في غرام زوجة رئيسه الكولونيل. ولهذا الليوتنان اطوار غريبة ، فهو من نواحي اخرى يفضل الرياضيات على مهنة الجندية ، وينال درجة دكتور في العلوم ، مما لا يعجب رؤساءه مطلقا ، ويجعلون ينظرون اليه نظرة سيئة ، ويعتبرونه مشبوها ، ذلك بان الفيلق الامبراطوري السابع عشر الخ... ليس بحاجة الى استاذ في الرياضيات . ويصبح صاحبنا كئيبا ، وتتراكم اخطاؤه ومن بينها ذلك الوزر الثقيل الذي دفعه لان يرفع انظاره نحو زوجة رئيسه ، تلك المراة اللعوب اولا التي تستسلم له بدافع الملل والفضول ، ثم تتخلص منه فجأة قبل ان تنفجر الفضيحة .

ويقع رامونغ على الاثر فريسة نوع من الجنون ما يلبث ان يتجلى اثناء زيارة رسمية قام بها الى المعسكر جنرال واميرال يابانيان كانا قد انتصرا على الروس (ولهذين الضابطين الكبيرين قصة ساخرة اخرى يتبين منها انهما مجرد محتالين) فيحور الليوتنان في المحاضرة التي كلفه الكولونيل بالقائها امام الضيفين الكبيرين ، ويعلن ان معركة ايسلنغ الشهيرة التي انتصر فيها الفيلق السابع عشر ... ونال بسببه مجده العسكري ، لم تكن في الحقيقة الا هزيمة ساحقة : اذ قتل فيها ١٧ جنرالا وخسر الفيلق فيها ثلاثة الاف رجل ، ولم يستطع الفيلق ان يوقف من تقدم نابليون نحو الشرق الا قليلا . وهنا يوقفه رئيسه الكولونيل عند حده ، ويعاقبه بالسجن القاسي بسبب « سلوكه المشين الذي تصرف به خلال الحفلة » وبدافع حقده الشخصي عليه من جراء خيانته اياه مع زوجته . ويؤدي ذلك الى انتحار الليوتنان رامونغ اخيرا . وهنا لا بد من جمع الضباط جميعهم امام الجثمان ، وهم مرتدون بزاتهم العسكرية البراقة التي يرتدونها في المناسبات الاحتفالية ، وقد وقفوا جميعا وقفة الاستعداد للاستماع الى أغرب تأبين فاضح يلقيه الكولونيل نحو الضابط المنتحر ... اذ يشتم الجثة التي امامه ويصب عليها جام غضبه وحقده . ويجعل من صاحبها خائنا للفيلق والشرف والوطن لان الليوتنان المسكين كان يهتم بديكارت اكثر من اهتمامه بالجندية . وتنتهي هذه القصة المحزنة المضحكة في آن واحد ، بتهم مثيرة وقد اراد كارليجا الا يجعلنا نعطف على الضابط الشاب المثقف بقدر ما يجعلنا نسخر من الادعاءات الفارغة ، والتبجح الاحمق ، والاساطير الوهمية التي تقوم عليها امجاد رفاقه العسكريين . وقد كان بين هؤلاء الدمى المفعمين بالخيلاء والخيال ، رجل واحد طبيعي لا بد من ان يضحى به !.

والقصة يمكن ان تروى كما رأينا في حوالي ثلاثين سطرا ، ولكن كان لا بد لكارليجا من اربعين صفحة لكي يسردها علينا بأسلوب يفوق الوصف حتى يوصلها الى نهايتها الممتعة .

وهو في هذا المدى الذي يبدو على طوله قصيرا ، يهدم ببطء وبرودة الاصنام الجبارة وجميع الدمى التي تقع تحت يده ، ولا ينسى اية ملاحظة دون ان يسوقها ، فهو من هذه الناحية دقيق كل الدقة في سرد التفاصيل بحيث يذكرنا نوعا ما ببلزاك ، ويقودنا نحو سخرية جليدية تنتهك حرمة جيش تيريزنبورغ الاسطوري المهيب . والمؤلف اذ يفعل ذلك نراه لا يرفع صوته بالمرة ، بل يكاد القارىء الا يشعر به الا لماما حين يبتسم خفية ابتسامة خفيفة حين يكشف النقاب مثلا عن ان الزيارة الرسمية للجنرال الياباني ليست سوى خدعة مدبرة .

وهنالك دمية اخرى نجدها في قلب القصة الثانية « هو دور لاهومور البديع » وهي دمية لها قيمتها : انها بارنس . فقد كان الصغير بيرو اورليتش من زغرب يحلم منذ نعومة اظفاره بباريس ويجعل منها اعجوبة الاعاجيب ويتوق لزيارتها ، وحين يبلغ العشرين نراه يهبط في مرتع احلامه ، ولكن باريس التي يكتشفها ليست سوى وحل ، وقذارة ، وجوع ، وكذب ، وبؤس ، وظلم ! عندئذ يصيح اورليتش « ليس هناك الا فراغ مقرف ، ليست هناك باريس ، ان باريس في نفوسنا ، وهنا يطلق ست رصاصات على ... المدينة ! »

وفي قصة « الكوخ رقم خمسة مكرر » نرى الكونت ماكسيميليان اكسلروت حامل وسام مالطة الشهير ، ومدير احد المستشفيات العسكرية ، يفرض كبرياءه وعنجهيته ، ولهجته التسلطية ، وطباعه الصارمة على الالف وخمسماية مريض الذين يقاسون الامرين من الامهم ويعانون سكرات الموت ، بينما يعب ممرضوهم كؤوس الخمرة احتفالا بانقلاب عسكري . ويقول احد الجرحى باصقا دما قبل ان يحتضر « لماذا جئت الى الدنيا ؟ لماذا ولدت في هذه المدينة الحمقاء ذات الملاهي الموسيقية حيث لا يوجد حزن ، حيث كل شيء ملهاة غنائية » !

وهنا نجد كارليجا يحلق في التلاعب بالمشاعر الانسانية ، ونحن كلما تقدمنا في القصة نراه يرتفع في فلسفته الواقعية ، وفي تصويره المرير الرائع ، وفي تشاؤمه ، وتبدو لنا لفظة « واه » التي يحشرج بها الطالب فيدوفيتش في « كوخ رقم خمسة مكرر » كأنها صيحة نقمة مدوية يطلقها كارليجا نفسه في كل صفحة ، ويبدو ان هذه النقمة ليست موجهة نحو طبقة معينة من الناس بقدر ما هي منصبة على الحياة بكاملها !

وتعبر قصته « الى اقصى حد » عن يأس سياسي ، بينما تعبر قصته « رياح فوق مدينة ريفية » عن يأس امام الحياة اليومية (واخذ كوكيتز يفكر بان الحياة مجرمة) اما « صيحة تحت شلال » فهي تعبر عن اليأس امام الموت.

ولا يعود كارليجا يبتسم ، بل تبين تلميحاته التي يكثر منها بتدفق نحو النجوم نحو زرقة السماء ونحو العالم المقفل ، المندفع وراء جنونه ، بانه منطوي على نفسه ، تلاحقه فكرة بؤس العيش اكثر من صعوبة بناء عالم افضل ولكنه من هنا يستقي خير موارده الريفية ككاتب : جبار ومؤلم ، ذو ملكة غنائية زاهدة وعنيفة في آن واحد ... وهو اولا واخيرا سيد الحقيقة وكل ما يند عنها من واقعية ومرارة انسانية واخلاص !

أديب مروة

فتاة من بغداد

لمير بصري

في سنة ١٦١٦ قدم بغداد رحالة ايطالي شاب اسمه بيترو ديلا فاليه Pietro della Valle ينتمي الى اسرة نبيلة ، بعد ان ساح في القسطنطينية ومصر وبيت المقدس والشام . وفي بغداد وقع في حب فتاة جميلة في ريعان الصبا اسمها معاني فتزوجها واصطحبها للعودة الى بلاده عن طريق ايران . لكنها مرضت في الطريق وقضت نحبها ، فحزن عليها حزنا شديدا وحنط جثمانها وحملها في تابوت حتى بلغ روما بعد خمس سنوات من الاسفار والاهوال . وهناك دفنها في مدفن عائلته وبقي وفيا لذكراها ثلاثين سنة حتى مات ودفن الى جانبها .

ان هذه القصة التاريخية لحب ووفاء نادري المثيل قد سجلهـا رحالتنا الايطالي في ثنايا رحلته الضخمة التي ترجمت الى لغات متعددة ونشرت منذ ثلثمائة عام . وقد استوحاها الشاعر لنظم ملحمته « فتاة من بغداد » التي نقتبس منها فيما يلي بعض الاناشيد :

القافلة

بيترو في طريقه الى بغداد

تموج القوافل تحت النجوم
كمثل السنابل سمر الجسوم
تهزُّ المناكب عند المسير
تجوز صعاب الطريق العسير
وتجلو المشاعل ليل الظلام
كضوء الحباحب وسط القتام
تمور الصحاري كموج البحار
ويغري الضجيج سكون القفار
وحادي الجمال يشقّ الفضاء
بصوت شجيّ يجيد الغناء
تميد الرحال وتسعى الرجال
وتجري الخيول وتمشي البغال
لاجراس تلك المطايا رنين
يمازج في الليل عذب الحنين
وكم يخدع العين لمع السراب
وكم يخلع اللبَّ صوت الذئاب
نهار يمرّ وليل يفرّ
وشمس تغور وبدر يغرّ
وريح سموم وقرّ وحرّ
وليس لركب الفلا مستقرُّ
تلمّ المنازل شعث الطريق
وتمضي الرواحل ، هل من رفيق؟
ويؤخذ طوراً ويلقى الزمام
وتضربُ حيناً وتطوى الخيام

بغداد

بغداد تلوح في الافق

في الضحى نادى المنادي : ايها الجمع السعيد
تلك بغداد أطلّت بلد المجد التليد
وليالي الظعن ولّت بالسّرى المضني الشديد
هللوا اليوم حبوراً ، قد دنا الافق البعيد
من رأى بغداد حقاً قد رأى بيت القصيد
تلك بغداد تراءت خلف صحراء الرمال
كعروس اسبلت برقعها دون الجمال
ضرب النخل حواليها نطاقاً من ظلال
وقباب الذهب الابريز لاحت في جلال
ترفع الهام اختيالا آية السحر الحلال
تلك بغداد توارت خلف ابواب وسور
خلع الدهر عليها في الورى هالة نور
وجرت دجلة نشوى تحت اقدام العصور
تغسل الجنّات والارباض بالماء الطهور
وخدورا عمرتها في الدجى أسراب حور

اللقاء

الفتيات يذهبن لمشاهدة القافلة القادمة

جاء سرب الفتيات
مرحاتٍ ، خفرات
يتنزّهن صباحا
يتضاحكن سرورا
فتراهنّ طيورا
نشرت ثم الجناحا
رحن ينظرن المطايا
حملت خير العطايا
فاخر الوَشْق الوفير

من عطور وبخور
وعقود للنحـور
ودمقس وحرير
ايه فالمحن الرجالا
يتبارون مقـالا
من كهول وشبـاب
ايه فالمحن الغريبا
يرتدي زيًّا عجيبا
باسما غضَّ الاهاب
هوذايمشي الهوينا
انه يرنـو اليـنا
ويحه ! ماذا يريد !
وانثنت أخت الغزال
تتهـادى فـي دلال
والتوى عطف وجيد
خفق القلب وحيًّا
مذرأىذاك المحيّا
مشرقا تحت النقاب
أي سحر في الجفون
أي لحـظ للعيون
راش سهما فأصاب !
نظرة أورَت لهيبا
سكبتحبًّا صبيبا
في فتانا والفتاة
وجرى سرب الحسان
كاوَزّ فـي الطِعان
خائفا يبغي النجاة

انتصـار الحب

الحب ينتصر فيتزوج الفتى الايطالي بالفتاة البغدادية

أيها الحبُّ انتصر
واستهن واهزأ بكل العقبات
واستعر
منطقاً يهتاج اكباد العتاة
واذا اشتطَّ الاب القاسي العنود
واذا لاذ بأذيال الجمود
فاستجر
بحنان الام أو مكر الفتاة
حقّقِ اليوم الاماني للفتى الصبّ العميد
واقرن المشرق بالغرب البعيد
واجمع القلبين ذينِ الخافقين
برباط الابد
واحتفِل يومَ التداني بطبول وزمور :
انه عرس الدهور
وارفع الكأس ابتهاجا ، حيِّ نخب العاشقين
ذاك يوم الحبّ طراً وحديث البلد

الفــراق

الفتى يستعد للسفر مصطحبا زوجته البغدادية

ـ يا أبي ، يا أمُّ ، قد حمَّ الفراق
قد دعاني السفر المشجي البهيـج
رنَّ في المسمـع للركب ضجيـج
وسرى من مغـرب الافـق اريـج
وتنادى للسُّـرى جمـع الرفـاق
ان زوجي شدَّ للبينِ الرحال
هيأ الهودج مسدولَ الستائر
والمطايا همهمت ، قد سئمت أسر العقال
وامائي رحن يضفرن الغدائر
وأنا ساهمة واللب حائر :
قوةٌ تدفعني نحو الغيوب الخافيه
والديار القاصيه
ثمَّ أخرى : قوة قد سمرتني في مكاني
أمسكت فضلَ عنـاني
ونداء الهاتف المجهول يزري بالمشاعر
صدُّه عينُ المُحال
ليت شعري هل أرى هذي الربوع
هل أراها ثانيه ؟
هل ارى هذي السماء الصافيه
ورفيقات الصبّا
وأزاهير الرُّبـى
والرياحين تضوع
في الخميله
ودروباً شهدت خطوَ الطفوله

وبنات الحيّ يحملن الشموع
في زفاف الجارة الخجلى الجميله
لفتى قد كان عنوان الرجوله...
انّ قلبي واجف طار شعاعا
انني أشهد في نفسي صراعا
ثم امضي في سبيلي لا أحيد
واضطرابي كسكوني لا يفيد
فوداعاً ووداعا

آمال وآلام

بيترو وزوجته يسافران في القافلة

يا نجوم الليل رفقا بالقوافل
تقطع الآكام والغور السحيق
أكر قد دحرجتهن المنازل
سخرت منهن أعطاف الطريق
ذاك صوت القفر أم تلك الجلاجل
رددت في الجو لحناً كالانين
هدهد النفس بألوان الحنين
أطلق الافكار من أسر السلاسل ؟
وفتانا بث آمالا رحيبه
هدرت في الصدر كالسيل الدفّاق
صبها في مسمع الزوج الحبيبه
خلسة ، والليل ممدود الرواق :
يا فتاة الروح ، يا حب الفؤاد
سوف نمضي، سوف نجتاز المراحل
نرتوي—والنفس ظمأى للمجاهل —
من رؤى الاقطار طراً والبلاد
ليس كالاسفار تجلو المهجا
تفتح الآفاق للعين الحسيره
فترى للشمس صبحاً وهجا
وترى في الليل أقماراً كثيره
لا تهابي طرق التيه العسيره
فوراء الافق تنبثّ المشاهد
مدن تمتد خيلاء السواعد
أنهر تجري بأمواه غزيره
طاق كسرى بين أطلال المدائن
حيث ترعى الاسد في جنب الغزال
وأبو الهول وأهرام الفراعن
والمسلات أحيطت بالرمال
دار قسطنطين تزهو بالمنائر
وعلى البحر سفوح وتلال
وصروح العز وسنى في الظلال
ودوالي الكرم تزكو في الجزائر
واذا ضاق بنا البر الفسيح
نركب البحر على متن السفائن
ترقص الامواج كالطير الذبيح
ويثير النّوء أرياحاً سواكن
نقطة سوداء في الجو الوسيع
والسواري قد تحلت بالشراع
نافخ الاوداج ، مبسوط الذراع
رافع الهامة كالبرج المنيع
ووراء المرفأ الزاهي القديم
لاح في ظل التلال الحانيه
بلد سامي الذرى صافي الاديم :
تلك روما ، تلك داري الغاليه
ثم أهلي ودياري والكنائس
ثم نلقي ، بنت بغداد ، الرحال
يحتفي بشراً بنا جمع الرجال
وعلينا تنثر الزهر العرائس ...
بنت بغداد أصاخت في سكون
هل تنال السعد حقاً والهناء ؟
هي في الاسفار قرحاء الجفون
أجهد السهد حشاها والعياء
علة قد أنشبت فيها الاظافر
وهي في الاوطان لم تشك السقام
ليتها قد واصلت فيها المقام
لم تزايل خدرها نحو المخاطر
أم لعل الأمر لا يعدو الهواجس
بعثتها الان وعثاء السفر
وحشة القفر دعتها والحنادس
بدداً تمضي متى بان السحر
وحنا الزوج على الجسم المريض
حدب الام على الطفل الرضيع
يا لاحلام الهوى ! هل من شفيع
لجناح في الدجى الساجي مهيض ؟

بغداد — مير بصري

قصة سورية

بقلم محمد حاج حسين

بقايا انسان

استطعت ان اتصيده في حانة شعبية ، ووجدته منقلب السحنة ، زائغ النظرات ، ليس فيه من الانسان سوى بقايا تتلاشى . هل هذا معقول ؟ عبدالله الطيب القلب ، يتنكر لكل مزاياه الجميلة ، ليصبح قعيد الحانات .

وحدثته ، فلم يعرفني لاول وهلة، فقد كان فاقد الوعي . وانقاد لي عندما تابطت ذراعه ، وانطلقنا الى الهواء الطلق يتعتعه السكر . وصحبته الى بيتي ، وادخلته الى غرفة النوم ، وغط في نومة عميقة ، وافاق بعد ساعتين ، وهو يعجب كيف انتقل الى هذا المكان حتى اذا رآني بدات الحقيقة تتجلى امامه .

وقال لي: لماذا انتزعتني من الحانة؟

ـ لانني احبك يا عبد الله .

ـ اني لا اريد ان اصحوا ابدا .

ـ والنهاية ؟

ـ الموت .

ـ لا تزال في شرخ الشباب .

ـ الموت خير لي .

ـ اسمع يا عبد الله . دعك من هذه الفلسفة ، واعلم انك مهدد بالطرد من وظيفتك .

ـ ليطردوني

ـ ليس لك مورد سوى هذه الوظيفة .

ـ ان الذي يتمنى الموت ، لا يهمه الطرد من الوظيفة .

ـ ما سبب هذا الياس ؟

ـ الا تعلم ؟

ـ ابدا .

ـ السبب عزيزة .

ـ ومن عزيزة هذه ؟

وسهم وجهه ، ثم انطلقت منه ضحكة جوفاء ، وصرخ : عزيزة تزوجت . ونهض يذرع الحجرة ذهابا وايابا . واقترب مني، وطلب سيجارة وراح ينفث دخانها بعصبية ، ثم قال بلهجة دميعه . ستعذرني اذا عرفت الحقيقة .

وسكت هنيهة ، ثم استطرد قائلا: احببتها ذلك الحب الجنوني الذي لا يعرف هوادة . وكانت زميلتي في الشركة التي اعمل فيها ، وتجلس معي في غرفة واحدة ، واخذت بجمالها ، ورقتها ، حتى اصبحت الخفقة التي تتردد في قلبي .

وطفقت ادرس اخلاقها ، فازددت لها حبا عندما تكشفت لي عن مجموعة من الاقانيم قدستها في حياتي ، فقد امتازت بالوداعة ، والطيبة في القلب والرقة في الوجدان ، والمتانة في الاخلاق ، لا تعرف سوى عملها ،

وتركزت في ذهني عقيدة بانها خلقت لي ، ولم البث طويلا حتى فاتحتها بحبي ، وقلت لها : انني لا اعرف يا عزيزة كيف انمق العبارات .. واحب ان اسالك . . . هل ترضين بي زوجا ؟

واطرقت تفكر ، ولونت الحمرة وجهها الناعم ، فزادتها فتنة ، ولم تجبني . وانصرفت الى عملي مبلبل الخاطر ، وسلخت ذلك اليوم قلقا اقلب الامر على وجوهه المختلفة ، فلا استقر على شيء .

وفي اليوم التالي قلت لها : اريد ان اعرف هل توافقين ام لا ؟

ومضت لحظات من الصمت تمزقت فيها روحي، وتوسلت اليها ان تجيبني واخيرا رجفت قليلا ، واحمر وجهها وهي تتمتم بصوت خفيض: موافقة .

ولا يمكنك ان تتصور مبلغ فرحتي ، وتناولت يدها الصغيرة وقلت : اعاهدك ياعزيزة ان اكون لك خير زوج

وغبرت علي ايام، كنت انعم فيها بحبي الطاهر .. ولا استطيع ان انسى تلك الساعات الجميلة التي كنا نجتمع فيها معا ، نتحدث عن مستقبلنا وبيتنا ، ونامل في حياة تتالق بكل المباهج التي خلقها خيالنا ، ووشاها بالوان زاهية ، فيها نضرة الامل ورقة الزهر .

وذهبت ذات يوم الى شقيقتي الوحيدة ازف اليها النبا السار ... وفجاة اكفهر وجهها ، وتمتمت : مبروك .

وانسحبت الى غرفتها

كانت هي الشقيقة الوحيدة لي نعيش معا في بيت واحد بعد موت والدينا . وهي تكبرني باربع سنوات لم ترزق بالزوج لانها دميمة . وكنت اظن انها ستفرح عند سماعها النبأ ، غير انني لاحظت من تجهم سحنتها ان هذه الخطوبة لم تلق عندها قبولا .. فتالمت ، لانني لا اكتمك انني لا استطيع ان اكسر خاطرها ، وهي وحيدة ليس لها معيل غيري ، فانطويت على نفسي ، يفتك بي الالم . وعندما ضمنا العشاء وجدتها على غير عادتها عابسة ، مطرقة الراس ، تتناول طعامها بفتور .

وقلت : هل ساءك يا زهية خبر خطوبتي ؟

ـ ابدا .

ـ صارحيني بالحقيقة .

ـ تزوج .

ـ ستكون زوجي رفيقة لك تؤنس وحدتك .

وانفجرت باكية ، وهي تقول من خلال جهشاتها : طبعا ، ساكون خادما عندها .

ـ بالعكس يا زهية . ستكونين سيدة البيت .

ـ ستطردني من هذا البيت ، ولا ادري الى اين اذهب .

واوضحت لها حبي ، واطريت مناقب عزيزة ، وافهمتها انها موظفة معي في الشركة وستكون اختي هي سيدة البيت تتصرف به كما يحلو لها

وصرخت : طبعا . ساكون خادما لها اطبخ طعامها ، وانظف بيتها .

ووجدت ان كل محاولة ابذلها لاقناع شقيقتي العانس لا جدوى لها واصبحت فريسة لعاملين .. حبي لعزيزة ، وعطفي على شقيقتي ، هذه البائسة التي يعذبها الحرمان ، ويقتلها الخوف من المستقبل المجهول . ولم اجد شعاعة من النور اسري عليها في هذه الظلمات المتراكمة .

وسالتني عزيزة : متى تنوي اعلان خطوبتنا ؟

فتكلفت الابتسام ، وقلت : قريبا ان شاء الله .

ومضت اشهر لم استطع خلالها ان ابر بوعدي لعزيزة . فكلما فاتحت اختي في هذه المسالة انطلقت في بكاء وجيع ، حتى حرمت على نفسي الحديث معها في هذا الموضوع .

وكنت في كل صباح اواجه عزيزة ؛

ومن عينيها يطل نفس السؤال : متى تعلن خطوبتنا ؟ ولا يمكنك ان تتصور حالتي البائسة التي كنت اعانيها ، فقد كنت اشقى انسان في الوجود ، لا ادري كيف اتخلص من هذه الورطة .

وحاولت ان انسى عزيزة، وصممت على حلها من وعدها ، وفي كل مرة كنت اعتزم ابن احدثهابرغبتي، اتراجع امام رنوة من عينيها الساجيتين . فقد كان النعيم بقربي ، ولا اجرؤ على الدنو منه .

ومضى عام ، لم استطع في خلاله ان اعلن نبأ خطوبتي ... الى ان قالت لي ذات يوم : انت تعلم يا عبد الله انني احبك .. ولكل حب خاتمة ، فعندما فاتحتني برغبتك في الزواج بي ، استجبت لك ، لانني لا ابغي من الحب سوى نهايته الطبيعية ... الزواج ، والاستقرار في حياة فاضلة مشتركة .. هكذا افهم الحب . وها قد مرت علينا سنة ، وانت تتعلل بشتى المعاذير .. واني مستعدة ان انتظرك الى اخر مرحلة في حياتي ، لانني واثقة من اخلاقك .. غير انني الان في مازق .

وكدني العرق ، وتمتمت : اي مازق يا عزيزة .

ــ تقدم ابن عمي لخطوبتي .

وشحب وجهي ، وتمثلت لي شقيقتي، واصرارهاعلى عدم زواجي ووازنت بين الامرين ، وشعرت ان الحب تضحية ، فيجب ان اضحي حبي لاجل شقيقتي ، التي ليس لها ملجأ غيري..

واستطعت ان اقول : ما رايك في ابن عمك ؟

ــ انه شاب لطيف ، ومهندس

ــ لماذا لا تتزوجينه اذن ؟

ــ اهذا هو جوابك ؟

ــ ان ظروفي لا تساعدني على الزواج .

ــ اخبرني بصراحة عن هذه الظروف ؟

ــ ماذا يعنيك منها ؟

ــ اريد ان اعرف الحقيقة لان اهلي يلحون علي بوجوب الزواج من ابن عمي ، وانا لا استطيع ان اصمد امامهم طويلا .

ــ انصحك ان تتزوجيه .

ــ انك تخفي وراء هذه النصيحة قصة تحاول ان تكتمها عني .

ــ ابدا .

ــ ارجوك يا عبد الله ان تحدثني بكل شيء .. انني مستعدة ان اقاوم رغبة اهلي لفترة اخرى لاتيح لك ان تتدبر امرك .

ــ ارجوك ان تتزوجي ابن عمك لانه خير مني .

ــ هذا كلام فارغ لا معنى له .

ــ فيه كل المعنى .

وشعرت انني قلت هذه العبارة بلهجة جافة ، فعراني الالم ، وقلت بسرعة استدرك هذا الخطأ : انني لا اود الا مصلحتك ..

ورفعت الي عينين تنديهماالدموع وتمتمت : اريد ان اعرف السبب . انك تحبني ، انا واثقة من هذا .. وانت تعلم اني احبك ، فلم هذه المداورة ؟

واختجلت ، وبرقت في ذهني خاطرة استنمت لخدرها قليلا .. لماذا لا اتزوجها ، ولتذهب اختي الى الجحيم ، غير ان هذه الخاطرة لم تعش طويلا في ذهني ، لانني لا اكتمك انني ارحم اختي العانية .. واجد فيها ماساة في هذا الوجود ، ولن ازيد آلامها .. ومن يدري ماذا يحدث لها ؟ فهي منذ ان علمت برغبتي في الزواج ، اضحت عصبية تثور لاتفه شيء ، يذويها الحزن الشديد ، ولا تعرف الضحكة اليها سبيلا .

ومزقتني الحيرة ، وقلت بعصبية : دعيني يا عزيزة الان ..

والقت علي نظرة حزينة ، وانسحبت من الغرفة ، واستاذنت في الذهاب الى البيت بذريعة ان صداعا شديدا يفتك بها .

وفي ذلك اليوم عرفت الخمرة . ورجعت الى البيت معتزما امرا .

وقلت لاختي : سأتزوج يا زهية شئت ام ابيت .

وفر لونها ، ومادت بها رجفة ، وقالت بلهجة كسيرة : ليوفقك الله.

ومستني لهجتها البائسة في الصميم ، وقلت : احب ان افهم لماذا تعارضين في زواجي ؟

ــ انا لا اعارض .

ــ ولكنك غير متحمسة له .

ولماذا اتحمس له ؟.. الانني سأصبح خادما لزوجك ؟

ــ لا تعودي الى هذه النغمة .. ان عزيزة ستكون اختا لك ..

وصرخت : تزوجها .. وسأترك لكما البيت .

ــ والى اين تذهبين ؟

ــ ماذا يعنيك من امري ؟

ــ ان الوهم يجسم لك مخاوف لا معنى لها .

ورمقتني بنظرة آسية ، اضطرب لها كياني ، وانخرطت في بكاءمذيب وهرعت الى غرفتها ، محزونة بائسة .. واسرعت وراءها ، اخفف من اساها ، غير انها ركبت راسهاوصاحت بمرارة : اين انت يا ابي ؟ .. لمن تركتني ؟ لن اجد لي مأوى ..

وادماني عويلها ، واستدرت على عقبي من حجرتها ، وقضيت الليل ساهدا ، تتناوشني الام لا قبل لي بها .. حتى اذا لاح الصباح ، اسرعت في مغادرة البيت دون أن القي نظرة على اختي ، وطفقت اضرب في الشوارع على غير هدى ، تفترسني اشجان عنيفة ، وقد تمثلت لي الهوة التي سانحدر اليها .

وعندما دخلت الى المكتب وجدت عزيزة ناصلة اللون ، ورفعت الي عينينمتالمتين، وتمتمت: صباح الخير

وعادت الى الاوراق المكدسة فوق مكتبها .. واعتزمت ان اضع حدا لهذه الوساوس التي تليغني ، وقلت بحزم : لقد غيرت رايي يا عزيزة ..

ولم استطع ابن اوضح فكرتي .. ونظرت الي طويلا ، ثم تمتمت : ماذا تعني ؟

وقلت بمرارة : لن اتزوجك .

وغمرتني موجة باردة ، ورايت الكفن الذي فصلته بيدي لحبي العظيم ... ادرجه بي ، واشيعه بزفراتي .

واعلنت خطوبة عزيزة على ابن عمها ، وتركت الشركة لتستقر في بيت الزوجية ، واصبحت حياتي خالية من كل معنى ، وقتلني ذلك الظمأ الذي لا ينطفىء اواره ...

ولم اجد الا الخمرة تخفف عني هذا اليأس الذي يطحنني .. حتى اعود الى البيت فاقد الاحساس ... لاواجه اختي بوجهها العابس ، ونقمتها على الحياة ..

واستطعت ان اقول : الزمن كفيل بمسح جراحك .

وهز رأسه واجابني : الموت وحده يستطيع ان ينقذني .

القاهرة محمد حاج حسين

لماذا افترقنا

٥

•• وكان الذي كان

وصدقت الف وشايه

وفبركت الف حكاية

حكايات كذب

ولم اختلق •

وشاء الزمان •

بأن نفترق ، ••

ولما افترقنا ••

رحلتِ •• وغبت انا في زحام المدينة

وعدت الى الحان•• حاني القديم••

اعب الكؤوس اللعينة ••

وعشت هناك اعمّر دنيا ،

واهدم دنيا ،

واسكن حينا وراء القمر ،

اداعب نجمه ••

واغزل غيمه ••

واحمل روحي

وقلبي الجريح ،

الى عالم غارق في الضباب ••

وعدت الى الحان•• حاني القديم

اغني الاغاني الحزينة ••

اغانٍ كمهجة درب مريض سقيم••

ككوخ أسى ••

كخيمة بؤس مقيم ••

* * *

لماذا افترقنا ••

لماذا تركنا نيوب الشقاء

تمزق اضلاعنا

وتشلح قدامنا

دروب النوى والعذاب ••

ترانا مللنا الوفاء ؟ ••

ترانا شبعنا هناء ؟

لماذا افترقنا •• ولما افترقنا احترقنا

وصرنا رماد

وطعم رماد

وصرنا كأغمار ثلج الشتاء

ولحن كمان مريض الوتر

دمشق — الياس الفاضل

الاحداث الجانحون

بقلم فائز الرفاعي المحامي

ooo

ان قضية الاحداث الجانحين ، هي من القضايا التي تشغل كل امة ، لان هؤلاء الاحداث الذين جنحوا عن الحياة الطبيعية السليمة في المجتمعات، هم ركيزة البناء فيمستقبل الامم.

واذا كانت هذه القضية لم تحظ بالتفات احد واهتمامه في الماضي ، فان تعقد الحياة العصرية ، اصبحت ضغثا على ابالة ، اذ غمرت اطفال هذا الجيل وفتيانه في حمأتها ، فاصبحوا تائهين ضائعين ، في خضم هذه الحياة التيأثارت في سلوك الافراد الصغار ، الروح الاستقلالية وفسادالتربية وروح التفكك الاسروي ، فقذف هؤلاء في وهدة للجريمة قذفا ...

على اننا لا نريد ان ندخل في جزئيات هذا الموضوع ، فنتسرب الى ما كتبه كل عالم ومفكر حوله ، لان في ذلك صعوبة ما بعدها صعوبة ، فلكل عالم ومفكر راي يحاول ان يعالج على ضوئه هذه القضية الحيوية ... ومهما يكن من أمر هؤلاء العلماء ، فانهم ما زالوا حائرين في تعليل سلوك الاحداث الجانحين . فعلماء الاجتماع ينادون بالفكرة القائلة : « ان الحدث يلد سليما ، وان المجتمع هو الذي يلقنه هذا السلوك الشاذ ، فيقدم على ارتكاب الجرائم شأنه في ذلك ، شأن المجرمين الكبار » .

وهنالك رهط اخر من العلماء وهم الذين يسمون بانصار الوراثة ، يعللون الامر بقولهم : « ان الحدث يلد وفيه ميل شديد للاجرام ، وانه تلقى هذا الميل عن أسلافه »

ولعل هذه الفكرة ، التي جاء بها انصار الوراثة اولئك ، ليست بحديثة العهد ، لان العالم « لمبروزو » وهو صاحب نظرية المجرم بالفطرة ، هو المعلم الاول لنظرية الوراثة هذه ـ وان كان قد أراد بها المجرمين الكبار ـ الذين يتميزون عن غيرهم من الناس ، بمظاهر بادية على تكوين خلقتهم ، كشكل انوفهم ورؤوسهم وعيونهم على حد قوله ...

الا ان هذه الاراء ، ليست هي الاراء الوحيدة السائدة، في تعليل الاحداث الجانحين ، لان هنالك اراء اخرى ، جاهر بها عدد كبير من علماء النفس والاجتماع والقانون ...وهي اراء لا تلتقي عند نقطة ثابتة . ومن الجدير بالذكر في هذا الموضوع ، ان اول شيء فكر به العلماء ، هو ايجاد العلاج للاحداث الجانحين في المجتمع ؟؟ ولكن هل نستطيع ايجاد العلاج قبل أن نصل للاسباب الحقيقية التي يعاني الاحداث المرض بسببها ؟؟

ان الواقع المؤلم ، الذي تردى فيه الاحداث ، هو الذي يحفزنا لاول وهلة ، كي نتحرى عن اسباب جنوحهم عن طريق الحياة الطبيعية ، وهي اشياء اساسية ينبغي ان لا نغفل عن ذكرها ، لان منها تتخلق العلة والمصيبة ...

واسباب جرائم الاحداث ، اسباب متشعبة ، لم تتبلور بعد عند نقاط محدودة تماما ، لان تطور الحياة ووسائلها ، أصبح يخلق مع الزمن اسبابا جديدة ، لا نقوى معها على الجمود عند نقاط ثابتة محدودة . بيد ان من الثابت ، ان الاسباب الرئيسية اصبحت معروفة ، بفضل جهود الباحثين المشرفين على الاحداث وقد حصرها هؤلاء على وجه التقريب في الاسباب الرئيسية التالية :

فساد سلوك الاسرة

لقد علق العلماء على الاخلاق الطيبة لاسرة الحدث ، املا كبيرا في انقاذ الاحداث من تربية فاسدة ، قد تدفعهم ـ وهم في سن الحداثة ـ الى وهدة الجريمة ، لتجعل منهم معاول للهدم في المجتمع . لذلك فقد جعلوا اخلاق الحدث مرهونة باخلاق امه وابيه ، لان بهما ينبت الغرس الصالح ، فيفيد ويستفيد ، او يحترق هذا الغرس ، فيعمي بدخانه العيون ويصبح وبالا على المجتمع ؟؟

الفقر والغنى

للفقر اثر مرير في التأثير على سلوك الاحداث ، لانه يجعلهم مطية لكل بلاء ، ويسلط عليهم الالام من كل جانب، فهؤلاء الى جانب فقدانهم المسكن الصحي ، والغذاء الكافي والدواء الشافي ، يتعذبون في حياتهم ويتعثرون في مشيتهم ، لعدم حصولهم على علم كاف ، يهذب عقولهم ويثقف نفوسهم ، وهكذا نراهم يهيمون في كل واد ، ويستحلون اموال الناس ، ويرتكبون اشنع الجرائم باسم الفقر

ولكن لا يغربن عن البال ، ان للغنى محاذيره ايضا ، وذلك اذا لم يحظ الاحداث بتربية صحيحة بسبب عدم رعاية ابائهم وامهاتهم لهم . فاذا كان الاب لاهيا في غمرة الحياة الصاخبة ، وكانت الام كذلك ، كان ولدهم الحدث معرضا لعواصف الحياة العاتية ، التي قد تعصف به ، فتتركه صريعا مهيئا لاجرام عريق ، في حداثة سنة وفي ربيع شبابه ...

سكر الاباء والامهات

ان معاقرة الخمرة ، مزرعة فاسدة ، تنمو فيها جميع البذور الجرمية ، وهكذا يكون اولاد واحفاد السكيرين من المرضى الذين يشكون استعدادا عجيبا للاجرام .

وللطبيب الفرنسي « لوكران » كلمة بليغة في هذا الصدد

اذ هي تصور حالة اولاد السكيرين ، وذلك حين يقول :
« ان اولاد السكيرين ، يشكلون متحفا للامراض ... الى ان يستطرد قائلا ، ومن ضعف الملكات العقلية وانحلالها تماما ، الى ميول اخلاقية فاسدة واستعداد عجيب للاجرام ... »

عمل الاحداث

ربما تضطر الظروف الاحداث للعمل ، ولكنهم بحكم سوء هذه الظروف ، قد تكون شروط العمل سيئة للغاية ، لان ارباب اعمالهم فاسدون ، يكون توجيههم واشرافهم مصدرا للفساد تنصب فيها شخصياتهم فتعصف الاقدار بالصغار الى الاجرام .

انحلال روابط الاسرة

قد يعصف القدر بالاسرة ، فيهجر الاب الام ، او قد يمرض الاب او يموت ... وقد تؤدي هذه البواعث والاسباب الى انحلال الروابط العائلية ، فيحرم الاولاد من تربية سليمة ، نتيجة لسوء هذه الظروف . وبذلك تنشأ المضاعفات في حياة الحدث التي ربما انتهت بمأساة اجرامية اليمة .

هذه الاسباب التي اوردناها ــ تضاف اليها اسباب اخرى لا نرى ضرورة لذكرها ــ تشكل اساسا لفساد الاحداث وانحدارهم الى وهدة الجريمة ...

الا ان المهتمين بقضايا الاحداث من علماء النفس والاجتماع ، بعد ان اكتشفوا سبب جنوح الاحداث ، لجؤوا لمعالجة هذا الامر ، يعاونهم في ذلك لفيف من رجال القانون بغية وضع التشريعات المناسبة لهم لاصلاحهم وصرفهم عن طريق الجريمة ...

ولقد كانت الولايات المتحدة اسرع الجميع في هذا الميدان ، اذ احدثت اول تشريع للاحداث ، بانشائها محكمة للاحداث في ولاية شيكاغو عام ١٨٩٩ .

وقد عد هذا الامر اذ ذاك ، انبثاقا تشريعيا جديدا في فجر العدالة ، لانها التجربة الاولى التي نجحت في هذا السبيل ، مما حدا بدول اخرى فيما بعد ، الى ايجاد هذا الصنف من المحاكم ، بتشريعات نظمت لهذه الغاية ، فادخلتها انكلترا اليها في عام ١٩٠٨ وبلجيكا بقانون ١٥ مايس ١٩١٢ وفرنسا بقانون ٢٢ تموز ١٩١٢ ، وتلتهم بعد ذلك في هذا المضمار ، دول عديدة كانت منها الدول العربية التي اصدرت تشريعات تتناسب مع اوضاعها الاجتماعية والتشريعية الراهنة

اما سوريا ، فقد كانت احدى الدول العربية ، التي نالت استقلالها عقب الحرب العالمية الثانية ، وكانت ما زالت تعاني نقصا واضطرابا في التشريع ، تناول سائر نواحي النشاط فيها ، الامر الذي شحذ همم عمدة التشريع فمضوا يعملون ويجاهدون ، حتى وصلوا الى الغاية المقصودة التي تكللت معها مساعيهم بالنجاح ، وهكذا سدت ثلمات وهنات ، سار معها البنيان التشريعي نحو الكمال المنشود . ومع صدور هذه الاصلاحات التشريعية ، صدرت قوانين متعاقبة رتبت وضع الاحداث الجانحين ، واصول محاكمتهم ومعاقبتهم .

فقانون العقوبات السوري الصادر في عام ١٩٤٩ ، احتوى بعضا من النصوص الناظمة لوضع الاحداث المنحرفين ، ولكنه لم يكن وافيا بالغرض ، مما دعا نخبة من رجالات البلاد المخلصين الى التفكير ، بتأسيس جمعيات تقصر عملها على رعاية الاحداث الجانحين ووقايتهم من التشرد والاجرام . ومع نشوء هذه الفكرة ، ولدت اول جمعية في دمشق عام ١٩٥٠ ، وقد سميت اذ ذاك (جمعية حماية الاحداث) ، تبعها اثر ذلك ، تأسيس جمعية مماثلة في حلب .

وقد سعت هاتان الجمعيتان ، منذ النشأة الاولى ، على جعل الهم الاوحد لهما ، حماية الاحداث من التشرد والاجرام ، والعناية بشذوذهم الاخلاقي والنفسي ، والاستعانة باختصاصيين يملكون القدرة على ذلك . وقد الحقت بهاتين الجمعيتين بعدئذ ، مراكز لملاحظة الاحداث ومكاتب للخدمة الاجتماعية ، فيها باحثات اجتماعيات للقيام بابحاث دقيقة عن احوال الاحداث الاجتماعية ، مع ابداء الاراء لمحاكم الاحداث ، عن اوضاعهم اضافة الى حضور جلسات محاكماتهم .

الا ان الامر لم يقف عند هذا الحد ، بل سعى المخلصون لهذه القضية ، حتى استطاعوا استصدار قانون خاص ، يضمن انشاء معاهد للاصلاح ، او ما يسمى باصلاحيات الاحداث وهكذا صدر القانون رقم /٦٠/ المؤرخ في ٣٠ كانون الاول ١٩٥٠ مقرا انشاء معهدين للاصلاح احدهما مركزه في محافظة دمشق والاخر في محافظة حلب .

وقد سمحت ظروف البلاد حتى الان ، بانشاء معهد واحد للاصلاح مركزه في منطقة قريبة من دمشق وتدعى (قدسيا) وقد قمت بزيارة المعهد ، فوجدت فيه كافة الشروط الضرورية ، التي ينبغي توفرها في معهد يتولى اصلاح الاحداث الجانحين ، ورعايتهم صحيا ونفسيا وتربويا . اما غاية المعهد الاصلاحي الاساسية ، فهي ابعاد الاحداث الجانحين عن السجون العامة واصلاحهم بتزويدهم بما يحتاجون اليه في الحياة ، من دراسة ابتدائية ومهن عملية ، وتربية قواهم الفكرية والاخلاقية والبدنية ، وتنمية عواطفهم القومية ، ليصبحوا مواطنين صالحين .

ولكن الا يجدر بنا بعد هذا ، ان نتساءل عن المدة التي يقضيها الحدث في الاصلاحية التي تكلمنا عنها ؟ ؟ ؟ ان الحد الادنى لمدة التدبير الاصلاحي ، الذي حدده القانون هو تسعة اشهر ، والحد الاعلى لهذه المدة ينتهي باتمام الحدث السنة الثامنة عشرة من عمره ، وهو نفس النظام المطبق في بقية بلاد العالم تقريبا .

على ان كل هذه الاصلاحات في مؤسسات الاحداث لم تكن كافية بنظر المشرع السوري ، بل اراد ان ينظمها بشكل اوفى بالغرض ، فكان ان اصدر قانون الاحداث الجانحين ، بالمرسوم التشريعي رقم /٥٨/ المؤرخ في ١٩٥٣/٩/١٧ ، فتنسق بذلك صرح قومي جليل ، سد فراغا كبيرا كانت تعانيه سوريا الى عهد قريب .

هذه لمحة وجيزة عن الاحداث الجانحين ، وعن بعض التشريعات التي صدرت في سوريا لاصلاحهم وحمايتهم ، وهي ــ اي اللمحة الوجيزة ــ وان كانت مقتضبة نأمل ان تكون كافية ، لاعطاء فكرة لكل من يهمه امر هذه الفئة من دولة المواطنين الصغار .

حلب — فائز الرفاعي المحامي

قصة فلسطينية

بقلم فوزي فريج

سأحيا

ليس هذا الذي يملأ افكاره ويتدفق في شرايينه وينساب مع دمه ويلفه بالصمت المطبق ناتجا عن الضنك والخور الذي يكتنف كيانه كله ... ان هذا حدث خارجي يحسه ويعيشه لكنه لا ينفعل به ولا يأبه لوطاته الساحقة المضنية . ان ذلك الجسد الذي يتحسس لسع الرمل الذي يشق فيه طريقه ، والشمس المريعة التي تفري لحمه وتحرق عينيه وتجفف حلقه ، هو بمعزل عن طبيعة ثانية مختلفة تسود مشاعر صاحبه ... وان هاتين القدمين المرهقتين اللتين تنوآن بما تحملان ، وذينك الرئتين وقد خدشهما ذلك الهواء الجاف الحار وهذا الضيق الناتج عن فقدان الملح والماء المتبخرين عرقا ، هم ليسوا الا اطارات لهذه المحنة الموئسة الفظيعة.

ويعود ذلك السؤال النهم ينهش عروقه ويجلد اعصابه : ماذا اقول لهم عند الحدود .. كيف سأجيب على اسئلتهم ؟

وغداة فجر باهت الالوان مثل ظلال تركها الليل وراءه ، نهض ذلك الشاب من رقاده على الارض ليستعيد قواه ويتابع السير الحثيث . كان جسمه جامدا كالقالب لا يهتز ، وقدماه تصارعان الغبار الذي اخذ يستقر خلفهما بعيد اثارته . وطفق يرفع عينيه مع كل خطوة يخطوها ، ناظرا نحو الافق ليرى بوادر اشعة الشمس الحمراء .

وسرعان ما اخذت الشمس ترتفع في الافق حمراء عجلى .. تشد بها غيوم سنجابية كطبقات من دخان الخشب تسبح عبر وجهها . وطفقت اذ ذاك تنكمش على نفسها فتؤول الى كتلة نارية تلفح العيون فيستحيل عليها ان تطيل النظر اليها ... بينما بدأت اشعتها الحمراء تلون وجه ذلك الشاب الشاحب بلون الدم .

وبدت عيناه تعبتين لا حياة فيهما. نظر كما لو كان يوازن نفسه على قدميه بجهد جهيد ، او كان اللحظة التالية ستفقده توازنه فيخر بعدها على الارض .

ولكن حافزا خفيا كان يشد به دائما الى الامام فيمضي بحركة آلية تامة على خط مستقيم دون ان يفكر بالانحراف او التوقف قليلا .

وتعترض سبيله تلة عالية ، فينحني ظهره ، وتتشبث يداه بركبتيه تطلبان العون ويهم بان يقف ويستريح لكي يحشد القوى اللازمة لبلوغ القمة ... غير ان نداء خفيا يهيب به الى المضي ، فتنزلق يداه الى الارض تتسلقان الاكمة وينغرس حذاؤه عميقا في التراب الرطب ، وينبعث الالم من كل اركانه تحت وطأة الارهاق ويخيل اليه ان يديه تتحطمان وان ساقيه اصبحتا وتدين في التراب.. غير ان الساقين كانتا تمضيان في السير ، والقدمين تغوصان والجسم ينحني الى امام ، فينتهي اخر الامر الى بلوغ القمة .

ويعود بذاكرته فجأة الى الوراء . لقد مضى عليه في هذا السير اثنتان وستون ساعة منذ غادر المخيم في غزة ... متجها نحو القطاع الاردني؛ ولم يبق عليه الا بضع ساعات قلائل حتى يصل الى الحدود الفاصلة .

ويعود السؤال الرهيب يوقظه من ذكرياته ويهزه هزا عنيفا : ماذا اقول لهم عند الحدود ؟ بماذا ابرر هربي هذا ؟؟ ولعل المشكلة تنطلق من هذه النقطة: لماذا هربت ؟

ويحاول ان يجيب على هذا السؤال فلا يستطيع . هل هرب خوفا من الموت وحرصا على حياته ؟ ولم لم يحرص على هذه الحياة عندما كان يخترق ورفاقه الفدائيون الحدود اليهودية ، متوغلين في المستعمرات ، ناسفين البيوت والمنشآت والطرق ؟ ... ولقد جرح في هذه الغارات الليلية ثلاث مرات ، ولكن آلام تلك الجراح كانت ممزوجة باللذة والنشوة والاعتزاز . كان مع جراحاته وكدومه تلك كالعاشق الذي يشكو لوعة الصبابة وهو يود ان تطول وتبقى .

وكان ينتشي اذ يجلس بين زملائه في ساحة المخيم يروي الحادثة مشيرا بيديه ورأسه وعينيه كأنه يبغي نقلها مجسمة امام اعينهم . اما الان فلماذا هرب ؟ ولماذا تجشم هذه المشاق الفادحة لكي يبتعد عن الانظار ؟

لقد خلف وراءه امه العجوز بثوبها الترابي الاربد وملاءتها الفاحمة السوداء وتنهداتها المخندقة في شرايينه تعصرها فتتصلب نافرة في اعلى جبينه وعنقه التي فرتها مخالب الشمس ، واخاه الصغير بوجهه البرونزي الهادىء الصامت كعلامة استفهام ، وشفتيه الزرقاوين بسبب الصقيع ، وملابسه التي خرجت بعد معركتها مع الزمن اشلاء مهترئة تجهد في ان تبلغ الرمق الاخير .

كان يحلو له ان يثرثر مع اخيه الطفل بعد المساء ، ويصر عليه ان ينشد النشيد الجديد الذي املته على صفه المعلمة ، فينطلق الطفل يلثغ الحروف المصقولة يمطها ويشدها الى قالب الوزن ، ولا يلبث ان يتوقف بعد قوله : « يا وطني ... فداك دم » باحثا عن النهاية ... ويلوك الحروف من جديد كي يتذكر ولكن النهاية لم تأت بعد .

ولم يكن يصطحب الشاب اخاه في اي تجوال حين يذهب ليتسنم اعطيات الوكالة ، وذلك ليحمل عنه ما خف من الحاجيات . انه لا يزال يذكر تلك اللحظة جيدا ؛ اذ عندما كانا عائدين بحمليهما الى الخيمة مرة، وخزت اذني الشاب نبرة اخيه الكليلة تسأل : لماذا يأتينا كل هذا من ارض غريبة ، يا اخي ... اليست ارضنا مثلها ؟ ... ورفع الشاب عينيه ليسمرهما على وجه اخيه مذهولا لا يفيض بنأمة ... كانت هنالك بضع حبات من الرمل تتهالك على جبين الطفل وتتشبث بلحمه الغض الطري، فتتراءى لعيني الاخ الكبير حزمة من سنابل ذهبية الضفائر ومزقة من سوسن وليلاك، وعناقيد شقر الخدود .

ويعود بذكرياته الى الامس القريب ... انه يعي كيف اخذت طائرات العدو النفاثة تحتل سماء غزة ، وبدت طلائع الاسطول من البحر فاغرة اشداقها للضرب والتدمير ، وتقدمت رتل من المصفحات الضخمة تجوب شوارع المدينة المقفرة. واصيب المواطنون بالوجوم والشدة حيال الامر الواقع فانزووا في بيوتهم وخيمهم

يقبعون فيها كالجرذان الخائفة .

وما لبث ان انتحر السكون وانطلق الرصاص يلعلع من كل ارجاء المدينة تتبعه صيحات خافتة واهية وعويل متقطع ممزق . واحس الشاب بشيء كالنار قد بدأ يحرقه ... يلتهمه ، بل يسحقه ذرات متطايرة . كان يريد ان يفعل شيئا ... ان يقوم بشيء يشير الى وجوده ، ولكنه ادرك ان لا وجود له بعد تلك اللحظة . كان يبصر بعينيه ابناء وطنه ورفاقه يتساقطون الى الارض ، يلحس التراب جبهاتهم بعد ما يمتص دماءهم المهروقة ... ليرفل بحلة قانية دكناء . وايقن عند ذاك انه لا بد من الرحيل .

كان يشعر بغضاضة جارحة وهو يودع اسرته وجيرانه ... وعندما ذهب الى بيت جاره ابي صالح يوصيه خيرا بوالدته العجوز ، كان هذا قابعا في الزاوية وعيناه مسمرتان في الارض ، وقد اخذت المسبحة التي بين يديه تبعث طلقات رتيبة واجفة . ولم يرفع اليه بصره قط ، بل خفض هامته وتمتم : « خايف على حياتك يا ابني ؛ تفو على هيك حياة . »

وبقيت هذه العبارة ترن في اذن الشاب بقوة وصخب حتى انه اخذ يرددها في سيره وهو يلهث تعبا . غير انه ما لبث ان اطبق فمه واخذ يفكر . هل يؤمن هو بصحة هذه العبارة ؟ ابدا ... والا لما كان قطع كل هذه المسافة ! لقد كان قبل هذا يرى للموت نكهة تختلف عما هي عليه الان . طالما تحدث عنه هو ورفاقه الفدائيون ... كانوا يرونه ذروة لاعمالهم البطولية وبداية لخلودهم بين الاجيال المقبلة . انه يذكر جيدا قول احدهم وهم قرب احدى المستعمرات : يا رفاقي ، ان موتي يفيدنا اكثر مما تتصورون . يمكنكم عند ذلك ان تلفوني بالعلم القومي وتضعوني في وسط ساحة المدينة ثم تجمعوا كل الاطفال والشباب هناك ... وليهتف احدكم امامهم : « كلنا انت ايها الشهيد » ؛ وهكذا لن يذهب هذا الجسد سدى .

وعادت تلك العبارة التي اطلقها جاره تدوي في سمعه ثانية ... هل يجب ان ترذل الحياة هكذا مقابل لا شيء ؟ لشد ما كان يمقت الطحلب والاعشاب الطفيلية الاخرى ... ان مرآها يثير القرف في نفسه وينبت تساؤلات جمة يمضغها في خلواته ، ويجتر واحدا منها بوفرة بالغة : هل تحيا حقا هذه النباتات ؟

واستيقظ من هذه الذكريات لدن ابصر شجيرة وارفة الظل تقتعد جانب الطريق ، فاسرع يفترش ظلها ، ويحل منديله عن رقبته ، وينزع نعليه وجوربيه ... وكانت قدماه المتورمتان وتقطران دما وكان الدم ممتزجا بالتراب ، والوسخ بين اصابعه ؛ فأراح منديله ليتقي الرمل واضطجع .

وفي هذه الاغفاءة المتعبة رأى جميع رفاقه يهزجون ويتنادون ، وهرع بعضهم يحثونه ويدعونه للذهاب معهم ؛ وعندما سألهم : الى اين ؟... قالوا : الى قمة طود كبير حيث نشاهد من ثمة الشمس . وتبع ذلك جلبة صاخبة ايقظته مذعورا ، فهب واقفا وحدق في هذه المسافات المخيفة التي اجتازها ثم حول نظره الى الامام .

كانت الشمس قد اخذت تنطفىء في المغرب ، وظلها يمتد امامها فيحول مخضرا ثم ارجوانيا . واستطاع ان يلاحظ بعد عناء وجود اضواء كهربائية بعيدة ... بعيدة حيث يلتقي الافق بأطراف الارض . وافترت شفتاه لاول مرة ، عن ابتسامة خافتة ... واستشعر احساس عزاء .

ولم يدر كيف وجد قدميه تجرانه بقوة ، واخذ يركض بشدة بانجاه الانوار الكهربائية ، غير آبه لقلبه الذي يخفق بمشقة ، ولانفاسه التي تختنق رويدا رويدا . واحس انه ارتطم في جريانه السريع هذا بكتلة ضخمة حادة ، فتعثر جسمه بها وانقلب الى الوراء على ظهره المتقوس المشدود . وحاول ان يرفع جسمه فتخبط تخبطا ضعيفا ولكن الوعي ما لبث ان غادره ، وراحت نفسه في غيبوبة طويلة .

وعند فجر بنفسجي باسم امتدت يد رفيقة تهز كتف الرجل الغارق في غيبوبته المتعبة الثقيلة ... وانبعث صوت عسكري حازم يستوضح : هل انت بخير ؟ فانتفض المغمى عليه كأن سلكا كهربائيا مسه ... وانفرجت شفتاه عن شبه تمتمة خافتة : اجل ، اجل ، جئت لاحيا ... ساحيا .

طرابلس **فوزي فريج**

الماضي الذي ينام

كل يوم يبرعم لي الهاتف صوتها الدافىء ، حديقة حب ، نبع منها نهر عاشق مجروح ، واقول : « من ؟ » ، فتجيب : « مجهولة » ، ونروح نعطر الحروف . [خالد]

من أنتِ ؟ ،
أيقظ صوتكِ المجروح حسي
مجهولةٌ ؟
لا تكتمي ، ..
بوحي لنفسي
همساً ،
أنا ـ يا أخت
قد ضيعتُ أفراحي ، وأنسي
وحملتُ آلامي ، جراحاً ،
أشتكي همي وبؤسي
وأحدثُ الماضي ، عتابا ،
آه ما اقساه ، أمسي
صبَّ العذابَ المرَّ ، لي ،
حباً ، بكأسي
يا ليتني ، حطمتها ، ودفنتُ يأسي
وهربتُ ، طفلا ،
لا يفكر كيف يمسي
فأعيش أضحكُ ،
ليس لي حزني ، وتعسي
متنقلاً ، أشدو بجرسِ
لحن الربيع السمحِ ،
والازهار ترقص نشوةً ،
والليل مغسِ
يا ليتني ،
يا ليتني ، حطمتُ كأسي
ومزقتُ حبي ،
نبع أحزاني ، ونحسي
ِ تتفاً ، يبددُ جمعها
ـ يا أخت ـ فأسي

★

مجهولةٌ
قولي لنفسي
من أنتِ ؟
لا ،
قد مات حدسي
لا تكتمي ،
فأنا احاول دفن ماضيَّ ، وأمسي
لأعيش ، أشرب خمرة السلوان
في الكأس المُنسّي
فتحدثي ..
من أنتِ ؟ ..
من ؟ ،
قولي بهمس
علَّ الغد المأمول يسعدنا فنمسي
حلماً جميلا ، رفَّ في تيار رأسي
لا تخجلي ،
فلربما مزقتِ ـ يا اختاه يأسي

★ ★ ★

مجهولةٌ ،
من انتِ ؟
منْ ؟ ..
قولي بهمس ..

اللاذقية — خالد الشريقي

دراسات في النقد الادبي

حاضر الادب الامريكي والموت

بقلم هنري ملر

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

لقد طبعت سفرتي الى اوربا ذكريات في نفسي ، ومن اسعدها رؤيتي للكتب الصالحة الممتازة في كل مكان زرته ، اذ ان عناوينها ، واسماء مؤلفيها وناشريها تتعاون مجتمعة من اجل اغراء القراء واجتذابهم . وهذا امر يختلف اشد الاختلاف عما اجده في كتبنا الامريكية المبتذلة المظهر ، السقيمة النتاج ، التي تحاول ـ بخشونتها وخشخشتها ـ ان تلفت انظارنا ، وانا اذ اكتب الان ـ اراني اواجه ما ينوف على الف كتاب من هذه الكتب التي لا تتمتع باي ذوق ، على حين ان الطبعات الاجنبية تمتاز ـ حتى في المظهر ـ بالذوق الرفيع ، والبساطة ، والواقعية ؛ وهذه هي الصفاة التي تميز الاوربي عن اخيه الامريكي . وذلك بان كل امة تبدي خاصياتها ، في صناعة الكتب ، كما هو شانها في عالم السياسة ...

ومن هنا ، فاني كلما تسلمت نسخة من القائمة الشهرية التي تصدرها دار Guilde الفرنسية شعرت بسرور يغمرني فيقفز قلبي من الفرح الطافح . وقد يكون وقتي من القصر بحيث يحول بيني وبين قراءة بعض التعقيبات والملاحظات ، الا ان هذا الامر لن يكون من القساوة بحيث يعميني عن مشاهدة نتاجنا الامريكي في سقمه وقماءته وسخفه . ولا شك في اني قادر على تقديم العديد من الاسباب ، التي تدعم انطباعاتي ، الا اني اعتقد ان اوجهها جميعا هو قدرة الكتاب الاوربيين ، التي لا تعرف النضوب ، على معالجة شؤون الكتب ومؤلفيها ، وهذه القدرة تثير فيَّ ما تثير من مشاعر الاعجاب والتقدير . لان موضوع الادب ، بالنسبة الينا ، يبدو كانه موضوع رث بال ، من احقاب عريقة في القدم . ومرجع ذلك في اكبر الظن جفاف عنايتنا بالكتب ومؤلفيها ، لان مثل هذه العناية لم تكن يوما ما عميقة اصيلة حية في نفوسنا .

ولكني مع ذلك مدرك لشيء من الفعالية التعويضية ، التي تحاول ان تحل محل هذا النقص الفاضح ، وهي في ذلك تشبه حمى حفاري القبور السكارى . اما الاشخاص القلائل الذين يلهبون الشعلة ، والذين يبحثون جادين عن حقائق جديدة فهم ليسوا موضع اهتمامي ، على الرغم من الدواعي العاطفية التي تجتذبهم ، وتأسرهم . وعلة ذلك ان هؤلاء ليسوا من محبي الكتاب ، لانهم لا يكتبون من فيض تجاربهم ، او اتصالهم بالكتب ، فهم لا يطفحون بالذكريات الفنية الثرة ، او المقابلات الزاهية الرائعة ، او الاكتشافات المباشرة المثيرة ، لانهم لا يرتبطون بازمان غير ازمانهم ، ولا بكتب اخرى ، ولا بمؤلفين غير انفسهم . ومن هنا قلما يشعر احدنا بان مثل هؤلاء كانوا على صلة وثيقة باحد المؤلفين العظام ، او حتى المعروفين من الكتاب .

غير ان هذه الحال لا تمنع احدا من هؤلاء من الكتابة في الموضوع الذي يرغب فيه ، وكأنه كله عيون فاحصة ، مستشفة متطلعة . وهذا الضرب من الكتابة ، في رأيي المفرض ، ينضح احيانا بالطيب ، واحيانا اخرى برائحة النتن التي تشتد عنفا وكراهة ، متى ما انبعثت من بعض (العلماء) الشامخين ، من هؤلاء الذين يقدسون طريقتهم في الحياة ، بالاستناد الى الكتب ، الى ان ينتفي كل شيء من الادب ، ما عدا بعض النتف والحسك والنثار من بقايا رجال كانوا احياء يوما ما .

وحيثما توجهت في القارة ، حتى في القصبات الصغيرة فثمة مكتبات ، كانت تستجلب نظري ، فاقف ممعنا البصر في عناوين كتبها القديمة والحديثة على حد سواء . اما الحالة في امريكا ، فيكفيك ان تعرف عنها ، انني ما ان القي نظرة عابرة على احدى واجهات المكتبات ، حتى يرتد طرفي حسيرا كئيبا ، لاني لن اجد ما يثير حماستي ، وينقع غلتي ، كان جميع الكتب ، والمجلات وكل شيء مطبوع (بما في ذلك المعاجم والموسوعات) موضوع من قبل ذهن رتيب واحد ، وذوق موحد ، وخيال سقيم اجوف ، الامر الذي يشير الى وجود عملاق (المال) لا يصدقه العقل ، يعمل جاهدا باسماء مختلفة ، كجون دو او اليوسيوس سمث .

ومهما تكن الموضوعات المكتوبة ، سواء أكانت علما ام رواية ، ام سيرة شخصية ام فلسفة ، فهي جميعا تنغمس في كلمات غروية مبهمة ، خالية المعاني ، ينفرط عقدها الملضوم بنظرة واحدة ...

ولا ريب انني غاليت فيما ذهبت اليه . فانا اعرف كما يعرف المثقفون الاوربيون كثيرا من الكتب الجيدة صدرت في امريكا في الخمسين او المائة سنة الاخيرة . ومع

ذلك فانا اصر على وجود وجاهة صادقة في جوهر اداتني الشاملة لادبنا . ومصداق ذلك يمكن التأكد منه متى ما حصرنا نظرنا في العشر سنوات ، او الخمس الاخيرة ، وهنا اذا ما قابلنا بين نتاجنا ونتاج القارة ادركنا جلية الامـر ، وادرك القراء انني لا اتكلم رجما بالغيب ، ولا انطـق عـن الهوى . اما الحقيقة العارية الداكنة فهي تشير الى اننـا جعلنا افراد شعبنا متعلمين، وبعملنا هذا اصبح متعذراعلى كتابنا المبدعين ان يجدوا قراء لكتبهم .

اما الناس المشغولون بصناعة الكتب ، والعاملون على ايصالها الى الجمهور ، فهم ـ في يومنا ـ يكنون اشـد السخرية للادب . يحاول هؤلاء التظاهر براي مؤداه ان الناس الذين قرأوا كتبا قليلة من قبل ـ يمكنهم ان استعانوا بكتب الجيب الصغيرة وما تحتوي عليه من تفاهات ـ ان يحصلوا على ذوق يؤهلهم لارتشاف مناهل الادب الرفيع، وهذه الطبقة من البشر تمثل نسبة من سكان بلادنا ؛ ولكن هذا القول لا يعدو كونه اكذوبة مفضوحة مزعجة مثيرة . وكيف لا يكون الامر كذلك ، ومطالعة الصحف الهزلـية ، وكتب الالغاز السخيفة ، لا تجدي فتيلا ، بل هـي تضـر ضررا اكيدا ؟

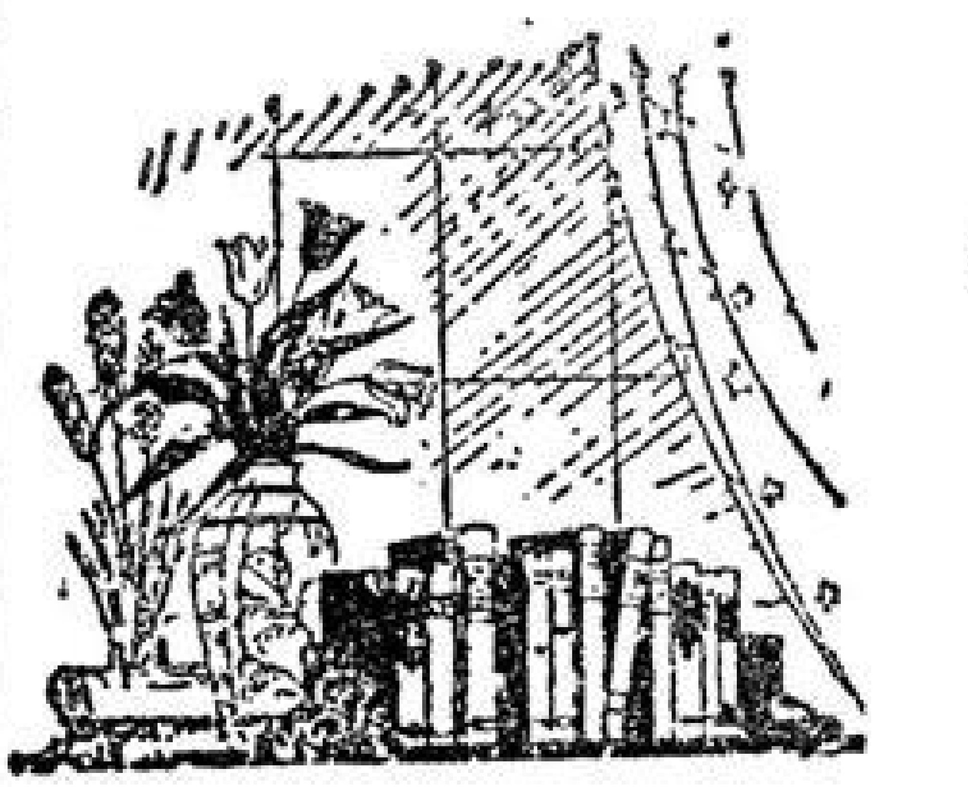
كان اطفالنا ، في عهد الرواد ، مطلعين على لغة الكتاب المقدس على الاقل ؛ واذا ما كابدوا شيئا من المشقة من جراء تحديد غذائهم الروحي ، فاذهانهم كانت بعيدة عن الفساد الذي نضح من لغة بعض المجلدات القليلة التـي كانـــت بحوزتهم اما اليوم فاحـــدنا يقشعر حين يرى الطعـام الذي يقدم الى صغاره ، وينتابه الرعب والجزع حين يلحظ ما يلتهمه الجنود في اوقات فراغهم ، ولكن الابطال قادرون على العيش على اي غذاء يقدم لهم ..

واليوم حيث تكثر النفايات ، كالصفائح الفارغـة ، والقناني المكسرة ، والكارتونات المشوهة ، على اطراف سبلنا وطرقنا، نجد نفايات اخرى تضاف الى الاولى ، فاينما تلفت فثمة مجلات ممزقة الاوصال ، وكتب صغيرة مبعثرة هنا وهنا ، هذا فضلا عن الكتب الهزلية ، ومن المعلوم ان هـذه الاكوام من الاوساخ ، كانت يوما ما الغذاء الذي يعتمد عليه جمهور قرائنا السادرين في جهالتهم . ومثل هذه القراءة تهضم بسرعة وتقاء ببطء ، او هي كفساد يقذف ومن هنا ، فان الافيون الادبي ، يتخذ له شكلا واسلوبا ، فيهما مـن الضحالة والسقم ، ما يمكن ان يتحولا الى موانع ادبيـــة عظيمة ، تضع حدا بين اذهان الناس في راحتهم ، وفيمـا يستقبلون من حياة عاصفة شديدة .

ومن هنا ، فان الضجة التي نستمتع بها ، ونتفنن في ايفاء حقها ، والتلذذ بمسراتها ، لا تنبعث الا من ذلك الادمان السقيم ، ادمان الخدر والسكر وذلك امر يعترف به كـل انسان في هذا العالم .

وهذه حقيقة ناصعة تجمعت لدي من احد ناشري كتب الجيب ، وهي تتفق مع ما اشرت اليه من مدة وجيزة ، ومن هنا ، فلم انت مهتم بما يجد في عالم الكتب ؟ ولم تعنى بالنسخ التي لم يصادفها النجاح ؟ ومع ذلك ، فانـه مـن المعلوم الذي لا يشاركه الخطأ في اي من مناحيه ، اننا نحن

الاديب



لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩

Tél. Direc : 23819 — Dle. : 25139

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

الذين نعمل في هذه الصناعة لا نرى بأسا في ان نقول بان الكتب التي لا تباع تحرق وينتهي امرها . وهذه السياسة توافق كل الموافقة سياسة وزارة الحربية ، وهذه هي الوسيلة الامريكية التي تميز بين النجاح والخيبة .

اما الاوربيون فيدعونها عبثا وسخفا ، واضاعة للوقت وهي في الواقع ، لا يمكن ان تعد الا نوعا من المسخ ، وهدر القيم ، والاعتداء على قدسية الفكر ، او انها في التحليل الاخير ، تتمثل في الجزاء غير اللائق على الجهد الانساني . . . وفي التحطيم والابادة ، والقضاء المبرم الاكيد على الفكر . واذا ما تمكنت هذه السياسة النذلة من التوفيق والفوز فان الادب سينمحق ، وينبعثر ، ويقضى عليه قضاء تاما ، وسيتدمر الادباء مع ادبهم تدميرا كاملا .

وكما هي الحالة ، فان دور النشر ، التي تدعى تجملا بهذا الاسم ، لا تعمل شيئا من اجل الادب ، بل على الضد من هذا الامر فهي تسعى جاهدة الى خنق هذه الحرفة بالتضييق على الارواح المبدعة الخلاقة وازهاقها . ومع ذلك ، فليس من علامة على الثورة والانتفاض ، من اجل اعادة المياه الى مجاريها ، والاستعادة بالاحوال الخيالية الادبية ، في القرون الوسطى ، لكي نؤسس من جديد نقابات الكتاب والطباعين وبائعي الكتب ، ومن اجل ان نخلق ادبا جديدا للقلة ، وهذا الامر ينبغي له ان ينجز في سبيل الحب ، من غير امل ولا رجاء ، او في سبيل المسرة ، لاننا لا نريد دراسة ولا فهما ولا ادراكا .

والقضية بالنسبة الي ، قضية حساسة تكاد تشير الى نهاية الحل ، واذا لم تحدث معجزة ، لايقاف هذا التيار عند حده فاننا — في خلاف ذلك مضطرون الى انتظار ما فيه بالغ الشؤم والخيبة والهلاك . ومع هذا ، فانا احد الشهود الذين يعتقدون بوجود المعجزات ، لانني وجدتها كثيرة في حياتي ولمستها لمس اليد . ومن هنا فلي ملء الحق ان اتنبأ بها في كل وقت وحين .

والشيء الذي لا شك فيه في مسالة المعجزات انها تحدث من غير ان يتوقعها احد . فهل من المدهش او الغريب ان نسمع باننا على شفا هذا التطرف ؟ وهل من العسير علينا ان نعتقد بان امريكا ، وهي في اوج قوتها ، موشكة على النهاية ؟ واذا كنت في شك مما اقوله ففكر في المع كتابنا ، واوسعهم سمعة ، وانظر الى ما يترجم من نتاجهم ، وما يعلقه النقاد الاجانب على مثل هذا النتاج ، انهم يعدونهم ممثلي امريكا ، ولكن هؤلاء الكتاب انفسهم يلحظون بأسى مأساة عامة الناس في امريكا . فمن هم هؤلاء وما الطابع الذي يدمغهم بطغرائه ؟

ان هؤلاء البشر ، ظاهريا على الاقل ، كانت تسنح لهم فرصة ذهبية ، من اجل التطور والرقي ، ليصبحوا يوما ما ممثلين — في ذلك — الانسان (الديمقراطي) الذي اطراه « وتمان » والبسه حلل المجد والسؤدد . ولكن التفت اليه اليوم قليلا وانظر اليه بعيون قادة الرأي وخيرة الكتاب عندنا ، فماذا ترى ؟ تراه انسانا ذليلا خانعا منبوذا لا احساس عنده ولا شعور ، حتى ليصعب عليك ان تكتب عنه شيئا « تراجيديا » لان الدراما نفسها ليست من الاشياء التي تتدخل في حياته . ذلك بانه اصبح موضوعا لا ذات له

اما النتاج « الادبي » الهائل الغث ، الجديد فهو لا يحسب لمثل هذا الانسان حسابا ، ولا يعيره بأيسر التفات ، لانه لا يعتبره الا رقما تافها وبيدقة من بيادق الشطرنج وضحية لمجتمع عديم الروح ، تتلاعب بمصيره اذهان كليلة مريضة هي اذهان اصحاب دور النشر الكبرى . صحيح ان سادته يحدثونه عن انقاذ العالم ، ويشغلونه بهذا الامر (المقدس) مرارا وتكرارا . الا ان هذا الانسان لا يعدو كونه اداة حقيرة بأيدي ماكنة (الذهن) وهذا ما يجعله يسلم ذاته بهدوء وسكون . فهو لم يغد بضاعة تباع وتشرى حسب ، بل هو اضاع كل قيمة ايضا . وشأنه في ذلك هو شأن كتاب القصة العلمية ، حين يعتقدون ، في خيالاتهم وتصوراتهم ، بانهم غادروا الكرة الارضية وشرعوا في التجول بين الكواكب السيارة .

ومن هنا فهو يتسكع من مكان الى اخر ، كالذين يمشون في منامهم ، من غير ان يكون له اختيار او حرية او ارادة او دافع نفسي . ذلك بانه نبذ كل تمييز ، واصبح سلبيا بمعنى الكلمة ، حتى غدا مستعدا لقبول اي احوال من الحياة تفرض عليه . اما المجال الحيوي الوحيد الذي ترك له فهو عالم الجرسمة حيث يقف الخيال الكاذب وقفته الاخيرة . واذا كان احدنا من الشجاعة بحيث يعتقد بالعلامات والنذر فغدنا ينبىء بالهلاك والدمار . وفي هذه الفترة التي يمكن ان نعدها خلودا ، تنتصب اذناي لالتقاط النغمات العذاب ، التي تبدو كأنها الحان قديمة مبتذلة ، متفجرة من اوتار قلوب الاوربيين .

قد يكون اهتمامي بالثقافة الاوربية ، بسبب علة نفسية ، او ربما كنت انسانا بعيدا عن عصري الذي اعيش فيه ولعلي لا ارتاح الا مع الدنكيشوتيين الاوربيين الذين يصرون على حقيقة وجودهم الفردي ، ويتحدثون عن المصير والغاية ، والانجاز وملء كلماتهم معان جليلة ، ذلك بانهم يرون الحياة مأساة ، فيها روعة وجلال .

وقد اكون من بشر العصر الحجري ، من هؤلاء الذين ينتظرون من الكتب اشياء غير مرئية تتمثل في قوى حرة طليقة ، ويزنون الزمن بلحظات الرجات والاكتشافات ، ويشكون من اجل الحصول على اليقين . واخيرا ربما كنت من طائفة المنجمين والسحرة ، الذين يعتقدون بان الارواح المبدعة ، وبضمنهم الكتاب انفسهم ، تحركهم قوى مجهولة لديهم ، متفوقة عليهم . وهم من اجل هذا الامر يدينون بالولاء لها ، ويطيعونها ، وهذا ما يجعلهم مفعمين بالحب والاحترام والتقدير .

انا لا اعرف ما الـذي يربطني بالاوربيين ، الا اذا استثنيت الشعور بالانسانية ، ولعل هذه الرابطة عروة وثقى لا انفصام لها ، تشد بين الانسان والانسان ، وبين الله والانسان . وحين يصبح الادب لعبة بيادق جامدة ، لا تفكير لها ، ينتفي وجود الذات او الموضوع ، المؤلف او الابداع . واذا ما صار الامر كذلك ، تحتم علينا الرجوع الى البودقة ، وغدا لزاما على الحياة نفسها ان تخلق من جديد .

العراق — بعقوبة — يوسف عبد المسيح ثروة

قصة لسومرست موم

بائع اليانصيب

ترجمة حسن السعران

○ ◯ ○

كانت الندبة الحمراء الكبيرة التي تكاد تملأ وجهه بشكل هلال يمتد من صدغه الى ذقنه اول ما حملني على الالتفات ليه . ولا بد انها قد تخلفت عن جرح كبير سببه حسب ظني ضربة سيف او شظية قنبلة . وهو ما لا يتوقع المرء رؤياه بهذا الوجه المستدير الشحيم المرح . وكانت ملامحه الصغيرة غير المميزة والخالية من اي مسحة معبرة مما لا ينسجم مع ضخامة جسمه البدين القوي وقامته المديدة بعض الشيء . وما رايته قط مرتديا سوى سترة رمادية كالحة ، وقميص خاكي اللون وقبعة عريضة بالية . انه ابعد ما يكون عن النظافة . وقد اعتاد ان يتردد يوميا — في موعد الكوكتيل — على فندق « بالاس هوتيل » في جواتيمالا . فيطوف بالموائد القريبة من منصة البار ويعرض على اصحابها اوراق اليانصيب . واذا كانت هذه الاوراق هي وسيلته الوحيدة التي يرتزق منها فلا بد انه يحيا حياة حقيرة اذ انني لم أر احدا يبتاع منه شيئا . وانما كنت اجد بين الحين والحين من يمنحه بعض الشراب فيقبله دائما ولا يرفضه . وكان يتسكع بين الموائد ويمشي مشية المعتاد على قطع المسافات الطويلة على الاقدام . وكثيرا ما يتوقف عند كل مائدة يعلن عن اوراقه التي يبيعها وعلى فمه ابتسامة رقيقة . واذا لم يجد من يكترث له يمضي في حال سبيله والابتسامة نفسها لا تفارقه . ورايتني اعتقد انه على الارجح مجرد شخصية تافهة لا تستحق الشراب .

وفي ذات عشية ، كنت اقف مع رفيق لي عند بار الفندق وقداسندت قدمي على حافة البار السفلى — وفي بالاس هوتيل يقدمون نوعا ممتازا من المارتيني — اقبل الرجل ذوالندبة، فرفضت عرضه بهزة من راسي ولعلها المرة العشرين التي اومىء له بالرفض كلما هم بعرض اوراقه علي . الا ان رفيقي هز راسه بمودة ولطف وحدثه بعبارة اسبانية قائلا :

— كيف حالك وحال الدنيا معك يا جنرال ؟

— ليست سيئة ، العمل كاسد وربما يسوء اكثر .

— ماذا تشرب يا جنرال ؟

— براندي

وامسك بالكأس نخب رفيقي وافرغها في جوفه ثم اعادها الى البار قائلا :

— شكرا اراك بخير .

ثم استدار ومضى في سبيله ، يعرض اوراقه ، على بعض الندماء من الواقفين الى جوارنا .

وسألت رفيقي : من يكون صاحبك هذا ؟ ندبة وجهه فظيعة للغاية .

— انها لا تزيد من جماله طبعا ! انه منفي من نيكارجوا . وهو مشرد عاطل كما ترى . وانا انفحه بضعة قروش بين حين واخر . لقد كان فيما مضى جنرالا من الثوار ، ولو ان ذخيرته لم تنفد لاستطاع قلب الحكومة ولصار الان وزيرا للحربية بدلا من بيعه اليانصيب في جواتيمالا . ولكنه اعتقل هو ورفاقه الثوار وقدم لمحكمة عسكرية . وامثال تلك المحاكمات كما تعرف سريعة في تلك البلاد . ومن ثم حكم عليه بالاعدام رميابالرصاص، على ان يتم التنفيذ غداة المحاكمة .

واظنه ، بعد الاعتقال كان على علم بمصيره . فامضى ليلته مع رفاقه الاربعة الاخرين في لعب البوكر ، واستخدموا عيدان الثقاب بدلا من الفيش . وقد اخبرني بانه لم يظفر بورقة رابحة . وانه لم يلق في حياته قط مثل هذا الحظ التعس فيالورق ولم يتحسن حاله طوال اللعب كله . ولما طلع الفجر واقبل الجند الىغرفة السجن لبدء تنفيذ الحكم ، كان قد خسر من عيدان الثقاب اكثر مما يستخدمه عادة رجل واحد طوال حياته .

وقادهم الجند الى فناء السجن وشدوا وثاقهم امام حائط ، الخمسة جميعا جنبا الى جنب . ومن امامهم فريق الرماة . واعقب ذلك مهلة وانتظار ، فسأل صديقي الضابط المكلف بالامر : فيم ذلك الانتظار ؟

فأجاب الضابط ان الجنرال قائد قوات الحكومة يرغب في حضورتنفيذ الحكم وهم في انتظار وصوله .

فقال صديقي : اذن فهناك فسحة من الوقت لتدخين سيجارة اخرى . فالقائد عادة يتأخر دائما .

ولكنه لم يكد يشعل سيجارته حتى اقبل الجنرال ولعلك سمعت عنه فهو يدعى سان انجاشيو ، يحيط به جمع من الحراس . وما ان بلغ فناء السجن حتى شرع في اتخاذ الاجراءاتالمعتادة في مثل هذه الظروف . فسأل المحكوم عليهم بالاعدام اذا كان هناك ثمة شيء يرغبونه قبل تنفيذ الحكم .

وهز الثوار جميعا رؤوسهم بالنفي ما عدا صديقي الذي صاح وحده قائلا :

— نعم اريد توديع زوجتي !

فقال القائد : حسنا ، ليس ثمة اعتراض على ذلك ، اين هي ؟

— انها تنتظر عند باب السجن .

— اذن لن يؤخر هذا تنفيذ الحكم عليك غير خمس دقائق . فأجاب صديقنا : على اكثر يا سيدي القائد.

— ابعدوه عن رفاقه .

وتقدم جنديان ، وسار الثائر بينهما الى المكان الذي اشار اليه . واصدر الضابط المكلف بتنفيذالاعدام عقب اشارة من القائد — الامر باطلاق الرصاص . وما هي غير لحظة خاطفة حتى خر الرجال الاربعة وسقطوا سقطة غريبة ، اذ انهم لم يسقطوا

جميعا دفعة واحدة ، ولكن واحدا بعد الاخر كأنهم دمى تمثل على خشبة المسرح . وتقدم منهم الضابط ثم افرغ رصاصته على جثة كانت لا تزال فيها بقية من حياة. اما صديقنا فقد انتهى من تدخين سيجارته فالقى بالعقب بعيدا .

وكان هناك حشد من الجماهير عند باب السجن وتقدمت امرأة الى صدر الفناء بخطوات سريعة ، وقد وضعت يدها على قلبها . ثم توقفت فجأة وصرخت صرخة شقت عنان الفضاء ، وفتحت ذراعيها مندفعة راكضة ..

فقال السجين : زوجتي .

كانت في ثياب سود ، وعلى شعرها وشاح ، ووجهها في بياض الموت . وما كانت تبدو باكبر من فتاة فهي رقيقة الجسم حلوة الملامح واسعة العينين . ولكنهما يتقدان بالالم والحسرة . كانت باهرة الجمال الى حد انها عندما تقدمت نحو زوجها بدا جمالها حتى في ومضة اللوعة الممضة التي افتر عنها ثغرها ومسحة الاسى التي ارتسمت على محياها ، وقد تطلع الجنديان اليها في دهشة بالغة . والقت بنفسها بين ذراعي الثائر الذي تقدم خطوة او خطوتين للقائها . وصرخ هو الاخر صرخة عاطفية حارة « يا روح قلبي ! » ثم راح يقبلها في لهفة . وفي نفس اللحظة استل في سرعة البرق سكينا من بين طيات قميصه الممزق ـ ولست ادري كيف احتفظ به ـ وطعنها في عنقها فتدفقت على الاثر دماها غزيرة وصبغت قميصه . ثم احتواها بذراعيه مرة اخرى وقبلها بكل قواه.

حدث ذلك كله في سرعة خاطفة حتى ان الكثيرين لم يعرفوا ماذا جرى . وصاح فريق من الناس صيحة فزع ، واندفعوا يمسكون بخناقه ويفكوا ذراعيه من حولها . وكادت المسكينة تقع على الارض لولا ان امسك الحرس بها وطرحوها على الارض فاقدة الوعي . ووقفوا يتطلعون اليها والسخط واضح على وجوههم ، لقد عرف الثائر اين يطعن طعنته فكان من المستحيل ان يتوقف الدم . وما هي الا لحظة حتى نهض الحارس الذي جثى بقربها وقال

هامسا : ماتت .

ورسم الثائر علامة الصليب .

ولما سأله القائد : لم طعنتها ؟

اجاب : لانني احبها .

وتأوهت الجماهير المحيطة وحملقت الى القاتل في غرابة ، وتطلع القائد اليه برهة في صمت ثم قال اخيرا : « هذه فعلة نبيلة ، انا لا استطيع اعدام ذلك الرجل ، خذوا عربتي وانقلوه الى الحدود . انني يا سيد رجل شجاع بقدر شجاعتك . »

وعلت همسة راضية ممن استمعوا العبارة الاخيرة ، وربت الحارس على كتف الثائر . ومشى الرجل في حراسة الجنديين الى العربة التي في الانتظار ، دون ان يفوه بكلمة .

وتوقف محدثي ، وسكت لحظة ثم مضى يقول : لا بد ان اذكرلك انه من اهل جواتيمالا وانه كان يحدثني بالاسبانية وقد ترجمت اليك ما رواه باحسن ما استطيع ولكني ، لم احاول ان اقلل من نغمة روايته او لغته العاطفية .

والحق انها نغمة تتناسب وجلال الرواية .

فسألته اخيرا : ولكنك لم تخبرني كيف اصيب بهذه الندبة ؟

ـ اوه ، انها بسبب زجاجة جنزبيل انفجرت بينما كنت احاول فتحها .

فقلت : لست اطيق هذا الشراب .

حسن السعران

عند شط المساء

لكامل سعفان

القاهرة

كلنا نعرفه ..
شد ما نألفه ..
غير أنا ـ معا ـ قل ما ننصفه !!
انه عامل في طريق طويل
أثقلت ظله خطوات الاصيل
ومضى ـ لا يني ـ وبدون دليل
فالتقت في يديه شعاب القدر
بضباب كئيب
وارتمى ظله عن طريق البشر
في سكون رهيب
وكأن الحياة .. لم تكن منذ حين
غنوة ساحرة
فأزاح الرفاق التراب المهين
وبنوا مقبرة !!

★

كان في حيّنا ..
كلّ حيّ هنا ..
كالنشيد البعيد يهيب بنا
واستوينا نردد انغامه
وخطونا نقلد أقدامه
وصبونا تُساقط ايامه
فتمطى الضباب الكثيف بنا
في طريق وضيء
وتهادى الضياء باعتابنا
في هدوء بريء
واستراحت متاعبنا .. والتقت
نظرات الرفاق
في ابتسام يحدد ما كابدت
من عناء السباق!!

★

وترامى البصر
في طريق القدر
كان شيء يراعش بين الحفر
ويشد اليه خيوطا تروع
ويكاد يدّق علينا الضلوع
كان حس بعيد المدى .. كان جوع
وحبتنا السماء بشمس سخية
ألهبت ظلنا

فرفعنا اليها ظهورا تمرية
فشوت عرينا
وظللنا وراء أخي نرفع
في البناء الكبير
وأخي لا يكاد بنا يطمع
في طعام حقير !!

★

واستراح الافق
في لهيب الشفق
واخذنا نلف بقايا الرمق
في خطانا .. ونصطنع المستحيل
واخي ينشد.. وخطانا تميل
في شرود تخطى ظلال النخيل

وكأن الحياة بنا تصنع
قصة تافهة
لم تكن بيننا أعين تدمع
أعين والهة
والبناء الكبير يطول بنا
وتدقُ «السقالة»
وكأنا نشيّع في ركبنا
ميتا .. لا محالة ! !

★

وتراخى الغناء
شائها كالعواء
وتمطت خطانا تزيح القضاء
وتلوت ظلال الرفاق ثقيلة
وتبدى المساء خطوطا طويلة
وكأنا معا فكرة مستحيلة
لم نكد نلتقي في التماع الشفق
لم نكد..لم نكد!!
كان من بيننا قدر منطلق
بعد.. أي غد !!
وافتقدنا أخي بعد يوم طويل
لم يكن بيننا
لم يكن ذلك القادر المستطيل
واضحا.. بيّنا !!

★

أين ولى وراح ؟!
شغلته الجراح !!
ومضى في طريق عميق متاح
للاولى ارخصوا جهدهم للحياه
لاخي .. ولمثل اخي.. للحفاه
العراة الجياع .. عيال الاله
وأنا والرفاق سنمضي معنا
وسنمضي بعيدا
ليس من يملك بيننا أدمعا
واخي لن يعودا
وغدا نعمل ليتم البناء
البناء الكبير
وسيبقى اخي عند شط المساء
راضيا بالمصير !!

حكاية الفكر في حلب

بقلم علي الزيبق

° °
°

كم ترجعت في صدري حكاية الفكر في حلب ، وانا اهدهدها آنا وآنا كلما همت بالانفلات من محبسها ! حتى اذا لم تعد الى الصبر سبيلا ، صغتها حروفا حملتها ملء الحقيقة الصاخبة في حناياي !

فاذا تلقاني حاقد (ظن) انني انتقصته حقا ، واذا تلقاني باش (خيل) اليه انني صافيته ودادة ، فانني في الحالين قد اصخت السمع الى هتاف الوجدان ، مرددا ما قاله ارسطو لافلاطون : « الحق وافلاطون صديقان حميمان ، ولكن صداقتنا للحق اكثر من صداقتنا لافلاطون ! »

بيد ان الدكتور محمد يحيى الهاشمي سبقني الى سرد بعض فصول هذه الحكاية منذ حوالي خمسة عشر عاما ، فقد نشرت له الاديب الزاهرة (١) موضوع « الحياة الادبية في حلب » مما اثار ضجة فيها (٢) ، كما اثار النقاش عن في حلب » مما اثار ضجة فيها (٢) ، كما اثار النقاش في الحديث عن الادب والادباء في صحافة حلب (٣)

ولعل ذلك يعود الى انه كان مسهبا حينا ، موجزا حينا ، وثمة اشخاص لم يخطروا بباله : للمصادر الضئيلة التي كانت لديه ، او لانهم كانوا اضناء بنشر آثارهم ، وحتى هذا الذي نشروه تلقفته اشداق النسيان !

اما الان ، وقد تقضت تلك السنون ، فما حال الفكر في حلب ؟ وما حال رواده ؟ وهل من جديد ؟!

لا ريب في ان الفكر في حلب (بعل) (٤) : لان الارض ، والمتحد الاجتماعي اللذين خلقاه هما (بعل) !

فأما الارض ، فلم يعد يبل اوامها نهر (قويق) كما كان قبيل الحرب العالمية الاولى ... فيبست جنائنها الفن ، ولم تعد تنبت شاعرا للطبيعة ، يضمخ حنينه بحنينها ، كما انبتت من قديم شاعرها (ابو بكر الصنوبري) (٥) الذي طالما بز (ابا اسحق ابراهيم ابن خفاجه) في كثير من قصائده ولهذا ، فلا عجب ان لم نجد للطبيعة الجذلى ظلالا غنية في جل سفحه الحلبيون على الطرس !

واما المتحد الاجتماعي ، فلا يهتم بالعلوم ، والاداب ، والاجتماع ، والفنون ، اهتمامه في عهد سيف الدولة الحمداني : فقد طفقت روحه تجف قطرة قطرة ... لتحل مجلها المادة بكل معناها العميق ... وهكذا لا تشاهد في الشهباء نديا يرتاح اليه الفكر ، مع ان هناك ست عشرة جمعية ثقافية قائمة ! وكدت استثني النادي (الكاثوليكي) ونادي (النهضة) لولا انهما عبا من نبعة الصمت ما اسكرهما ... وكذلك جمعية (العاديات) ، فقد ظلت منكمشة على نفسها ، ولم يتردد عنها صدى اي اكتشاف علمي ... وتجدر الاشارة في هذا المقام ، الى مؤسستين رسميتين هما : دار الكتب الوطنية ، ومذاعة حلب (٦) . فقد كان المعول عليهما ان تكونا للفكر منطلقا . الا ان الظن خاب فيهما ... لان دار الكتب الوطنية لم يكن لها من اثر في بعث الحياة الفكرية في حلب ، على رغم ما تقدمه من محاضرات لا تخضع لنقاش (!) وما ذلك الا لان اكثر محاضريها — ان لم اقل جميعهم — ليسوا من حلب . وعندما سألت مديرها السابق الاستاذ سامي الكيالي عن السبب صرح لي بانه يود ان يعود الجمهور الحضور الى قاعة محاضراتها بوساطة دعوة رجال الفكر من خارج حلب ، حتى اذا وافى بغيته دعا عندئذ رجال الفكر من حلب ! وكذلك صرح لي خلفه الاستاذ جلال زهدي الملاح ، فانه ما اربى شيئا على مدعاه !! واما مذاعة حلب ، فلعلها اشفق لولا ضيق وقتها ، والشكوى الملحة من فقدان الخبراء الاصيلين فيها : مما لا يدعها تؤدي رسالتها تامة . كما ان باب التشجيع موصد في وجوه النابهين حتى دب اليأس في الاعراق من كل اصلاح فراجت سوق السياسة ، وكسدت سوق الادب ، وان كان ثمة من عزاء في ناشئتنا ، فحتى هؤلاء امتدت اليهم اصابع التهريج الحزبي ، فضاعوا في مفترق السبل ، وتفشت بينهم تلك المجلات الرخيصة ، والكتب الخليعة ، كأن نتاج الفكر الراقي عندهم لا يقرأ في كتاب او في مجلة ان لم يكن ذلك الكتاب وتلك المجلة مزدانتين بصور بنات الهوى !

ولعل هذه الحال المزرية التي آلت اليها الشهباء من قبل الحرب الكونية الاولى وحتى الان ... قد سببت في هجرة عدد غفير من رجال العلم ، والادب ، والفن ، والصحافة وهكذا رحل ساطع الحصري (٧) وعادل الغضبان الى مصر ، وقدري القلعجي ومروان الجابري الى بيروت وسامي الدهان ومجمد اسعد طلس ، وظافر الصابوني وبهاء الدين شوقي الرفاعي واحمد طلس الى دمشق ، وشفيقة سعيد

---

(١) ايلول ١٩٤٣ . (٢) تشرين الثاني ١٩٤٣ ، كانون الاول ١٩٤٣ . (٣) راجع ما كتبناه في مجلة (اللواء الاسبوعي) الحلبية المحتجبة في عدد ٥٢٨ـ عام ١٩٤٤ ، عدد ٥٢٤ـ عام ١٩٤٥ تعليقا على رأي منسوب الى سامي الدهان ، ورد على ما كتبناه في العدد ٥٢٩ ، ٥٢٥ ـ عام ١٩٤٥ لاحمد الشراباتي . (٤) يطلق الحلبيون كلمة (عدي) على كلمة (بعل) .

(٥) لم يطبع غير جزء يسير من قصائده باشراف الشيخ راغب الطباخ ، وسيطبع ديوانه كاملا بتحقيق الدكتور سامي الدهان . (٦) راجع ما كتبناه في جريدة (نداء الجماهير) الحلبية المحتجبة عدد ٤٦ عام ١٩٥٥ بعنوان : « اين الادب في محطة اذاعة حلب » وما كتبناه في جريدة (التربية) الحلبية عدد ١٢٥٢ عام ١٩٥٧ بعنوان : « رأي ورد على مدير

الى استراليا ، وابراهيم مجاهد الجزائري الى نيويورك . كما سكنت اقلام في مستهل نموها ، فلم نعد نقرأ لاسعد المحفل ، وانيس نصر ، واديب نحوي ، وجورج شاشاتي ، وماجد ابو قوس ، وخالد حمدي ، وتوفيق راشد ، وبارسيخ شاتوشاتويان .

واذا كان للمجتمع مثالب ، فان لرجال الفكر ايضا مثالب ، لان عليهم تقع مسئولية تجديد الحياة ! فهم «منار الجماعات لا مرآتها » . ولعل اهم مثالبهم هي : اولا : الكسل فما اوفر الكسولين ... اولئك الذين اذا واتاهم الوقت انسلوا منه ! فآنسوا في جلبة النرد ، وقرقرة النرجيل ، لذة لا تعدلها لذة القراءة والكتابة ... حتى اذا طلب منهم قصيد ، او مقالة ، او محاضرة ، راحوا يجترون ماضيهم ويعيدونه قزما مفوفا باثواب مضحكة ...

ثانيا : الغرور - فعسير اقناع الكثير بانه ليس اديبا كبيرا ، او قاصا معروفا ، او شاعر العرب الاكبر . وعسير اقناعه بانه لم يأت بالجديد ، ولم تكن له مدرسة ! وربما يأنف بعضهم من ذكر اسمه في مجموعة الاسماء التي سأعرضها ! وليته عند هذا الحد ... ولكن لم يعد يرضيه نتاج غيره ايضا !!

ثالثا : الحسد وتنطبق الحكمة القائلة : « لله در الحسد ما اعدله ! بدأ بصاحبه فقتله ... » على الاكثرية . فان ركونهم الى الكسل غير كاف حتى تجدهم يحسدون من يذوب عيونه على القرطاس ، ويكونون جلمودا وعوسجا في دروبه ! ولهذا اثره البعيد في عدم وجود رابطة فكرية فعالة بحلب . وكم سعيت مع الدكتور محمد يحيي الهاشمي والاديب فاضل السباعي الى تشكيل هذه الرابطة ، فضاعت جهودنا سدى ! فقد كنا اذا عقدنا اول اجتماع حضر العدد الجم ، حتى حان ميعاد الاجتماع الثالث لم يجتمع غير ثلاثتنا

رابعا : الانطواء - اولئك الذين ينطوون على ذواتهم في توقعة : فيرصفون الحروف لانفسهم ، او لست ادري .. فقد يرصفونها لعالم غير مرئي لا تلامسه عيوننا نحن البشر ! وان كان لهم عذر في ان العالم الداخلي الذي يحيونه غير العالم الخارجي الذي يباغتهم بصوره ، فقد جهلوا بان « الانسان - المجتمع » !!

خامسا : النفعية - فقد بلغ ببعض من يعاني صناعة القلم انه لن يكتب ، او يحاضر ، الا ابتغاء المادة ، والمادة وحسب ...! وهذا ما حدا به ان يخرج ادبا (تجاريا) للتصدير والاستيراد ... واذا كان شفيعه قول « الخبز اولا والتفلسف ثانيا » فما شفيعه وقد أثرى ؟ وهل يكون احترم ملء المثال الاعلى في حناياه ؟!

لذلك ، فالاثر الفكري في حلب قد لا يخلو من السطحية عند بعض ، كما لا يخلو من العمق عند بعض .

اما الوان هذا الاثر فانها متعددة . لكنها لا تتركز في مدارس كالتي طلعت بها القرون الوسطى . ومن الخطل الاعتقاد بوجود ثلاث مدارس : قديمة ، حديثة ، ومدرسة تحاول التوفيق بينهما : فهذا لا يصح في النثر ، كما ان الشعر فيه القديم ، او الحديث ، وليس فيه بين بين .

فالنثر يعني بالمقالة ، والنقد ، والمسرحية ، والقصة ، والاقصوصة . الا انه في اكثره ناء عن ساحة الشعب ، وروح العصر ، والانسانية ! وقد قل المجددون في اساليبه ، بل ندر ان تجد نثرا لا يذكرك بمصطفى المنفلوطي ، وجبران خليل جبران ، والجاحظ ، وطه حسين ... وما اوفر التعابير (الكليشهات) التي تعاد مكرورة كأن لم تمزقها ايدي البلى ! وما اقل الذين يحيون اللفظة ، ويهتمون بالكلمة ! غير ان التجديد قد حالف الطريقة ، والعرض ، عند القليل . الا ان ذلك لا يزال في بدء الطريق ، ولم يتسم بسمات بينة ! اما « النثر الشعري » فلا يزال يرنق بجناحيه ولم يتح له مبدع كالياس خليل زخريا في ثمالاته !

وللشعر مدرستان : قديمة ، وحديثة . وتقوم المدرسة القديمة على تقليد الشعراء القدامى في اساليبهم ، والفاظهم ، ومعانيهم ، وخيالاتهم ، وموسيقاهم ، تقليدا يهيب بنا ان نرثي لهم لما نكبوا به ! الا ان حائط هذه المدرسة طفق ينهار ! وتقوم المدرسة الحديثة على نظم شعر موزون يختلف عن شعر المدرسة القديمة بخياله المعقد والبسيط ، وموسيقاه التي ترسم في اهتزاز امواجها ما يمور في الضلوع من حنين ، ومعانيه التي لا تخلو من الجدة ، والفاظه الرقيقة المانوسة ، واوزانه القصيرة ، التي تتسع وتتسع للزفرات والمشاعر . واما « الشعر الطلق » فلا نجد شاعرا اصيلا اجاده اجادة البير اديب وثريا ملحس .

وفيما يلي عرض موجز لمن اسهم في الحياة الفكرية :

فاضل السباعي

اديب خصيب ، منضور الخيال ، روي الاسلوب ، رنان العاطفة ! عاش « التجربة » في اقاصيصه الشعبية (8) التي يحوكها على منسج الابداع منذ عام ١٩٥٥ . ولولا خشيتي من ان يطوي جناحيه الزفافين على القمة الشماء لقلت : انه خير من يكتب الاقصوصة السورية ! وكيف لا يكون كذلك وله « الجزاء » (٩) و « العيد بعد ايام » (١٠) ، و « الناس » (١١) ، و « الشوق واللقاء » (١٢) ؟

اما الاقاصيص التي فطرها قبل عام ١٩٥٥ فان دلت دلت على قصو المدى الذي جازه ... ولعل ذلك مرده الى وفرة المطالعة التي يصقل بها الموهبة ، فهذا باد على نتاجه الاخير ان في اقاصيصه الجزيلة ، او في دراساته الطفحى مثل : « مأساة نفيسة كامل علي في بداية ونهاية لنجيب

دار الكتب والدكتور الهاشمي حول مشروع انشاء جامعة سورية بحلب » .

(٧) قدرته بلدية حلب باشتراء مكتبته التي تضم ٩٩٢٥ بين كتاب ومجلة وتقارير باربعين الف ليرة سورية عام ١٩٤٨ ، كما اطلقت اسمه على مدرسة نموذجية حديثة انشأتها من ماليتها الخاصة .

(٨) راجع ما كتبناه في الاديب يناير ١٩٥٧ بعنوان « فاضل السباعي والقصص الشعبي » .

(٩) الاديب نوفمبر ١٩٥٦ . (١٠) الادب اكتوبر ١٩٥٦ . (١١) الاديب ديسمبر ١٩٥٦ . (١٢) الثقافة الوطنية حزيران ١٩٥٧ . (١٣) الاديب اب ١٩٥٦ . (١٤) الاديب مايو ١٩٥٧ . (١٥) حزيران ١٩٥٦ . (١٦) يستعد الان لطباعة مجموعة اقاصيصه الاولى وعنوانها « الشوق واللقاء » وبقية نتاجه منثور في مجلات سورية ولبنانية ومصرية . (١٧) من محاضرة القاها في مؤتمر تاريخ العلوم الدولي بفلورنسا عام ١٩٥٦ . (١٨) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ايلول ١٩٣٢ . (١٩) من محاضرة القاها في مؤتمر تاريخ العلوم في كيل عام ١٩٥٥ ، وتدرج هذا الاكتشاف في مصنفات سدهف لتاريخ العلوم في جامعة بون . (٢٠) من محاضرة سيلقيها في مؤتمر الاتحاد العلمي العربي الذي سيعقد في بيت مري في خريف

محفوظ » (١٣) ، « وداد سكاكيني والابداع الفني » (١٤)، « انا الشعب لمحمد فريد ابو حديد » (١٥) .

ولا ادري اكنت له منصفا ، ام ظالما ، اذا احببت ان يتفرغ الاديب السباعي للقصة تفرغا ، ولا سيما الطويلة منها : فاننا وان لم نجده قد عالجها ، الا ان في بعض اقاصيصه ما يبشر بها ... فلعله اذا هجر المقالة ، والنقد، والبحث ، يتحف المكتبة العربية بأدب اكثر خلودا (١٦) .

الدكتور محمد يحيى الهاشمي

ما اغنى الثقافة التي يجرع منها ! فقلمه ابدا يجوس مدى العلم ، والتاريخ ، والادب ، والفن ... الا انه الان قد استجاب الى ميله الطبيعي ، فلم يعد يغوص الا في خضم العلوم ...

انه العالم الحلبي الفرد الذي طالما سجل اكتشافات علمية قيمة : فوضع طريقة جديدة لتحليل المعادن بواسطة اصباغ الزجاج ، وكشف عن عنصر « الكوبلت » دونما الاستعانة بالكحول « الاميلي » وبين الخاصية الكهربائية لجوهر « البجادي » . كما عزا اسبقية اكتشاف انابيب الرعد ــ التي تتكون في الصحراء عقب الصواعق ــ الى « ابن سينا » لا الى البعثة الفرنسية الجيولوجية التي كشفتها عام ١٩٣١ (١٧). كما اوضح بأن «اخوان الصفاء» تقدموا على « يوهنا فالتر » في نظرية تكون الصحراء (١٨)، وان التحريات الحديثة عن مناجم « الزمرد » في مصر لم تزد شيئا عما عرفه « احمد بن يوسف التفاشي » الذي عاش في القرن الثالث عشر ، وان علماء العرب هم اول من اوجدوا نظرية « النسبية » (١٩) ، وان بدء علم الجيولوجيا لا يبدأ ب « ليوناردو دافينتشي » وانما هناك مصادر عربية قديمة تشير الى ذلك (٢٠) .

ومن اجل هذه الشهرة العلمية التي يكلل بها جبينه فقد استدعته الجامعة الهندسية بشتوتغارت لالقاء محاضرات عن العلوم الطبيعية عام ١٩٥٥ (٢١) ، كما اصبح من محرري مجلة « الجامعات » التي تصدر في شتوتغارت.

فلا عجب ــ اذن ــ اذا وجدنا الدكتور الهاشمي يلتفت الى الغرب الان ، بعد ان لاقى من الشرق الجحود ! ! (٢٢).

خليل هنداوي

قرات له شعرا ونثرا ؛ قرات ما فاض من اعماقه ، وما ترجم لغيره ، او لخصه ، فأعجبت عجابا بكل ما كتب قبل عشر سنين !

اما الان ، فلا ادري لم يهزني هزا ، وعهدي به ذلك الجواد الذي لم يكب في ملعب ، ولم يلجمه لجام !

وقد يقول لي قائل : اكل هذا تجنيت على « ابي روحي » ؟ فأجيب : انني لن اتلاقى معه وهو يضلل ناشئتنا بقوله : ان « خليل المادي » قتل « خليل المثالي » ، وان « الخط المستقيم بين الخطوط الموج اعوج ... » . فاذا كانت هذه شهادته في حق نفسه فهل اكون قد جرت عليه ؟

ان هذا الاديب النابه المخصاب قد حلق وحلق ... حتى اذا شارف القمة هبط السفح وقد نسلت من ريشه دواعب الارياح !

انه الان يخضب بعض المجلات بأدب « تجاري » في كثيره ، كما يطالعنا ، كل حين ، بزاوية « ادبية » في مذاعة حلب لا يكون فيها مبدعا ... فكأنه لم يعد يكتب مثل « كلمات لآلان » (٢٣) ، و « رسالة الاديب » (٢٤) ، و « في لجة المصير » (٢٥) ، و « شجرتي الضالة » (٢٦)، و « سارق النار » . وكأنه لم يعد يترجم بتلك اللغة العذبة المشرقة كما ترجم « اغاني بيليتيس » .

واني لارى انه لو تخلى عن « المادة » تخليا لوافانا بنتاج اخصب . لاسيما وان له ذلك الاسلوب السلس ، والخيال القصي ، والطريقة المستحدثة ، واللغة الرفافة الفصحى (٢٧).

عمر ابو ريشه

هذا شاعر من عبقر . تقرؤه في ملامحه فتقول : هذا شاعر الملاحم . وتقرؤه في وطنياته فتقول : هذا شاعر الوطن . ولكنك ما تكاد تقرؤه في غزله حتى تقول : هذا ليس شاعر الغزل : فان طبيعته العنيفة الجافة لا ترنحها آهة العاشقين ، ولا تدلهها رقة العاشقين !

سئل الشاعر بشاره الخوري عنه فأجاب : « يلوكني هذا الفتى كأنه لم يقرأ سواي وكأنني اصبحت قسما منه » (٢٨). ولا ريب في ان من شعر ابي ريشه ما يذكرنا بشعر الخوري كقوله : (٢٩)

ما على الورد ان ذوى بعدما طيبه انتشر

وقول الخوري (٣٠) :

غاية الورد ان يضمخ هذا الجو بالمستحب من نفحاته
ما عليه ان جاز غايته القصوى وعد الزمان من ساعاته

وقول ابي ريشه (٢٩) :

ما اظن الاقفاص مهما ادلهمت تسلب الطير لذة الانشاد

وقول الخوري (٣٠) :

افذنب الهزار ان هامت الاقفاص بالساحرات من آياته

وغير ذلك ...

الا ان الخوري بالغ ، في رأيه ، وقد ظلمه ...

ومنه ما يذكرنا بصلاح الاسير كقوله : (٣١)

انا يا رمال وددت لو كنت السراب على الرمال
بي من دجى المجهول حلمك انت بالماء الزلال

هذا العام . (٢١) بينما نجد حكومة حسني الزعيم قد سرحته من كلية الهندسة التابعة للجامعة السورية ، ويشغل الان وظيفة استاذ في احدى ثانويات حلب (!) على الرغم من القائه محاضرة قيمة عن الفوسفات على مدرج الجامعة السورية في شباط عام ١٩٥٦ . (٢٢) اصدرباللغةالعربية: الامام جعفر الصادق ملهم الكيمياء ، المثل الاعلى في الحضارة العربية ، لغز ابي العلاء ، القضية الفلسطينية وطرق حلها ، ورحلتي الى منطقة القطب الشمالي . ويعد للطباعة « النسبية في الفلسفة والعلوم » وقد امضى في تأليفه زهاء سبعة عشر عاما . كما له مؤلفات باللغة الالمانية من بينها شعر لم يعنونه بعد . (٢٣) ، (٢٤) الاديب تشرين الاول ١٩٤٣ . (٢٥) الاديب ايلول ١٩٤٦ . (٢٦) الرسالة ــ عدد ١٢١ عام ١٩٣٥ . (٢٧) اصدر : سارق النار ، ارم ذات العماد ، الحب الاول ، صفحة من حياة باريس . (٢٨) ابعاد لانطوان كرم . (٢٩) من ديوانه شعر . (٣٠) كتاب

وقول ابي ريشه : (٣٢) :

ان تهتكي سر السراب وجدته — حلم الرمال الهاجعات على الظما

ومنه ما يذكرنا بعمر الخيام كقوله : (٣٣)

ان تلاقيتم اخلاي يوما — فاطيلوا ذكراي عند اللقاء
واذا ما اتى لدى الشرب دوري — فاريقوا كاسي على الغبراء

وقول ابي ريشة : (٣٤)

تجمع الخمر شملهم فيخلون — فراغ اتكائه واستناده
كلما مر ذكره قلبوا الكاس — على الارض حسرة لافتقاده

ومنه ما يذكرنا بالمتنبي كقوله :

ما زلت اضحك ابلي كلما نظرت — الى من اختضبت اخفافها بدم
اسيرها بين اصنام اشاهدها — ولا اشاهد فيها عفة الصنم

وقول ابي ريشه: (٣٥)

امتي كم صنم مجدته — لم يكن يحمل طهر الصنم

وهناك اشعار ـ غير ما ذكرت ـ لغيرهم من الشعراء ، قد اخذ معناها ابو ريشه وصاغها بقالبه الجديد ... غير ان ذلك ، ان كان مثلبا في شعره ، الا انه لا ينتقص من شاعريته : ولعل ذلك كان توارد خواطر او ما يسمى بـ « وقع الحافر على الحافر » . لم يكن هو الشاعر الوحيد الذي وقع فيه ، فان « المتنبي » قد اخذ كثيرا من المعاني لغيره من الشعراء وصاغها باسلوبه القوي !

غير ان عمر لم يعد يحلق منذ صدور ديوانه الاخير « من عمر ابو ريشه ـ شعر » فقد شرع ينقد فيه نفسه بنفسه ناشرا « تسع عشرة قصيدة من القصائد التي كان يحفل بها ديوانه السابق بتغيير في العناوين في عدد منها ، وتحوير في ابيات بعضها الاخر متوجا بتوطئة نثرية » (٣٦) مع انه ابدى تبرمه الشديد بديوانه (شعر) في اكثر من مرة . ولهذا فان عمر الذي كنا نحبه فينشدنا بالقائه الرائع من شعره الجيد المبتكر قد بدات تجف الخمارة التي في حناياه فلم يعد ينشدنا مثل :

ربواامعتصماه انطلقت — ملء افواه الايامى اليتم
لامست اسماعهم لكنها — لم تلامس نخوة المعتصم

الدكتور سامي الدهان

« ان ابرز ما يتحلى به الى جانب ثقافته الغربية هو هذا الايمان ، الايمان بعظمة ماضينا والاعتزاز بثقافتنا العربية . ولذلك رأيناه يتحول عن التاليف الى البحث عن المخطوطات العربية القديمة » . (٣٨) .

في ابحاثه دقة العالم الذي عبق بالحقيقة ! وفي اسلوبه تتلألأ اللغة العربية تلالؤا . فهو من الذين يعنون باساليب بيانها المشرقة ، ويؤمنون ايمانا بامكانياتها الفنية ، واعتباراتها الواسعة . لذلك لا تجد فيه موشى الكلام ، وانما تجد الكلام المنتقى المأنوس

نقد وعرف عشرات الكتب النثرية مثل : معجم اللسان العربي الفصيح لتيودور نولدكه (٣٩)، الشعر العربي في المهجر لمحمد عبد الغني حسن ، ابن الحريري ومقاماته للدكتور محمد احمد الصديقي ، شاعران معاصران للدكتور عمر فروخ ، (٤٠) صحيفة الدراسات الشرقية (٤١)، والورقة لمحققه الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار احمد فراج (٤٢).

كما نقد وعرف كثيرا من دواوين الاقدمين كابي الاسود الدؤلي لمحققه عبد الكريم الدجيلي (٤٣). ولم يهمل دواوين الشعراء المعاصرين فقد قال عنها في مستهل حديثه عن ديوان نجوى لعدنان مردم بك : « كتبنا كثيرا في دواوين الشعراء المعاصرين » (٤٤).

كما حدثنا عن شخصيات ادبية كالشيخ بدر الدين النعساني ، ومحمد كرد علي . (٤٥)

فاذا كان مثل هذا بعض نتاجه الخصب ، فقد عرفنا اية ثقافة شاملة كونت منه ذلك الاديب ! ولعلني لا اكون مبالغا اذا عزوت هذه القفزات في عالم الاستشراق التي دمشق التي قدرته تقديرا منذ ان استوطن فيها !! (٤٦) .

سامي الكيالي

جل ما انتجه « تصنيف » اكثر منه « تأليف » يدل ، جليا ، على مدى الثقافة التي يتمتع بها !

اسلوبه سهل ، ويظل كذلك حتى يدعك تسائل نفسك : اهذا ادب ؟ ! لكنه يبسط آراءه بسطا طريفا ، ويجعلك تعجب كيف الف موضوعا في افكار قد لا تجدها غريبة عنك !

ومن الغرابة في مكان انك ترى تناقضا في كتابته .. فهو يحيا في القرن الحاضر ، كما يحيا في القرون الغوابر . الا انه يختلط الحدود للمستقبل !

ولا انسى ان الاديب الكيالي يعيش عالمه المضمخ بالصدق والامانة ، وانه في مقدمة من جردوا قلما في حرية الفكر في هذا البلد منذ ربع قرن . اما الان ... ؟ (٤٧)

محمود اللبابيدي

هذا نقادة بخال بنشر افكاره زهدا في النشر ، لا كسلا تقرأ له في الكتاب (٤٨) ، وتقرأ له في الاديب (٤٩)، ما يجعلك تؤمن بانك امام مفكر من اولئك المفكرين الصفوة في العالم العربي .

يغوص على الجوهر في بحر الفكرة العميقة ، مستخدما اسلوبا خلوا من التعقيد ، وان كان يتحدث في قضايا فلسفية . وهو يقنعك بمقالاته الفلسفية ، والاجتماعية ،

ذكرى فوزي المعلوف ص ٢١٥ . (٣١) ديوان الواحة . (٣٢) ديوان من عمر ابو ريشة ـ شعر . (٣٣) رباعيات عمر الخيام تعريب احمد الصافي النجفي . (٣٤) من ديوان شعر . (٣٥) من قصيدة القيت في حلب بعد صدور ديوانه الاخير . (٣٦) « الشاعر ابو ريشة ينقد نفسه » لابراهيم العريض ـ الاديب نوار ١٩٤٩ . (٣٧) اصدر : شعر من عمر ابو ريشه ، شعر ، ذي قار ، فصل من محكمة الشعراء . وهو الشاعر المعاصر الوحيد الذي شجعته بلدية حلب تشجيعا مرموقا فقد منحته مبلغ سبعة الاف ليرة سورية لطبع ديوانه الاخير الذي صدر عن دار الاديب عام ١٩٤٧ . (٣٨) رأي الامير جعفر الحسني فيه ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـ الجزء الثاني ـ المجلد التاسع والعشرون . (٣٩) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـ الجزء الثالث ـ المجلد الثلاثون . (٤٠) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـ الجزء الثاني ـ المجلد الحادي والثلاثون . (٤١) الاديب ـ نيسان ١٩٤٥ . (٤٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـ الجزء الاول ـ المجلد الحادي والثلاثون . (٤٣) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـ الجزء الرابع ـ المجلد الثلاثون . (٤٤) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـ الجزء الثاني ـ

وحتى الحقوقية منها ـ مع انه لا يحمل اجازة في الحقوق ـ بانه وقف طويلا على دراسات فلسفية عربية واغريقية .

ومن العجاب انه لم ينشر الى الان كتابا . مع انه جزيل الكتابة ، دءوب على المطالعة ! غير انه محق .. فقد قال لي ما اصمتني !

الدكتور علي الناصر

كان في شبابه الريق اقوى منه في ربيع شيخوخته رنما ، واصالة تفكير .. فقد رق احساسه ، ودق تعبيره ، وعمق تفكيره ، حتى اصبح شاعر « الكلمة المجردة » يحبكها بالشعور الفوار ، من دونما زخرف ، فتخرج بالوان خاصة مبتكرة في التعبير ... وانك كما تكلمه فتجده هادئا ، كذلك تجد شعره هادئا !

اما الان ، ففي اي واد يهيم ؟ وعلى اية عكازة تتوكأ في تسياره ، حاملا جثمان شبابه ؟ انه مبتل بمضيبة لم يبتل بها شاعر ... لقد خمر في الحانة (السريالية) حتى لم يعد يحس ، ولم يعد يعي .. ثم افاق من سكرته ، هزيما ، فوجد (الخمار) قد اغلق عليه (الباب) وانصرف .. وهكذا ابكي هذا الشاعر المجدد ! (٥٠)

الدكتور محمد اسعد طلس

فكر ناضر كدرب الربيع ، وقلم دافق كشلال الحياة ! وهضم لمطالعات جمة يردها قشيبة مسرودة بخيوطه !

كان وزيرا مفوضا ، فلم يتعثر على درج الوزارة ، ولم تطفىء الاضواء والالوان ، والاصوات ، من جفون اعماقه ..

كان مغامرا ركب « البحر » على حطام سفينة « السندباد » فلم يغرق ! وعاد من « المنفى » وفي جعبته كتب !

في ابحاثه دقة الفنان الصناع ، وكيف لا يكون كذلك وقد حدثنا عن « ابي الفتح بن جني واثره في اللغة العربية » حديثا مسهبا حلوا ، عميقا ؟ (٥١)

وفي ادبه عمق باد لا سيما في بحثه عن « القرامطة واثرهم في ادب المعري » (٥٢) ، و « الرمزية في الادب الصوفي » . (٥٣)

وفي تنقيبه في اطلال التاريخ عن النفيس ، تجد روحا تذب عن ماضي العروبة وحاضرها ومستقبلها بكل ايمان (٥٤)

ولكن .. قاتل الله السياسة ! فقد جنت عليه ! ولولاها لكان اكثر نتاجا . (٥٥)

الدكتور شكيب الجابري

لا اعرف شخصا حطمته وظيفته بمقدار ما حطمته !

فقد كانت على ساعديه تترعرع القصة السورية عندما كانت في المهد . الا انه تخلى عنها ، ولم يعد يعيرها حتى ولا لفتة وجدان !

في اسلوبه تحرر لما فيه من سهولة ... فلا تعقيد في الجمل ، ولا بعض تعقيد : وهذا ما يده على ان فكرته ناضجة ، فينسجها نسجا قويا .. الا ان العمق في افكاره قليل ، والابتكار اقل ... فهو من الذين لا يغذون الموهبة بالمطالعة !

وفي قصصه تصدى لتصوير واقعنا الاجتماعي تصويرا فيه الدقة ، كما تصدى لتصوير واقع الغرب بريشة فنان (شرقي) .

ولا ادري لماذا سكت اخيرا ، مع ان اول نتاجه القصصي ما يبشر بذاك القاص الكبير ، فهل ارتد الى طبيعته فهو استاذ يبحث في الجيولوجيا قبل ان ينسج القصص ؟ .. (٥٦)

مظفر سلطان

كان قاصا حبيبا الى نفسي في اقاصيصه مثل : « تينة الجبل اقوى من الموت » (٥٧) ، و « لعنة العمر » (٥٨) ، و « سقيته من شرابي » . (٥٩)

اما الان ؟ ..

لقد كنت اعتقد بان الوظيفة قد تسلب الاديب اشياءه الثمينة الا ادبه ! ولكنني عدت الى الصواب عندما وجدت الوظيفة تأكل الاستاذ مظفر « اكلا لما » .. فلم تعد تشرب الاذن من اخباره الادبية ولا قطرة ... اطوى جناحيه على حفنة الرمل ؟ !

لله يا مظفر ! لانت ذو موهبة مسماح كنفسك ، فاين ضعت ؟ ! قل لي اين ضعت ؟ ..

اورخان ميسر

اذا وجدت له فكرة مبتكرة مياسة قد تظن انها غريبة عن مدانا .. فما ذلك الا لانه قد براها بازميل الفن !

ابدا تصفق اجنحة اعماقه في سماء الفكر الغربي .. لذلك يندر ان يطالع في اللغة العربية ما خطه مفكرونا المعاصرون .

وهو من الزاهدين في النشر . ولماذا ؟ .. والى متى تقبع اثاره في داره الشرقية ـ الغربية ؟ !

يا له من سكير .. لقد اثملته خمارة الوجود حتى بات يجمجم في كلام اوضح منه الرمز ... وهكذا يبشرنا بسريالية ما اخالها تدرج على مغانينا (٦٠) .

المجلد الثاني والثلاثون . (٤٥) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـ الجزء الثاني ـ المجلد الثلاثون . (٤٦) اصدر : اصول التدريس الحديثة ، ديوان ابي فراس الحمداني ، الذيل على طبقات الحنابلة ، لابن رجب البغدادي بالاشتراك مع (لاووست) ، زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم ، في السياسة لابي القاسم الحسين ابن علي المغربي ، ديوان الوأ واء الدمشقي ، الوصف ، الغزل . (٤٧) اصدر : ابو العلاء المعري ـ دفاع المؤرخ ابن العديم عنه ، انواء واضواء ، سيف الدولة وعصر الحمدانيين ، الفكر العربي بين ماضيه وحاضره ، شهر في اوربا ، من الادب المعاصر ، الراحلون ، من اضواء الماضي ، نظرات في النقد والتاريخ والادب ، المراة هذا اللغز الابدي ، مع طه حسين ، بنت يزيد ، الحكيم شهاب الدين السهروردي . (٤٨) مايو ١٩٤٦ ، يوليو ١٩٥٠ ، مايو ١٩٥٢ . (٤٩) نوار ١٩٤٣ . (٥٠) اصدر : ظمأ ، قصة قلب ، ذن الدموع ، سربال بالاشتراك مع اورخان ميسر . (٥١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـ المجلد الرابع والعشرون ، والثلاثون ، والحادي والثلاثون والثاني والثلاثون . (٥٢) الاديب ـ حزيران ١٩٤٤ . (٥٣) الاديب ـ تشرين الثاني ١٩٤٣ . (٥٤) نقد وتعريف بلدان الخلافة الشرقية لسترانج ـ مجلة المجمع

الاسدي م. خير الدين

هذا الذي تيمته (الكلمة) فعاش حياته من اجلها ! ضاربا في فيافيه الربد الغفل ، والسراب يروه له من قصي ... وكم وددت ان يرحم شيخوخته في وجدها فلعله يقاسمنا الامنا الصم .. ولكنه اصبح (مدمن) الكلمة !

ما اقل اللغويين الذين اذا خطوا حرفا تدفقت افاويح الفن فيه ! والاسدي من هؤلاء ! ابدا يهتم باللفظة الشريفة ، وابدا يهتم بالرنم والخيال ! مما يجعلني احبه حبي للافكار الطلقة التي يضوىء بها ليلي كلما اختلفت اليه ... ومما دعاني ان اسأله عن كتابة (جمهورية) سوى التي كتبها افلاطون !

اما تصوفه ؟ ... فلا يعجبني ! (٦١)

سليمان العيسى !

لو ان الشعر (شجو وطرب) ! لكان للاستاذ العيسى تلك المكانة المرموقة . ولكن الشعر اكثر من ذلك ! ! وهكذا استطيع ان اعلل تلك المعاني التي يرددها في جل قصائده ، وحتى يندر ان تجد له قصيدة واحدة لا يترجع فيها اكثر من معنى واحد !

يحمه في جانحيه عاطفة وثابة ، قد تسد عليه آفاق تفكيره ... ولهذا تعذب الموسيقا في قصيده . ولكن قلما تجد الفكرة العميقة ، والخيال البكر .. ذلك لان الشاعر ذو عقيدة يود ان يهبط بها مستوى الجماهير ، فلا عجب اذا خلص شعره من الابهام والغموض والتعقيد !

واجمل ما في شعره الوطني والغزلي . اما شعر الملاحم ، فلا يبدع فيه ابداع بولس سلامة وعمر ابو ريشه . (٦٢)

عبد الرحمن ابو قوس

له شعر ونثر . واكثر شعره (نظم) : فلا تقع على ابداع ، ولا تقع على نسج ، ولا على اسلوب ... وكم تتنافر القافية ! فهل هذا دليل على انه ليس شاعرا مطبوعا ؟ !

واما نثره ، فرحب مداه ، وعميقة فكرته ، لاسيما الساخر منه ! واذا كانت الصحافة قد جنت عليه جناية جعلت منه اديبا صحفيا ، فانها اهابت به ان يكتب في ادب الرحلة . فانه عندما يكتب فيه ، لا يكتب بقلم العالم المؤرخ ، وانما يكتب بقلم الصحفي الاديب .

ولعله لو ترك ميدان الصحافة لكان له شأن بعيد في عالم الادب الساخر! (٦٣)

حسيب الحلوي

لقد ظل يعنى بدراسة الادب الفرنسي القديم ، حتى استطاع ان يعطينا صورة صادقة عن بيئة الفرنسيين في القرن السابع عشر !

خير نتاجه ترجمه ، والترجمة وحسب ! لانه يحسن تقمص روح المترجم له ، وينصب في استحضار الكلمة السائغة مكثرا من التشقيق ...

الا انه يعيش في صومعة ... فهو مقل ! (٦٤) .

عبد الوهاب الصابوني

هذا الذي سفح فكره على الورق وظن انه يحسن كتابة القصة الطويلة ، قبل ان يعيش « تجربة » القصة القصيرة فأخطأ الظن ! ذلك ، لانني لا افهم القصة سردا لحوادث واقتضابا لمحاضرات ، والغازا منسوجة على نول مدارس « الكوفة » و « البصرة » ... فالقصة العصرية اكثر من ذلك . ولهذا قلت : اخطأ الظن .

على انني لا اشك في ثقافة الاستاذ الصابوني .. ففي عقله تتلاقى ثقافات عميقة الجذور ! ولكنني اشك في انه (قاص) !

ولربما يوافيه النجاح كثيرا لو عالج مشاكلنا ، ولكنه لتبرمه بالناس ، وفرط حساسيته ، ويأسه من الاصلاح ، انطوى على نبعة في قرارته لا ينصت الا اليها .

وهكذا عاش بعيدا عن الشعب ... (٦٥)

عمر ابو قوس

يتزعم المدرسة الشعرية القديمة في حلب . ولا يخلو شعره من « النظم » مثل : (٦٦)

ترى هذه مصر وابن لنا مصر ... ومن دونها بر ومن دونها بحر

وخير قصائده الوطنية ، والاجتماعية ، والانسانية . اما الغزلية ، فلا تعجبني لما فيها من محاكاة لشعر القدامى .

الا انه لم يعد يتغنى بالشعر الا لماما : فافكاره التي كان يزرعها في الورق قد ظل يزرعها في الارض ... انه الان زراع يكتفي بما تدر عليه الزراعة . وليته يعكف على المطالعة : فقد يتمكن من تجديد شعره . ولكنه ... لن يفعل ! (٦٧)

عبد الله يوركي حلاق

شاعر نهبت الصحافة ملء اوقاته . وهكذا ضاع في صفحات « الضاد » ، و « الكلمة » ، « والشهباء » (٦٨) .

واذكر انني حين انتدبت لتنظيم مهرجان (عبد الرحمن الكواكبي) في ربيع عام ١٩٥٤ ، رجوت الاستاذ حلاق ان يلقي قصيدة فاعتذر ، كل الاعتذار ، ووعدني بالقاء مقالة بديلا منها ، مع ان المهلة السانحة لديه كانت تربو على شهر ونصف ... فاذا كان لا يقدر الاستاذ عبد الله ان يكتب قصيدة عن الكواكبي في كل هذه المدة ،

العلمي العربي بدمشق ــ الجزء الرابع ــ المجلد الثلاثون ، وكتابه تاريخ الامة العربية . (٥٥) اصدر : مصر والشام في الغابر والحاضر ، ديوان ابن ابي حصينه ، تاريخ الامة العربية . (٥٦) اصدر : نهم ، قدريلهو ، قوس قزح . (٥٧) الاديب ــ نوفمبر ١٩٥٠ . (٥٨) الاديب كانون الاول ١٩٤٥ . (٥٩) الاديب ــ ايلول ١٩٤٦ . (٦٠) اصدر : سربال بالاشتراك مع الدكتور علي الناصر ، وبعد للطبع : باسكال . (٦١) اصدر : اغاني القبة ، حلب ، يا ليل ، ليس ، السماء ، عروج ابي العلاء بالاشتراك مع بارسيغ شاتو شاتويان ويعد للطباعة (الالف) الذي استغرق في تاليفه زهاء عشرين سنة . (٦٢) اصدر : مع الفجر ، شاعر في النظارة ، اعاصير في السلاسل ، ابو ذر الغفاري ، الرمال العطشى . (٦٣) اصدر : ثورة العبيد ، مركب الفكر ، الرائد الادبي ، باقة . لايس . طلسم الحياة . باخوس . كنت في الصين . كنت في المانيا . رحلة الى يوغوسلافيا .

فكم من الشعر ينظم في السنة ؟ !

هو في شعره قديم النهج ، منه السهل الممتنع ، ومنه « النظم » مثل :

واختارها الادب الرفيع	فزادها شرفا وجاها
هي مؤئل العرب الاباة	يرف في العليا لواها
ابناؤهـا مـلاوا البلاد	كانجم مـلات سماها

وجيده اكثر من رديئه . واجمل قصائده تلك التي انشدها في مناسبات وطنية . اما قصائده الغزلية الرقيقة فتقليد بين لشعراء عصر الانحطاط .

غير ان حظه من التجديد والابتكار ضئيل : فيندر ان تشاهد له بيتا شذ فيه عن المألوف . واعتقد ان خير مـا عنده من شعر هي قصيدته (حلب) ،ولاسيما قوله :

والفستق الفيران يحكي	في جوانبها الشفاهـا
يختال فـوق غصونه	كعرائس لبست حلاها
ورنت الى بدر الدجى	فاعارها البدر انتباها
لـمـا اطل البـدر شقت	كـل فستقة رداهـا
وهناك شاءت ان تعانقه	ففـارت قشرتاهـا(٦٩)

علـي بـدور

ما احبه الى نفسي قاصا ، وما ابعده عنهـا صحفيـا يتحدث عن الساسة والسياسة ! !

ينسج افكاره باسلوب فيـاض ، وخيـال زفاف الجناح ، وهي دواما واضحة : لذلك تخلص جمله مـن الغموض والتعقيد . و « الشمعة » (٧٠) ، و « المنديل » (٧١) ، و « السرير الحديدي » (٧٢) انضر اقاصيصه : ففيها من عمل الفطنة الشيء الكثير ... وفيها ما يبشر لـه بمستقبل في دنيا الاقصوصة والقصة .

جـورج طرابيشـي

ان وجوديته وانسانيته سببان يحولان دون فهمي له احيانا ...

له قلم ريان ينمو وينمو ... وغالبا تـبرز فـي اقاصيصه عناصر جمة من شخصيته ، فيا ليته لم يفعل ! فلربما نرى ابطاله عارين .

وقد قرات له نقدا فظللت اعجب به حتى اذا (ظن) انه نال من شموخ اقلام قوية قل اعجابي به ! (٧٣) .

احبه عندما لا يعادي سواه من رادة القصة والاقصوصة فان « الانسانية » هكذا تقضي ... واحبه عندما يحترم سواه ، فهذا ما يذكرني به .

وغده سماء مطرزة بالنجوم ...

ع . ال شلبـي

لا افهمه ، ولاافهمه ... وهذا الذي يخطه قدلااسميه ادبا ، انما اسميه الغازا ... فعلام كل هذا الوجل مـن الوضوح ؟ ! اأقول بان فكرته « فجة » ؟

ولمن يكتب ؟ النفسه ؟ فان كان لها ، فحبذا لو تعمق فيها ، فلعلنا نشاطره افراحه ...

واما الشعب فلم يمر بخلده ! (٧٤)

مصطفـى بـدوي

بيني وبينه خلاف .. فانه يود ان اعجب بكثير مـن قريضه ، وانا لا اسمي هذا الكثير قريضا ! انه يفهم الشعر معنى ، وانا افهم الشعر معنى ومبنى وروحا ! ومـن هنا كان الخلاف ، ولهذا لا تجده ملحا كثيرا على الاسلوب ، ولا على اللغة ، وقد لا تتعانق القوافي فهذا مفهوم (الالتزام) عنده . اما انا ، فأفهمه (اعتباطا) كقوله : (٧٥)

ان روحينا تلاقى في سماوات الخلود
ثغره ظمان للقبلات في شوق شديد

ولكن هناك بيني وبينه مودة ، فشاعرنا حداد ... يذوب الحديد ، ويستخدم النار ، والكور ، والمطرقة ... وهو يثقف نفسه بنفسه ، وينظم الشعر من دون ما اعتماد على مدرسة او استاذ ! ولذلك احب فيه عصاميته ، كمـا احب فيه ثورته على واقعه ! (٧٦)

وهناك ادباء سعيت جهدي الى الحصول على آثارهم فلم اجد غير القليل مما كون لي فكرة وجيزة عنهم لا تعد وافية :

وفي طليعة هؤلاء : بدر الدين الحاضري : وقد كتب دراسات قيمة عن اللغة العربية ، غير انه مقل . ونهـاد خياطه : وقد ترجم بعض الاقاصيص بلغة مشرقة زاخرة . وفاتح المدرس : وقصته عود النعنع جميلة ، وافكـاره خصبة ، الا ان اسلوبه غير قوي . وعبد الوهاب سايس : والاديب اول من فسحت له المجال ، واكتشفته ، وشجعته . وانه ليعدنا بغد انضر واشرق . وصبحي العجيلي : ولـه مقالات اجتماعية منها العميق المبتكر . ومنير داديخي : في مؤلفه (عند اسوار الليل) مقالات لا تخلو من الجدة ، كمـا ان له تمثيليات مثلت على مسارح حلب .

وفي حلب ادباء لا يزالون في مستهل الطريق ، وان لم يتركزوا ، بيد ان ما انتجوه يدل على وجود قابلية ادبية قد يكون لها شانها في المستقبل ، اذا ظلوا متابعين جهادهم الادبي ، وفي مقدمة هؤلاء : جورج سالم ، حسين راجـي جركس ، لوريس جان سالم ، محمد سامي عجمي ، دلال حديدي .

واذا كنت ساهيا عن ذكر احد ممن يعنون بصناعـة الفكر ، فالمجال متسع لغيري ... فقد يدرك الحقيقة اكثر من ادراكي لها ، وينير الى السبيل ...

تلك هي حكاية الفكر في حلب ، فمـا اطولـها ... فلعلها توقظ الغافين !

حـلب • علـي الزيبـق

وبعد للطباعة « كنت في هنغاريا » . (٦٤) اصدر : الادب الفرنسي في عصره الذهبي . (٦٥) اصدر : عصام . (٦٦) من ديوان حروف من نار . (٦٧) اصدر : حروف من نار ، وحي الليل . (٦٨) مجلات حلبية . (٦٩) اصدر : خيوط الغمام . (٧٠) الاديب ـ يوليو ١٩٥٧ . (٧١) الاديب ـ مايو ١٩٥٧ . (٧٢) ايار ١٩٥٧ . (٧٣) نقده (اكابر) لميخائيل نعيمه ـ اذار ١٩٥٧ ، و (قناديل اشبيلية) للدكتور عبد السلام العجيلي شبـاط ١٩٥٧ . (٧٤) اصدر : من المجهولة الى مايا ونشيد كولومبا . (٧٥) من ديوان اوراق مهملة ص ١٣ . (٧٦) اصدر : اوراق مهملة .

قصة سورية

الحذاء .. ينقل رسالة

بقلم فاضل ضياء

ooo

لم يبق في المصنع من احد سواه ، لان الليل قد انتصف او كاد ، وعليه ان ينجز هذا الحذاء مهما كلفه الامر ، لا سيما وعرس صاحبته سيكون بعد غد . هذا ما نبهه اليه معلمه (ابو شاكر) عندما انصرف الى بيته وتركه وحده . فلينشط اذن، وليشحذالهمةليكونعندحسن الظن!

صحيح .. هو يعرف انه فقير الحال ، زري الهيئة ، بشع المنظر ، ولكن ماذا يهمه ذلك ؟.. او ليس هو كسائر الناس من بني البشر ، عندما يحس كما يحسون ، ويفكر كما يفكرون ؟.. او ليست له احلامه وامانيه ، مثلما لهم احلامهم واما نيهم ؟.. ومن يدري؟.. فقد يكون ارق شعورا من البشر العاديين ، وادق احساسا من كثير من هؤلاء الناس !.. الم يرفعه حبه الى مراتب الشعور المتالق ، والحس النبيل ؟.. الم تبلغ به خيبته في حبه حد اللوعة والاشراق ؟.. لقد احب (زينب) حبا كابد الامرين من اجله زمنا .. لانه كان قد توهم كثيرا ، واشتط به خياله اكثر ، حين جسم في ذهنه تلك الاحلام المجنحة ، وصور هاتيك الاماني البكر ، وخط طريق حياته المقبلة مع (زينب) يوم كان الجيب منه يصفر باللاشيء تصفيرا !

كان (صبري) قد اعد في خاطره ــ من جملة ما اعد لمشاريع العرس ــ مشروع حذاء عبقري عالي ، يقدمه الى حبيبته الفاتنة لتتيه به ليلة الزفاف ، ويكون قبلة الانظار ، وحديث المدعوين والزوار ، ولكن .. يا لقسوة الظروف حين تعاكس المرء وتعانده !.. فماذا يعمل ؟..

لا شيء غير الكلام .. وما دام الامر كذلك ، فليفرغ اذن حمولة صدره في اذن هذا الحذاء ، فهو اكتم للسر ، واصدق سمعا من آذان المتشفين والمجاملين !..

هه ... قل لي الان ايها الحذاء الذهبي ، قل ماذا اعمل ؟.. ها انت ذا قد شارفت على الانتهاء ، وانا ... وانا ما قلت شيئا بعد . اسمع ! انا صبري ، صبري البائس ، صبري المعذب ، المسكين .. اوه ... لله ما أسخفني !

عفوك ايها الحذاء الجميل ، لقد ازعجتك ، فهلا قلت لي انت ، أنت بالذات ، ماذا تريد ان اقول ؟ .. قل ، تكلم .. ولكن لا ، لا .

لن اكلفك من امرك رهقا . حسبي انني ساشبع منك نظري قبل مبارحتك هذا المصنع . اجل ، لن أطلب منك شيئا اكثر من ان تصغي الي ، فلسوف أبثك عواطفي ، وأكشف لك عن جوارحي .. ويكفي ان يكون لي في ذلك برد وسلام !

سأتصورك لحبيبتي أيها الحذاء .. لانني انا الذي وضع تصميمك وزخرف هندستك . أجل .. ساتخيلك كذلك ، وليس من يثنيني عن ذلك ، لانني انا الذي خلقك فابدعك ، ثم الى الناس دفعك ، اتسمعني ، اتسمعني أيها الحذاء الانيق ؟.. لا شك في انك ستتركني الان ، اذ لا بد لك ان تكون بعد ساعات معدودات في دنيا المعلوم ، بعد ان كنت في عالم المجهول

بلى .. بلى .. انه ليخيل الي انك ستصير الى أناس يستظرفونك ويتعرفون اليك ، اما انا .. فحسبي البقاء هنا حيث ترى ، منذ ان شرعت في تصويرك وتكوينك ، ليس من يعرفني او يتعرف الي . فانا صبري ، صبري المحمود، صانع الاحذية لا اكثر ولا اقل ! وقد لا تتعدى هوية هذا الاسم اكثر من حانوتين عن يمين مصنعنا،واخرين عن يساره. وان أردت الدقة ، فقل مثل ذلك في حوانيت الرصيف المقابل ليس الا .. اف ... افرايت كم انا ثقيل ايها الحذاء الاغيد الرشيق !.. والا فكيف كان لي أن ازعج انفك الدقيق بمثل هذه الترهات ، واثقل زغبك المخملي بامثال هذه السفسطات ؟..

انني أكاد امقت نفسي عندما اعود الى الثرثرة من جديد .. ولكنني ارجع فأقول : ماذا اعمل ، وانت رسالة امنيتي الوحيدة في مثل هذا الظرف العصيب ؟.. ماذا اعمل ، وانت عصارة احلامي المذابة في كاس الحقيقة والواقع ؟ ماذا اعمل ، وليس امامي طريق الا انت ، وانت فحسب؟.. لهذا ، ولهذا بالتأكيد، فانا ارجوك ، ارجوك ايها الحذاء المنمنم ، بل اتوسل اليك ــ يا سمير هذه الليلة الامين ــ اذا ما صرت الى صاحبتك الحلوة ، بين يديها الناعمتين تقلبك اعجابا ، وتستنطق خصرك النحيل مهارة الفن ، وشمم انتصابك براعة الصنع .. اتوسل اليك ، ان لا تنكر حرارة حذقي او تتجاهل صدق خبرتي ، كما يصنع بي معلمي (ابو شاكر) لئلا يزيد في اجرتي !..

ارجوك ان لا تقدم على مثل ذلك الجمود والنكران ، لانني ما توانيت ابدا في بهرجتك وتزويقك ، عندما عرفتك وعرفت مناسبتك التي تشبه مناسبة زواجي ، تلك التي حلمت بها في يوم من الايام !.. ايه ... رحمة الله على تلك الاحلام !..

كانت زفرة طويلة ، محرقة ، تلك التي ارسلها اثر هذه الحسرة ، ولكنه ما لبث بعدها ان مد يده الى ابريق الماء ، فبل حلقه بجرعة او جرعتين .. ثم تنحنح قليلا ، فتناول علبة التبغ واشعل دخينة ، وجعل يمج الدخان على عصابة البرغش ــ التي كانت في مهرجان عجيب ــ حول المصباح الكهربائي المدلى فوق رأسه .. حتى اذا ما شعر بعودة النشاط اليه ، استأنف الكلام من جديد دون ان يرفع بصره عن الحذاء الذي كان يقلبه في يديه .

والان ... قل لي ــ يا حذائي النبيل ــ من انت ؟.. ألست قريب الشبه من الحذاء الذي طالما فكرت في صنعه لحبيبتي (زينب) ؟.. بل الست انت بالذات، ذوقي مبلورا في هذا الشكل ، وحلمي واملي مكموشا على هذا القالب ؟ فماذا علي اذن ، لو حملتك شيئا من آهي واشجاني ؟.. لا شيء على ما أظن ، أليس كذلك ؟.. ولكنني ــ مع ذلك ــ لن أطيل عليك ، فتباشير الصباح أوشكت ان تؤذن بمولد يوم جديد .

اي حذائي الرائع !.. اي حذائي الفاتن !..

ان في القلب شيئا يريد ان يقال ، فاسمح لي ، وانا اودعك الوداع الاخير ، ان الح في الرجاء كيما تكون لينا مع صاحبتك ، رفيقا بتينك القدمين النزقتين . واذكر دائما انني نفخت فيك من روحي المضنى ، حين عز علي مثلي ان يقدم مثلك لحبيبته (زينب) لفداحة المهر ، واشتطاط

لن تعود

٥

لا لن تعود فقد غابت ليالينا — واوحشت بعد ايناس مغانينا
لا لن تعود لنا تلك الرياض فقد — ذوت ولم تحو غير الشوك ايدينا
بغداد أين لياليك التي عبرت — هلا تعود فليل الهم يطوينا
وأين ذاك الشذا الموعود يغمرنا — حتى لتحسبنا النعمى رياحينا
من ذا يعيد لبانات بدجلة قد — نالت بها كل ما تهوى امانينا
بزورق حلم الامواج خطرته — فكم تحدث شوقا عن تناجينا
وعن بقية ذكرى في جوانبه — قد اورقت فأذاعت سر ماضينا
يا ليل دجلة هل عود لبارقة — محا سناها الدجى هلا تحيينا
فننهب الانس اقداحا مشعشعة — والحسن جل جلال الحسن ساقينا
ومن على شاطيء الفيحاء يجمعنا — ومن يعيد لنا فيه تلاقينا
حيث الفرات السخي الحلو منسجم — مع النسيم يهز النجم تلحينا
وللنخيل انعكاس فوق صفحته — يبدي من السحر للرائي افانينا
الله يعلم انا لم نذق ابدا — طيب الهجوع ودنيا الامس تغزونا
أأكتم الحب لا والحب كيف وما — زالت على كل قيثار اغانينا

جامعة برشلونة — **باقر سماكه**

الاهل !.. واذكر ايضا ، انك اثرت بمناسبة صنعك ، وموضوع قصتك ، كوامن ماض لا يزال يتقطر على الايام حسرة وألما . فلتكن انت اذن كل املي وعزائي لدى انسانتك السعيدة ، وبلغها ما كنت قد عولت على تحميلك اياه ، فيما لو كنت مني الى (زينب) .. أقول ، بلغها في اقرب فرصة تحين لك عبر مواكب التهاني والتبريك ، هذا الشعور النبيل :

شقر الزوالف ، وسود العين سالبني
وخديد مثل الورد ـ يا روح ـ سالبني
حول ليمئي ، وشوف هواك سالبني
وايش نا بيك من هل دنا ، وتاليها ؟
واصبحت مطروح عل فرش وتاليها
يا سعد من عانقك ليلة وتاليها ...
لاتم اهواك ليوم الله سالبني

انها عاطفة عزيزة ـ يا حذائي العزيز ـ ولقد كنت هيأتها للمناسبة التي ماتت قبل ان تولد !.. وثق انك ان فعلت ذلك ، كنت لك من الشاكرين بغمزة لطيفة ، سريعة ، أسوقها اليك عندما المحك في رجليها وهي تعبر بك شارع مدينتنا الرئيسي .

واخيرا ... يا حذائي البديع !..
يا خلاصة سهري ، وذوب اتعابي !..

لا تنس ان تسلم علي بزقزقة حلوة ، او تكتكة احلى .. كلما صادفتك وانت في رجل صاحبتك المحظوظة ، وكن على يقين ان سلامك الصادق الحار ، سيعزيني عن تحيات المداهنة ، والاخلاص المموه ، في عالم غير عالم الاحذية في هذه الايام ..

والقى بالبقية الباقية من دخينته الى الارض ، ثم عكف على بقايا لحاف قديم ، يسويها في احدى زوايا المصنع . حتى اذا ما انتهى من ذلك ، أطفأ النور ، وتمدد عليها ، وطفق يحلم بالحذاء الذهبي ، في رجل تلك العروس المغناج ، تعبر به الشارع الرئيسي في المدينة .. وهو يحييه مزقزقا له ، ويتطلع اليه بعين ملؤها الحب والود والاخلاص ، فيهز له رأسه هزة الشكر والامتنان ... ثم تأخذه سنة الكرى ، فيغط في سبات عميق .

وفي صبيحة اليوم الثاني ، عندما فتح المعلم (ابو شاكر) مصنعه ليسأل (صبري) عما اذا كان قد انتهى من صنع الحذاء ام لا ... كانت أم (زينب) ، وعريس ابنتها الجديد ، برفقته .. فاستلمت الحذاء ، وقذفت لصبري ببعض الدريهمات ، ثم ... ثم ولت !..

حلب — **فاضل ضياء**

ليل ورفاق وشاعر

لاحمد امين

بغداد ـ الاعظمية

يا لدفق !! من أغاريد الفتون
هز في قيثاري الغافي اللحون
رف كالنعمى فيا قلبي الحنون
راقص الحب وزغرد في جنون
دفقة الشوق وهل يرضى الحبيب
أن يراني غير خفق من لهيب
وشباب يغرق العمر القشيب
في شفاه الكأس او ثغر شنيب

* * *

راقصي الكون فما أحلى الصبى
نغما حلوا ولحنا مطربا
راقصي الكون وشقي الحجبا
واقحمي الفلك وهزي الشهبا
أيكون الفن الا ومضات
من أغانينا الظماء الصاديات
هل شدا عودي الا الملهمات
منك في أوتاره ملتهبات

* * *

موكب الاشواق من لي بالمساء
ودراريه تقل الرفقاء
الازاهير رفاقي ... والضياء
فلأذب في الزهر والضوء غناء
يا أخا الجام ولي من لوعتي
ما يذيب الروح في أغنيتي
حلما عذبا ولي من نشوتي
ما يلف الكون في هينمتي

* * *

للهوى روحي وللشوق الرقيق
للشذا العابق في عرس الشروق
للعيون السود سكرى بالرحيق
تعبر العمر على جنح طليق
آه لو غمازة العينين تدري
بالذي يعصف في أعماق سري
والذي ينساب في جدول عمري
حسنها الراعش في آفاق صدري

* * *

جمعتنا ليلة في ظلها
يتجلى البدر من آفاقها
وتبث الروضة السكرى لها
نفحات الطيب من أزهارها
سوف أهواها كما يهوى الرفاق
ليلة نشوى بأنفاس العراق
ستناغيني بأيام الفراق
ذكريات في دمائي وانطلاق

* * *

كم تمنيت وما أحلى المنى
لو رأيت الجام يسعى بيننا
ونسينا العمر فيه والعنا
وشبابا متعبا يشكو الضنى
لم لا نترع من كأس الرغاب
بين ألحان العذارى والرباب
قبل ان يغدو أملود الشباب
وأمانينا يبابا في يباب

* * *

عاطنيها أنا قد عشت الضياع
في حياة كل ما فيها التياع
عاطنيها أنا مزقت القناع
وتعريت جديدا كالشعاع
نحن لم نخلق لتحطيم الشباب
في ضحاه ولتهشيم الرغاب
الصبى الطماح يزري بالعذاب
ويلاقيه بكأس وصحاب

* * *

يا صديقي ذاك عودي لم يزل
يسكر الليل بألحان الغزل
ود لو تحترق الاوتار بل
يسكب الروح على الثغر قبل
هزه شوق ، وحلم حائر
عبر دنياه ، وثأر هادر
ونداء في الليالي ثائر
عاقه ليل ، وبؤس فاجر

* * *

أيها الخافق .. يا قلبي الصدي
أنت خفق ضارب في الابد
كم تغني في دجاك السرمدي
لسوى الفن واشراق الغد
أنا لحن عربي لا يزال
يفرش الارض عبيرا وظلال
ومع الفجر يغني للجمال
ولسحر البدر في عرس الرمال

* * *

يا رفاقي بين أنفاس الطيوب
كم تمنيت لو الدهر يجيب
أتلقاكم بلحني وأذوب
نغما يخفق في أفق الغيوب
وأقمنا في الدراري مجلسا
ننهب الحور به والاكؤسا
ونغني ونريح الانفسا
من مآسينا الدوامي والاسى

مكتبة الاديب

من وحي بورسعيد

لليوزباشي حسن فتح الباب ـ مجموعة شعرية ـ مع مقدمة لمحمود امين العالم ـ وتعريف لمحمد مفيد الشوباشي ـ ١٢٠ صفحة ـ الرسوم بريشة عبد الحليم وايزاك ـ منشورات دار المنتدى الثقافي بالقاهرة ـ مطبعة مخيمر بالقاهرة

●

تكسب مدرسة الواقعية في الادب كل يوم نفوذا وقوة وذيوعا ، وهي تحاول التجديد بكل ما وسعها الجهد ، وترى في الشعر القديم مثلا صورا نابضة بالروح والعاطفة والغنائية ، ولكن حظ الذاتية فيها اكثر من حظ الموضوعية ، والجانب الشخصي اوضح من الجانب الاجتماعي او الانساني . ومن ثم فلا يمكن ان يعد شعر ابي نواس مثلا معبرا عن واقعية صادقة ، او رسالة هادفة ، او غاية من غايات البيئة التي يعيش فيها الشاعر . لا يمكن ان يكون ابو نواس مثلا في قصيدته :

دع عنك لومي فان اللوم اغراء   وداوني بالتي كانت هي الداء

متأثرا بظروف البيئة والجماعة التي يعيش فيها ، اوشاعربشعورها.

ونحن لا ننكر على الشاعر ان يعبر عن نفسه ، ويترجم عناحساسه ، ولكننا ننكر عليه ان يكون شعره وقفا على نفسه وذاته ، من وحي نفسه وذاته ، لا من حيث انه فرد في مجتمع ، وانسان يعيش في بيئته ، ومواطن يحيا في وطنه ، يتأثر بظروفه ، ويشعر بشعوره ويتألم حين يمسه الالم ، وينعم حين يصيبه النعيم ، ويطمح الى ما يطمح الشعب اليه ، والى ما تسعى الامة نحوه جاهدة لنيله والظفر به .

ان الشاعر يجب ان يكون له رسالة في زمنه الذي يحيا فيه ، يجب ان يكون عاملا من عوامل التطور ، وقوة من قوى التقدم ، يجب انيحارب في محيطه الضعف والجمود والتردد والعجز والجبن ، يجب ان يلهب شعور الناس ، ومشاعر امته ، لتسير بخطى واسعة الى غاياتها في قوة وايمان بالحق وبالحياة .

الشاعر يجب ان يكون صدى للعواطف الاجتماعية والوطنيةوالقومية والانسانية العالية في بيئته . فيكون مع الفقير نشيدا جميلا يدعوه الى الامل ، ويدعو سواه الى الرحمة به ، ومع كل من العامل والصانع والزارع قوة محركة تدعوه الى الانتاج ، وتدعو الامة الى مكافأته على انتاجه ، ومع اليتيم انسانية رحيمة تعطف عليه ، وترأف به ، وتتيح له الفرص التي كان حظه سيتيحها له لو بقي له ابواه ، ومع الفتاة ملاكا كريما وحظا باسما يأخذ بيدها الى الحياة السعيدة ، والزوجية المثمرة ، ومع كل انسان في المجتمع صديقا وفيا ، وأخا حنونا ، وابا عطوفا .

وبذلك يصبح الشعر عاملا من عوامل التقدم ، وسببا من اسباب النهوض والارتقاء .

ولو قد قدر للشعر ان يستمر في سكوته الذي يعيش فيه ، وصمته عن مشكلات المجتمع الذي يلوذ به ، وعزلته الفكرية والروحية عن صميم الحياة التي يحياها الشاعر ، فسوف يندثر ، ويتخلف عن ركب الحياة ، ويصبح مجرد ذكرى من الذكريات ، بعد ان كان الدفاع الى الحرية في كل وقت ، وخاصة في مهود الثورات السياسية والفكرية والعقلية وفي محيطنا الادبي الحاضر تأخذ بعض الدواوين حظها من الشهرة والذيوع ، لا لطباعتها الانيقة ، وورقها الابيض ، ولكن لرسالتها الهادفة ، ودعوتها القوية الى التحرر والانطلاق والبعث والحرية . من حيث لاتشعر بصدى لدواوين كثيرة ، تصدر في مختلف المناسبات ، وتترجم عنشتى العواطف الذاتية.

وايماننا بالادب الهادف لا يمكن ان يكون وسيلة لتبرير تخاذل اسلوب بعض الشعراء المعاصرين ، الذين يؤمنون بفكرة الواقعية في الادب . ولا يمكن ان يقر الناقد الادبي عامية كثير الاساليب الشعرية الحديثة ، ولا ضعفها ، ولا التواء المنطق ، وضآلة التجربة الشعورية فيها . ومن ثم فاننا ندعو الشعراء الى ان يرتفعوا بثقافاتهم الادبية عن المستوى العادي المحدود ، الذي نشاهد آثاره اليوم وندعوهم الى ان يؤمنوا بانفسهم ، وبمواهبهم ، وبالفن الذي يكرسون جهودهم في سبيله ، وندعوهم الى ان يقدروا في الغد وقت القارىء وجهده وماله اكثر مما يقدرون ذلك اليوم

وبعد فاني أقول ما أقول بمناسبة صدور ديوان ((من وحي بورسعيد)) للشاعر حسن فتح الباب ، الذي صدر في طباعة انيقة ، في مائة وعشرين صفحة ، واحتوى على صور رائعة للمعركة الخالدة ، معركة بورسعيد المناضلة الحرة الابية ، التي دافعت عن الوطن العزيز بكل ما تستطيع مدينة ان تفعله .

لقد وقفت هذه المدينة المصرية الباسلة في وجه دول العدوان الثلاثي الغادر وقفة البطولة والمجد والاباء والحرية ، وقفة الاحرار المؤمنين بمستقبل الانسان في الارض ، وقفة المجاهد المعتز بنفسه ، وكفاح امته ، وتراث وطنه .

قالت المدينة الخالدة ان الله يؤيد المدافعين عن حريتهم ، وان قوى الاستعمار الخبيث لا يمكن ان تغلب شعبا آمن بنفسه وبالحياة ، ان الانسانية كلها تعيش في أسعد لحظاتها مع المكافحين المؤمنين بحريات بلادهم ، وان اي انسان يحارب الاستعمار في اي مكان من على ظهر الارض انما ينتصر لكرامة الانسان ، ويدافع عن شرف الانسانية .

ان الشاعر حسن فتح الباب عميق الايمان بوطنه ، وبحرية بلاده انه ينبذ الاستسلام والعجز والقاء المعاذير على الغيب المقدر ، فيقول :

ما الغيب الا كسب أيدينا وفي أعماقنا المصير
ان الحياة حلقة تنداح من كفاحنا المرير

ويقول في كفاح مصر ومدينتها الباسلة بورسعيد في سبيل استرداد القناة :

وسرى التاريخ في ركب الشعوب
يسحق القلة اعداء الحياة
وغدت ملكا لاهليها القناة

وهل هناك ما يعبر عن ايمان شاعر بوطنه اجمل مما تعبر عنه ابيات حسن فتح الباب هذه :

لينفسح الافق عن نورنا
وارض الابوة تروى بنا
نضالا يخلد ميراثنا
وتضحية تفتدي جيلنا
وتحفظ للعالمين السلام

وهل هناك كذلك ما يعبر بوضوح عن تصميم شعب مصر على الدفاع عن ارضه وعن حريته ، مثل ما تعبر عنه هذه الشعلة التي يرمي بها الشاعر اعداء بلاده فيقول :

وثار شعب النيل كالاعصار
في غضبة الجبار

يزلزل الاقـــدار
هتافه في ساحة الـكفاح
حرية المصير
والقهر للاعـــداء

وقصيدته « بلادنا مقابر الغزاة » مثل حي لشاعرية الشاعر القوية ، التي تحيل الكلمات الى نار ونور ، نار تلفح وجوه الاعداء باللهب ، ونور يضيء شعاب الحياة لوطننا الحر المسالم ، واقرأوا ايمان الشاعر بوطنه وبمجد بلاده في هذه الابيات :

المجد للشعب العريق يفتدي بروحه الحيـــاة
للبعث جيلا بعد جيل يقهر الخـــوان والطغاة
للفارسين بالـدمـاء درجـة السـلام والحيـاة
للعائدين يشهدون مجدهـم ، فلنرفـع الجبـاه

والشاعر حسن فتح الباب متفائل ، مؤمن بمستقبل الانسانية ، مؤمن بنتيجة هذا الصراع ، وكما يقول :

وعاد الشروق
يضيء كأوسمة من جراح
صدور الملايين في كل ارض
صدور الملايين في ارض
ترامى على جانبيها الصراع
وعاش الكفاح
وعاد الربيع
جنيا بايديكم الطاهرة
رخيا بظل الربى والوهاد
زكي الحصاد
يضوع بتذكار من لم يعد
من الخالدين بناة الحياة
ويربي النماء
لشعب البطولات شعب القناة

ان مصر قد تحررت ، قد عاد لها عهد احمس المحرر النبيل :

اليوم عاد احمس المحرر النبيل
يطهر الوديان والصحراء والمياه
ويقهر الغزاة
فانصبوا الجباه يا رفاق شامخات
في عزة الاجداد
ونهضة الاحفاد

ان المضامين الشعرية من ديوان شاعرنا حسن فتح الباب قويـة عنيفة ثائرة ، وان كان الاسلوب والموسيقى المتحررين لا يماثلان قوة هـذا المضمون الثوري العنيف .

وفتح الباب شاعر انشودته الحرية ، وقد صور كـفاح مصـر ، وكفاح مدينتها الحرة الباسلة « بور سعيد » ، اروع تصوير ، وهو من اجل ذلك خليق منا بكل تحية وتقدير .

القاهـرة **محمد عبد المنعم خفاجي**

عـزيـزي أحمـد

للدكتورة اديث سمرسكل ـ باللغة الانجليزية ـ صدر في لندن

●

كتاب الدكتورة اديث سمرسكل « عزيزي احمد » هو اغنـى الـكتب التي الفها اجنبي عن الشرق العربي ، لانه لا يعالج مشكلات البلاد العربية من وجهة نظر الغرب ومصالحه ولكنه يعالجها من حيث هـي مشكلات قائمة بذاتها ، تحمل في نفسها اهمية انسانية كبرى في نظر المؤلفة ، التي سافرت الى الشرق العربي عدة مرات فأحبته بكل قلبها ولكنها استطاعت ان ترى كثيرا من نقط الضعف التي تؤخر تقدمه فقامت تتحدث الى ابنائه عنها بحماس وصدق واخلاص ، وبشيء كثير من الدقة والتحليل .. والجدل .

الدكتورة اديث سمرسكل عضوة في البرلمان الانكليزي منذ ثمانية عشر عاما وهي طبيبة ايضا وهي فوق كل شيء نصيرة كبرى للمراة حيث كانت. كتابها رسالة روحية طويلة لشرقنا العربي، خصصت الجزء الاكبر منها للحديث عن المراة العربية وضرورة مساواتها مع الرجل واعطائهـا نفس الحرية التي يتمتع بها الرجل في بلادنا . وليس معنى ذلك ان يطلق للمراة العربية الحرية ان تسلك نفس المسلك ، العجيب احيانا ، الذي قد لا يتورع ان يسلكه الرجل ، ولكن ان تكون هناك محاولة للحد ايضا من حرية الرجل الذي يبيح لنفسه ، في كثير من الاحيان ما يجب ان لا يباح اطلاقا ، فتتعادل الكفتان .

الدكتورة سمرسكل في كتابها ، أرفق مني في تعليقي . ولعل ذلك يعود الى انني اتكلم عن ذاك الذي يمس حياتي وكياني انا ، كامراة عربية وكفرد في المجتمع بينما تتكلم هي عن غيرها ، وقد اطمانت نفسها الـى تملكها للحرية التي هي من حقها كانسان . ومع ان المرء اذا نظر الـى شرقنا العربي جنح احيانا الى التشاؤم ، فاني استطيع ان أرى الخير الكثير هنا وهناك . وان في جيلنا امكانيات كثيرة . وهل هناك مجـال للشك في ان المراة المتعلمة فيه قد اثبتت وما زالت تثبت موجوديـة رائعة . ولينظر كل منا الى المتعلمات من نساء هذا الجيل ، أفلسن أنقى واحكم واكثر جدا من الكثيرين من ابناء جيلهن ؟

ذلك لان المراة العربية ، بنت جناح الحريم بالامس ، لـم تعتـد التفلت والموارية وذلك الاستهتار نحو الواجب الذي اعتاده الكثير مـن رجالنا في صراعهم المحتوم مع بلاوى حكومات غاشمة كثيرة حكمت الشرق الاوسط في عهوده الاخيرة المختلفة . انه يندر للانسان ان يرى امرأة عربية متعلمة ترضى مثلا بان ترتشي او تخون وطنها او تتعامل مع عناصر الشر ضد خير امتها وبلادها : الشابة العربية اليوم عنصر غني رائع فـي مجتمعنا ، فلتوجه اليه الانوار ، ففيه كل الخير وكل الاستعداد للمساهمة في بناء مجتمعنا المتمزق ، وما احوجنا الى البناء . ولا بد هنا من القول اننا مصممات على ان نبني ، اراد الرجعيون ام ابوا .

ولعل الدكتورة سمرسكل لم تنتبه الى كل هذا في كتابها ولم تدرك كم نحن مصممات ان نجد كياننا وان نعيش وجودنا على اكمل ما يمكنا ان نعيشه ، ضمن اوضاعنا الشاذة في فترة الانتقال التي تعانيها بلادنا . ولكني تحدثت معها في الامر وقد اخبرتني انها لمست في نسائنا جـدا ونقاءا واستعدادا كبيرا لحياة ارقى ، على المسرح وليس بين الكواليس .

واذا صح ظني ، فان كتاب الدكتورة سمرسكل « عزيزي احمد » سوف يحدث تأثيرا قويا في نساء جيلنا ، اذ انني لا اعتقد انه يعقل ان تقراه امراة ، ولو كانت متوسطة التعليم ، دون ان تشعر بانه يتحدث اليها عن جميع مشكلاتها ، تلك التي تعرفها تمام المعرفة ، وتلك التـي تجهلها ، وتلك التي تشعر بوجودها شعورا مبهما ولا تعرف ان تضع اصبعها عليها . اما اولئك النساء اللواتي يؤمن اصلا بحقوقهن ايمانـا عميقا قويا ، اولئك الثائرات على اغتصاب المجتمع لحقوقهن الطبيعية العادلة ، فان رسالة الدكتورة سمرسكل لخليقة بأن تثبت فيهن الشجاعة والجلد على متابعة كفاحهن الحق في سبيل كيان محترم ووجود راق متحرر .

لنـدن **سلمى الخضراء الجيوسي**

الحصان الاخضر وقصص عراقية اخرى ..

تاليف ناجي جابر وعبدالله جواد وعبداله حسن ومنير امير
ـ ٧٤ صفحة ـ الرسوم بريشة منير امير ـ مطبعة الامة ببغداد

●

للتجربة أثر كبير في ابراز شخصية القاص خلال اسلوبه . ولا يعني هذا ضرورة كون القاص « البطل » في القصة وانما ما تتركه هذه التجربة من اثار في القاص من حيث المشاعر والاحاسيس من جهة ومن حيث السلوك من جهة اخرى .. اذ يمكن القول بجواز بناء الاحكام وتقرير الحال ووضع الحلول المناسبة للمشكلة ـ في القصة ـ على تلك المشاعر وذلك السلوك ...

ان التجربة التي يمر بها القاص نفسه او يمر بها بصورة غيرمباشرة. أي خلال الناس الذين يعرفهم او يصادفهم او يعاشرهم هي ذات اهمية فنية كبيرة . لا سيما للتعرف على الشخصيات من حيث العواطف والسلوك .. اذ نتساءل انذاك ونبحث عن الايجابية والسلبية فيها . وما اذا كانت طبيعية ام لا ؟ وهل ان القاص تمكن من تحديدها ـ نظرا لصلته بها ـ بحيث تأتي منسجمة مع حقيقتها الاجتماعية والنفسية او الصورة التي ارادها لها او مع الاحداث التي كانت بمثابة دوافع حركتها وتفكيرها ...

ان اسباغ هذه الاهمية على التجربة والشخصية من الامور الفنية ذات الصلة القوية بفن القصة . اذ ان شخصية القاص تبرز في القصة حيث ان هناك اسقاطا ـ كليا او جزئيا ـ لشخصية القاص الحقيقية . ومؤدى هذا الامر هو الى عدم ضياع خصائص الشخصية الحقيقيةكالحركة المطلوبة منها ـ التي يجب ان تتناسب معها ـ او فكرتها . او مميزات تكوينها العام . واسلوبها لتلقي الاحداث وموقفها منها . ثم الحلول التي تراها صالحة للمشكلة .» كل هذه الامور تمس القاص ـ من حيث الشخصية ـ من بعيد او قريب وتمس القصة من حيث كونها عملا ادبيا له اسس ثابتة . وانها تعمل على ابراز او طمس اسلوب القاص او تفكيره لانه هو نفسه واضع الخطوط الرئيسية للمشكلة والاحداث والنفسية والسلوك والحل ..

وفي ضوء ما تقدم نقول ان مجموعة « الحصان الاخضر » تفتقر كليا الى الاسس المارة الذكر . حيث انها ترتكز على خطأ فني كبير لا يغتفر ابدا .. وذلكم الخطأ هو « المشاركة في التجربة » . اذ نجد اكثر من اثنين من المؤلفين يشاركون في معالجة قصة واحدة .. ونرى ان شخصية واحدة تتناولها اقلام ثلاثة او توزعت على ثلاثة كتاب يختلفون في النفسية والسلوك والتفكير والسن والتجارب واخيرا في نظراتهم الى المشاكل والاحداث والمواقف والارتباطات الاجتماعية والاقتصادية وحلول القضايا التي تنطوي عليها قصصهم .. اذن . ما مصير قصة بين هؤلاء ؟ انه مصير اسود ولا شك . كما وانه اضاعة للاسلوب حتما . فهل نثق بعد هذا بتجاربهم وابطالهم ؟ بل بقصصهم ؟ نترك هذا الامر الى القراء والنقاد ...

وهناك ملاحظات على هذه المجموعة نوجزها فيما يلي :

اولا ـ ان اكثر موضوعات المجموعة اجتماعية الا انها تفتقر الى الصراع . والسبب فيما نرى هو جنوح المؤلفين الى التصوير في أكثر قصص المجموعة كما في « الحصان الاخضر » و « مطلوب في كل مكان » و « لص صغير ومطر » و « الى حيث وليمة العشاء » و « الكلاب الصغيرة » . والتصوير جاء مجردا لذا ضاع الصراع ..

ثانيا ـ يغلب على كل القصص التسجيل لكونها صورا فوتوغرافية .. والسبب هو اختلاط التجارب وذوبان شخصيات المؤلفين خلاله .

ثالثا ـ حاول المؤلفون خلق الاستجابة بالوان من التعاطف بين ابطال القصص والشخصيات الثانوية لكنهم فشلوا لاعتمادهم على عنصر « المفارقات » وجعلها وسائل الاستقطاب بين شخصيات القصص .

رابعا ـ اعتمدوا التقرير وسيلة للكشف عن المتناقضات في حياة الابطال .. وهذا سبب جديد يضاف الى اسباب فساد المجموعة . كما نرى ذلك في « متشرد في علوة مهجورة » حيث نجد ان السارق يوجه كلامه الى الجمهور قائلا « لم لا تكفون عن مطاردتي أيها المجانين الحمقى.. انني لا احمل شيئا معي الان .. الم تكتفوا بكل هذا . لم تحاولون امساكي اذن ؟ هيا اتركوني واذهبوا الى منزلكم .. انها الحاجة .. حاجتي وعائلتي .. صدقوني دفعتني الى هذا الاتجاه » . لاشك ان هذا « الايضاح » لاسباب السرقة ـ مثلا ـ يعتبر وجهة نظر المؤلف لا المتشرد الامي..

خامسا ـ كان من الضروري من الوجهة الفنية جعل الحوار في بعض القصص باللهجة العامية لتوفير عنصر التطابق بين الابطال ومستوياتهم الذهنية واسلوبهم في التعبير ..

والان نحاول القاء نظرة اخيرة على القصص على التوالي ..

« الحصان الاخضر » ليست غير مجرد تصوير جامد الا ان المؤلفين حاولوا خلق موقف درامي خلال احاسيس طفلة صغيرة لكنها محاولة فاشلة ..

« متشرد في علوة » و « لص صغير ومطر » فكرتهما اجتماعية يغلب عليهما التصوير الفوتوغرافي المجرد والتقريرية .. وموضوعهما جبرية السرقة كحل لمشكلة الحاجة . واضح ان هذا الحل غير صحيح وغير انساني لاعدامه الثقة بالانسان في الوقت الذي ينبغي ان نؤمن بالانسان ... بطيبته وسلامة طواياه والتفاؤل بالحياة ... بالاضافة الى ان بطلي القصتين بشرحان دوافع السرقة كأي مصلح اجتماعي او مشرع ولا شك ان هذه الطريقة المباشرة للمعالجة او التعبير في القصة خطأ فني . اذ ليس البطل ـ في القصة ـ ملزما بشرح وتبرير دوافع سلوكه مهما تطلب الموقف ذلك ..

« مطلوب في كل مكان » قصة فنان اضاع الاحساس برابطته بالحياة .. ولا ريب ان المضمون ينطوي على اتهام الفنان بالانطوائية والهروبية والتشاؤم بالاضافة الى كون التصوير جاء تافها . وكان يجب ان يكون عميقا ومؤثرا بحيث نرى انفسنا رفاق ومنقذي الفنان لكي لا يضيع . وبدا الفنان في هذه القصة فردا تافها ..

« عود ثقاب واحد » قصة تافهة جدا لانعدام الموضوع فيها ..

« الى حيث وليمة العشاء » مجرد تصوير محدود لرجل يرغب في تناول طعام دسم لحرمانه منه . اذ نراه يذهب الى منزل احد الناس ـ دون سابق معرفة ـ وهناك يلتقي بصبي وتجري بينهما محاورة ـ لا دلالة لها على شيء ـ ثم يعلم بان الوليمة قد انتهت . ماذا نجد في هذه القصة ؟ لا شيء على الاطلاق سوى ان الصبي اقحم فيها لابراز فكرة التعاطف ..

« البغي الخرساء » قصة جيدة من حيث الفكرة والتصوير الفني والاحساس بالصراع ـ في مدى محدود ـ وكذلك من حيث الشخصية المتميزة .. لكن « القاص » لم يجعل من حركات البغي الخرساء واشاراتها دلالة على عمق مأساتها خلال محاولتها التعبير عما يختلج في اعماقها وما كان يقابلها من سخرية واستهزاء الاخرين ..

« مأساة في سوق الغزل » قصة مأساة واقعية كتبت باسلوب السرد البسيط . وكانت جيدة التصوير ومحبوكة الا ان اجتماعية

المضمون طغت على الاسلوب مما ادت الى الاخلال بالتوازن بين الشكل والمضمون ..

« شخص تافه » بطلها اضحوكة بليد الاحساس .. ولم تكن خطواته الاخيرة منسجمة مع تكوينه النفسي والعقلي . تلك التي جاءت بمثابة احتجاج على قسوة المجتمع الذي اهمله خلال اهمال الناس له والاستهزاء به بالاضافة الى ضعف الدافع اليها .. وواضح ان مضموناً مثل هذا يتطلب التعمق في نفسية البطل والمضي في القصة ـ من حيث احداثها ـ خلال التراكمات النفسية التي اضطر البطل الى قمعها لتنفجر في شكل يدعونا الى التجاوب معه لا الضحك عليه .. بان نعيد اليه خلال احساسه بمأساته ثقته بنفسه وادميته الضائعة ..

« لحظات مع الوحدة والضجر » قصة القلق والملل والصراع بشكليه الاجتماعي والنفسي .. فالبطل لا يكاد يجد حلا لمشكلته لكن « القاص » يدفعه الى سلك سبيل صبياني « واخذت اركض واقفز هنا وهناك بدون مبالاة لاي شيء » الذي جاء كتنفيس عن شعور البطل المزدوج بمشكلته من جهة والصراع من جهة اخرى ..

« حيوان صغير » كانت مجرد صورة بدائية لحادثة تافهة اراد « القاص » ان يخلق منها جوا دراماتيكيا خلال النهاية ..

« رحيم وحماره » لا تختلف هذه القصة عن غيرها في اكثر نواحيها . فهي قبل كل شيء تفتقر ـ كصورة ـ الى الايحاء سوى ان البطل وحماره مرتبطان معا في عالم « العدم » ..

« لحظات صفراء » قصة ذات مسحة وجودية .. فالدافع بالنسبة الى البطل غامض او معدوم . لكنه يتصرف كما لو كان هناك تصميم سابق كل ذلك لان البطل يحس بوجوب التصرف الحر. كما يريدهو. ذلك لانه « حر » . ولانه هو بالذات يصنع لحظاته دون ان يشاركه الغير في هذا الخلق . سواء أكان هذا الغير انسانا او ظروفا . والا لكانت علاقاته بالاخرين ترتكز على القواعد الاجتماعية المألوفة والمتعارف عليها . لكننا نراه ينبذ تلك العلاقات لانها لا شيء في نظره بل لانها تخلق له وضعا يتسم بالحرية والانطلاق .. وكان مرضه او تمارضه بتعبير ادق ـ كوسيلة للتهرب ـ ينسجم مع لحظاته التي احس فيها بنفسه .. وبحريته .. وكان دلالة موضوعية على سلوك وجودي .. واثر هذا نراه يترك مقر عمله في الشركة بكل هدوء كما لو كان يتصرف تصرفا طبيعيا . وهو بهذا يقدم الدليل تلو الدليل على « كونه حرا وصانعا لنفسه ومسؤولا عن نفسه ». فيخرج ليجد نفسه مرة اخرى ويخلق كيانا جديدا في « الشارع حيث الضجيج الذي يصم الاذان » ... الواقع ان شخصية البطل جديدة على القصص المحلي . واضفى عليها الجمال والعمق حسن المعالجة . اذ اتت قوية . ايجابية موحية . والقصة بصورة عامة جيدة من حيث التصوير العميق والمضمون والحوار . ففيها العمق في التعبير والاحساس بالتجربة والصدق ..

« الكلاب الصغيرة » صورة جميلة لاطفال صغار .. يرغبون في امتلاك كلاب صغيرة .. واجمل منها تصوير محاولاتهم وفشلهم في آن واحد . وكان الحوار فيها مطابقا لمستوى الابطال الذهني وموحيا بالرغم من كونه جاء بالفصحى .. ولا ننسى كون شخصيات الابطال ايجابية مؤثرة منسجمة مع الاحداث والسلوك والتعبير ..

« ليلة فيها قمر ساطع » اراد « القاص » ان يخلق شيئا لكنه حاول ان يعالج الفكرة معالجة نفسية وعن طريق اسلوب « التداعي » غير انه قدم لنا صورة وصورة باهتة لبطله .. وكنا نحس ببرودة عواطف البطل بل بضبابيتها بالاضافة الى انعدام كل دلالة فيها . وانتهت القصة الى حيث « قمر ساطع وضوئه الساقط على القضبان » .

الخلاصة ان المجموعة فاشلة كما يتبين مما مر . وبقي ان نقول عن الاسلوب . انه كان ضعيفا لا يمكن الاعتماد عليه لانشاء القصص . والذي نرجوه من المؤلفين هو الكتابة مستقلين ليتبين للقراء اسلوبهم الحقيقي . اما كتابة القصص بهذه الطريقة ـ المشاركة في كتابة قصة واحدة ـ فليست سوى العبث ...

العراق ـ اربيل **عبد الصمد خانقاه**

بخارى

لصدر الدين عيني ـ قصة ـ ترجمة احمد ابو سعد ـ ٢٤٠ صفحة ـ سلسلة قصص انسانية ـ منشورات دار بيروت ـ مطبعة كرم بيروت

●

تعريف بهذه القصة كلمة الاستاذ احمد ابو سعد التي قدم بها الكتاب الى القراء ننقلها فيما يلي :

بخارى هذه قصة من نوع ادب المذكرات ، يدون فيها الكاتب البخاري « صدر الدين عيني » ذكرياته ايام طلبه العلم في مدرسة « مير عرب » بمدينة بخارى الاسلامية الشهيرة في التاريخ .

والقصة بعد ليست تصويرا لحياة كاتبها بمقدار ما هي ايضا صورة لحياة سكان تلك المنطقة في برهة من الزمن يرجع تاريخها الى ما قبل سبعين عاما او ثمانين .

هذا وبرغم اللون المحلي الصارخ الذي تصل فيه الواقعية الى حد يجعل من القصة مرجعا امينا نادرا لاولئك الذين يتمنون ان يحصلوا على وثائق بتاريخ تلك المنطقة الاسلامية العريقة بثقافتها ، اقول برغم هذا اللون المحلي فان القصة تتجاوز حدود ادب تلك البلاد لتؤلف ـ وخصوصا بالنسبة الينا نحن العرب ـ لوحة حية ترسم لنا الوان تلك الحياة في ربوعنا ومظاهرها المختلفة في ما غبر من عصور الانحطاط .

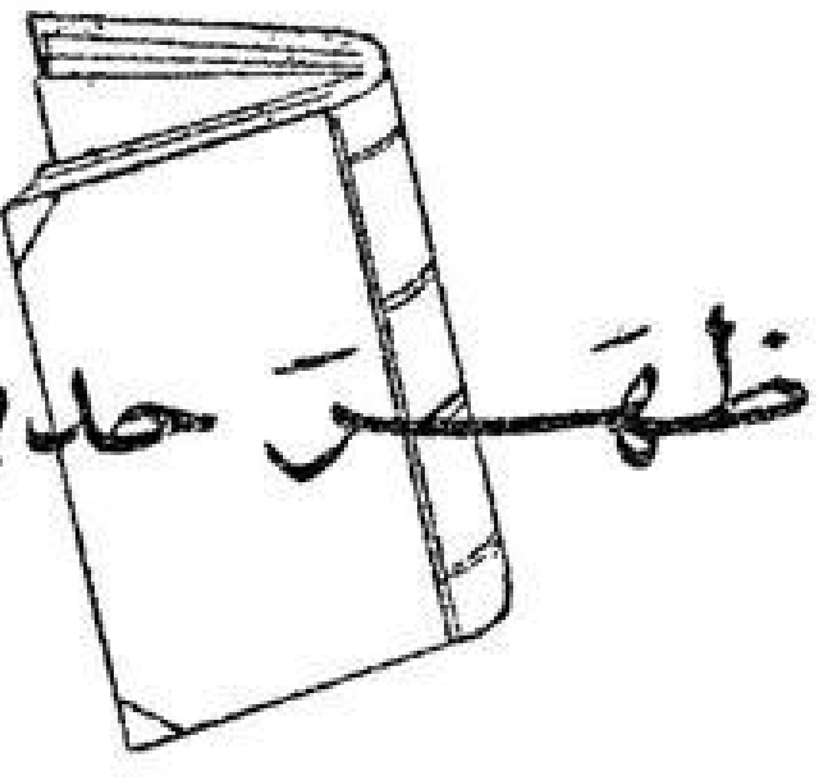
ومن هنا اعتقد انه سيكون لهذه القصة فعل السحر في نفوس القراء العرب ! فلعمري أي قارىء عربي سيقرأ من « بخارى » هذه السطور يصور بها « عيني » مدرسة « مير عرب » والعيش في خلواتها ، ومنهج دروسها الاثري ، ومدرسيها ، وطريقة تدريسهم ، وكتب التدريس ثم لا يتمثل الحياة في مدارسنا القديمة قبل نصف قرن او اكثر ؟

بلى سيذكر ذلك كله . واحسب انه سوف تستبد به الذكرى ايضا عندما يقرأ « ابو الشوارب » و « الخسوف » و « العيد في فايزاباد » ثم يمشي مع المؤلف في دروب الريف ويخوض في ازقة المدينة مارا باحياء النحاسين والحياكين والصاغة وباعة الثمار ، سيذكر اناسا يعرفهم ، واحياء سكن فيها ، ونماذج من البشر لا يزالون يدبون بين ظهرانيه يصفهم « عيني » له وصفا حسيا واقعيا ، ويحركهم تحريكا طبيعيا حتى ليكاد القارىء يمد اليهم يده ليقبض عليهم ، ولا يصدق نفسه انه يقرأ عن اناس غرباء عنه او يتجول في مدينة ليست مدينته ، فلا يلبث ان يصرخ من الدهشة : ويحهم ! هذا فلان وذلك فلان وتلك فلانة وهذه اخرى .

خلد « عيني » ! هذا هو الادب . فان القدرة والواقعية اللتين عرف هذا الرجل كيف يرسم بهما مجتمعه السابق جعلتا من عمله حدثا يتجاوز اطاره المحلي ليغدو قمة من قمم الادب العالمي .

* * *

هذا وان كان لنا من شيء نزيده فهو اعجابنا بترجمة الاستاذ ابوسعد الذي نفذ الى روح المؤلف واستطاع ان ينقل الينا ادق المشاعر واخفى اللفتات بلغة عربية صافية حافظ فيها على الاصل وراعى طريقة اللغة التي نقل هذا الاثر اليها .



ظهر حديثاً

● ديوان اليعقوبي ـ الجزء الاول لمحمد علي اليعقوبي عميد جمعية الرابطة الادبية في النجف ـ مع مقدمة للشيخ محمد رضا الشبيبي ـ ٣٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت وزارة المعارف العراقية على نشره ـ مطبعة النعمان بالنجف العراق .

● الهلال ـ لشاعر الهند رابندرانات طاغور ـ ترجمة الدكتور بديع حقي ـ ٦٠ صفحة ـ مطابع دار العلم للملايين بيروت .

● كتاب البيان لمباحث الاخوان ـ تاليف ابو منصور اليماني الملقب « با لشادلي » ـ تقديم وتحقيق مصطفى غالب عضو مجمع الدراسات الاسماعيلية ـ ١١٢ صفحة ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

● نبض الوجدان ـ ديوان شعر ـ لحافظ جميل ـ مع مقدمة لمنير القاضي رئيس المجمع العلمي العراقي وتعريف لخالد الدرة ـ ٣٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ لوحة الغلاف بريشة فريدون مرتضى ـ الاطارات الداخلية ليحي جواد ـ الخط لكريم رفعت ـ مطبعة الرابطة ببغداد .

● تاريخ شيلي ـ تاليف اسماعيل فالدس فرغارا ـ ترجمة ماري عطاالله ـ مع مقدمة لجرجي نقولا باز ـ ومقدمة بالاسبانية لموسى موسى ـ ٤٥٨ صفحة ـ دار ريحاني للطباعة والنشر ببيروت .

● ابتسامة ربيع ـ مجموعة شعرية ـ لكريم سيف الدين ـ جمعه وقدمه للنشر محمد عباس عبد الرحمن ـ ١١٣ صفحة ـ الغلاف بريشة عبد القادر ارناؤوط [لم يذكر اسم المطبعة] .

● حضارة في طريق الزوال : القرية اللبنانية ـ للدكتور انيس فريحة الجامعة الامريكية في بيروت ـ ٢٧٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات كلية العلوم والاداب بالجامعة الامريكية بيروت : الحلقة ٢٨ من سلسلة العلوم الشرقية ـ مطابع « الكريم » جونيه لبنان .

● نعمة الحياة : اجتماع ، ادب ـ لحسيب عبد الساتر استاذ الادب العربي في مدرسة الحكمة ـ ١٧٤ صفحة ـ الكتاب التاسع من سلسلة مطبوعات الشبيبة ـ منشورات الحكمة بيروت ـ مطبعة صادر بيروت .

● غيوب ـ مجموعة شعرية ـ لجورج رجي ـ ٩٦ صفحة ـ الغلاف والرسوم والعناوين بريشة بيار صادق ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

● الغواني في شعر ابراهيم طوقان ـ للبدوي الملثم ـ مع مقدمة لشكري شعشاعه ـ ١٢٧ صفحة ـ دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت.

● التعليم والتربية في الولايات المتحدة ـ لميشال نعمة من حلقة الثريا ـ ١٣٣ صفحة ـ الكتاب الثامن من سلسلة مطبوعات الشبيبة ـ منشورات الحكمة بيروت ـ مطبعة صادر بيروت .

● اثنان + صفر = ثلاثة ـ قصة ـ لنهاد رضا ـ ١٦٤ صفحة ـ مطبعة الشرق بحلب سورية .

● الامس الضائع ـ مجموعة شعرية ـ لحسن عبد الله القرشي ـ مع مقدمة لطه حسين ـ ١٥٩ صفحة ـ مزين باللوحات الفنية ـ مطابع دار المعارف بمصر .

● لوركا قيثارة غرناطة ـ مسرحية لشاعر اسبانيا الشهيد لوركا مع مختارات من شعره وتحليل لاهم اثاره للكاتب س.م. بورا والرسام الاسباني كريكوريو مع نماذج من رسومه ـ ترجمة كاظم جواد وسلافة حجاوي ـ ١٦٠ صفحة ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● ايديولوجية عربية جديدة ـ لمصطفى عبد اللطيف السحرتي ـ ١٨٦ صفحة ـ منشورات البعث الجديد ـ دار الطباعة الحديثة [؟]

● اغاني المدينة الميتة وقصائد اخرى ـ مجموعة شعرية ـ لبلند الحيدري ـ ٨٨ صفحة ـ لوحة الغلاف بريشة جواد سليم ـ مطبعة شركة التجارة والطباعة المحدودة ببغداد .

● الجزر الخضراء « هندونيسيا » ـ لحبيب جاماتي ـ ١٦٠ صفحة ـ الكتاب ١٧٣ من سلسلة اقرأ ـ مطابع دار المعارف بمصر .

● فارس بني عبس ـ لحسن عبدالله القرشي ـ مع مقدمة للدكتور عبد الوهاب عزام ـ ١٣١ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع دار المعارف بمصر

● رباعيات قدس نخعي او خيام القرن العشرين ـ ترجمها عن الفارسية شعرا مهدي جاسم ـ ٣٠٠ صفحة تقريبا ـ مزين بعدة لوحات فنية ـ يضم الكتاب النص الفارسي ـ نشر وطبع Mouton et Co. — The Hague — Holland

● قاطع الطريق ـ قصيدة طويلة من الشعر الحر ـ لعبد الرزاق حسين ـ ١٤ صفحة ـ مطبعة الاديب بالبصرة العراق .

● الجزرة الاولى ـ مسرحية تمثيلية ـ للاب يوسف سعيد ـ ٣٨ صفحة ـ مطبعة الشمال بكركوك العراق .

● النجدة ... الشعب الجزائري يباد ـ لمالك بن نبي ـ ٣٢ صفحة منشورات المكتبة الاهلية بطرابلس الغرب بليبيا ـ المطبعة العالمية بالقاهرة.

● الشعر العربي في المهجر : امريكا الشمالية ـ للدكتور احسان عباس جامعة الخرطوم والدكتور محمد يوسف نجم الجامعة الامريكية بيروت ـ ٢٩٢ صفحة حجم كبير ـ منشورات دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر بيروت .

● ان ... والاخريات ـ مجموعة شعرية ـ لفازي الكيلاني ـ مع مقدمة للسيدة سعاد محمد عضو مدرسة الادب الفرنسي بكلية الاداب والعلوم ببغداد ـ لوحة الغلاف بريشة يحي الخطاط ـ ١٢٢ صفحة ـ مطابع الشركة الشرقية ببغداد .

● كنت في اجازة ـ مسرحية ضاحكة ـ لعبد الرؤوف عابدين الخانجي ـ ٧٢ صفحة ـ مطبعة مصر بالخرطوم السودان .

● اراء توماس جيفرسون الحية ـ لجون ديوي ـ ترجمة محمود يوسف زايد ـ مراجعة الدكتور جبرائيل جبور ـ قدم له الدكتور نبيه فارس ـ ٢٦٠ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات دار الثقافة بيروت ـ مطابع دار الكشاف ببيروت.

● نادية ـ قصة ـ تاليف ليلى عبد القادر ـ ١٢٦ صفحة ـ مطبعة المتنبي [؟]

● مسقط وعمان السلطنة المجهولة ـ لعبد الرزاق الخالدي ـ ٧٢ صفحة ـ لوحة الغلاف بريشة كابي عشي ـ مطبعة العرفان بصيدا لبنان.

● الاطمئنان النفسي ـ للدكتور ابو مدين الشافعي ـ ١٦٠ صفحة حجم كبير ـ دار الفتوح للطباعة بالقاهرة .

● نفسية الطفل ـ للدكتور ابو مدين الشافعي ـ ١٤٤ صفحة ـ دار الفتوح للطباعة بالقاهرة .

● دستور الام : طفلك في عامه الاول ـ للدكتور بنجامين سبوك ـ ترجمة محمد المعلم ـ تقديم ومراجعة الدكتور احسان عوض ـ ٣٧٤ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

فقد تابع العمل بدون كلل في أطروحة الليسانس التي سعى ان يلقي فيها الضوء على قسم من الرياضيات لا يزال مجهولا – قسم افضل تقارب في حقل المركبات . وبامكان المرء ان يشعر في كل مكان بشخصية مرغيليان الخلاقة وبنبوغه وجلده : فقد انجز اطروحته في ١٠ اشهر في حين ان المدة النظامية هي ٣ سنوات. وفي ذلك العصر كان قد اصبح معروفا بوصفه واضع ٩ اعمال علمية .

ان يوم ١٧ فبراير ١٩٤٩ سيبقى الى الابد في ذاكرة سيرج مرغيليان ... فقد عقدت حينذاك جلسة المجلس العلمي لمعهد ستيكلوف برئاسة ا. بتروفسكي . وكان مرغيليان يقدم اطروحته ، ويتحدث باطمئنان ووضوح .

وعندما سكت مرغيليان وغادر المنصة خيم على القاعة صمت عميق . وكان الاكاديمي م. لافرنتييف اول المتكلمين فقال :

– ان الاطروحة تعمم الموضوع بصورة نهائية . وهذه الاطروحة ذات اهمية قصوى ، وهي قد اتت بكثير من العناصر الجديدة في علم الرياضيات المعاصر . وبالنظر الى مغزى الاطروحة الرائع اقترح اعطاء سيرج نيكيتوفيتش مرغيليان لقب دكتور في العلوم الفيزيائية – الرياضية رأسا لا درجة مجاز (ليسانسييه) ..

وغمر التصفيق العبارات الاخيرة التي لفظها الاكاديمي . وأيد المعارضون العلميون الذين تحدثوا فيما بعد اقتراح م. لافرنتييف باجماع اصواتهم الاربعة عشر .

وهكذا عاد حائز لقب الدكتوراه الذي لم يتجاوز العشرين من عمره الى موطنه يريفان واصبح بروفسورا في الجامعة التي كان فيها منذ أمد قريب مجرد طالب .

ومنذ ذلك الحين كرس الفتى جميع مواهبه ومعارفه لقضية هامة جدا من قضايا الرياضيات الخاصة ، ولكنها قضية لم تدرس كفاية – وهي تتعلق بمسائل نظرية الوظائف البناءة . وفي الوقت نفسه عمل في ميدان الرياضيات المرتبط بمسائل الطيران وحركة الغازات .وهو يحلم باستخدام معارفه في حل مسائل الاقتصاد الوطني التي من شأنها ان تساهم في صناعة الات تفوق سرعتها سرعة الصوت .

ليس سيرج مرغيليان عالما جافا منغمسا في العلم كليا . فهو من كبار هواة الرياضة ومن كبار العارفين بالادب والموسيقى والمسرح واللغات الاجنبية.وقد زار العديد من البلدان الاجنبية بوصفه عضوا في وفود من الشباب السوفياتي . وقد اتيح له ان يتكلم امام العلماء في براغ وفيينا ، وامام طلبة بوخارست

وفي عام ١٩٥٣ وكان قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره انتخب بروفسور جامعة يريفان الشاب عضوا مراسلا في اكادمية علوم الاتحاد السوفياتي . وفي ذلك الوقت كان قد اصبح مؤلف سلسلة من المؤلفات الجدية الاصيلة في ميدان الرياضيات العالية والطيران وقد حازت محاضراته العرضية في جامعة « لومونوسوف » في موسكو التابعة للدولة ، وكذلك تقاريره في الجمعية الوطنية للرياضيات وفي معهد « ستيكلوف » للرياضيات التابع لاكادمية علوم الاتحاد السوفياتي .

وفي عام ١٩٥٥ دعي مرغيليان للتدريس في جامعة موسكو في كرسي الرياضيات العليا . فقبل هذه الدعوة بطيبة خاطر ، ولكنه أراد ان يظل استاذا في جامعة يريفان في الوقت نفسه

و س . مرغيليان هو الان مدير المعهد الفيزيائي – الرياضي في اكادمية علوم ارمينيا واستاذ في جامعة « لومونوسوف » بموسكو .

ان طراز حياة هذا العالم البارز وجلده يمكن ان يصبحا مثالا رائعا لقوة الشكيمة وللامانة للعلم .

في كلمات ...

● صرح الدكتور جون هيلر كبير الخبراء في مرض السرطان في الولايات المتحدة بان رجلا مدمنا على التدخين وفي الخامسة والاربعين من العمر يواجه احتمال موته بسرطان الرئة كاحتمال موته بحادث سيارة .

وقال الدكتور هيلر الذي يشغل منصب مدير مؤسسة السرطان في دائرة الصحة العامة في الولايات المتحدة ، ان ٢٥٠٠٠٠ اميركي يلاقون حتفهم بسبب سرطان الرئة في كل سنة ، وهي نسبة تزيد قليلا عن نسبة واحد بالمئة من اسباب الوفاة الاخرى .

● صرح البروفسور هاري غريـن رئيس قسم الاسنان في كلية الطب في جامعة يال بأنه ليس للتدخين علاقة مباشرة بالسرطان الرئوي وان ما قيل عن ذلك لا يقوم على اساس علمي .

● اعلن الدكتور لوبيز كردوزو الاخصائي في داء السرطان في جامعة ليدن بهولنده ، في بروكسل ان في وسع الشخص العادي ان يدخن ٢٥ غليونا في الهواء الطلق في الارياف دون ان يتعرض لاي خطر غير ان التدخين في غرفة محصورة او جو فاسد الهواء « يشكل خطرا على بعض الاشخاص ». وقال لا شك في ان ثمة علاقة بين سرطان الرئة والاكثار من التدخين .

● أعلن أحد العلماء الاميركيين البارزين الذين يجرون ابحاثا في مرض السرطان انه سيستمر في التدخين لانه ، كما يقول ليس هناك أي دليل حاسم على ان التدخين يسبب سرطان الرئة .

وقال هذا العالم انه سيستمر في التدخين حتى تتوقف شركات التبغ عن الانتاج .

● نشر الدكتور ارنست مايندر بحثا علميا عن امكانية صنع سجائر سليمة لا تسبب السرطان جاء فيه :

من المؤكد ان صنع سجائر سليمة لا تسبب السرطان أمر ممكن وذلك باستعمال مصفاة فعالة وتبغ صالح وصنع مثل هذه السيجارة يجعل المدخن مطمئنا الى تدخين سيجارة لا ضرر فيها . ويقول الدكتور وايندر ان بعض شركات التبغ الاميركية قد انتجت سجائر ذات مصفاة تحتوي من المادة اللزجة التي يؤكد انها تسبب السرطان اكثر مما تحتويه السجائر التي لا مصافي (فلتر) لها. وان المصفاة الفعالة التي اقترحها تزيل من السجائر ٤٠ بالمئة على الاقل من المادة اللزجة والنيكوتين .

ويورد الدكتور وايندر نقطتين هامتين في بحثه :

النقطة الاولى : ضرورة تخفيض درجة الحرارة التي تحترق بها السيجارة اذ ان المواد التي تسبب السرطان تزول عندما يحترق التبغ بحرارة ٦٢٠ درجة فهرنهايت او اقل ، فالحرارة التي تحترق فيها السجائر الان هي ٨٨٠ درجة .

النقطة الثانية : تنظيف اوراق التبغ لازالة طبقة الشمع التي هي مصدر رئيسي لاغلبية المواد في السجائر التي تسبب السرطان .

● تنبأ اثنان من علماء الابحاث الاميركيين عن اكتشاف عقاقير كيماوية تشفي من السرطان في مدى « حياة الجيل الحالي » . فقد نشر العالمان الطبيبان مقالا في المجلة الاسبوعية التي تصدرها الجمعية الكيماوية الاميركية قالا فيه ان التجارب المخبرية الحالية التي تجمع بين العلاج بالعقاقير الكيماوية ومبضع الجراح قد نجحت في شفاء من ٧٠ الى ١٠٠ في المئة من الحيوانات المصابة باورام سرطانية كبيرة وصغيرة .

● اكتشف الدكتور دانيال مورتون وسيلة جديدة لاكتشاف سرطان الرحم وتبين بعد اختبارها نجاحها في ٩٠ بالمئة من الحالات .

والطريقة الجديدة عبارة عن حقن محلول من الملح في تجويف الرحم ، ثم سحبه ثانية واختباره بالميكروسكوب الذي يمكن بواسطته التأكد من وجود خلايا السرطان في الرحم

من عدمه . وهذه الطريقة كانت السبب في اكتشاف كثير من الحالات التي عجز الطب عن تشخيصها ، والتي تبين ان سببها هو سرطان الرحم . ومن مزايا هذه الطريقة الجديدة ، معرفة سرطان الرحم في وقت مبكر وبالتالي يصبح في الامكان علاجه قبل فوات الاوان .

● توصل العلماء الروس في معهد خاركوف للعقاقير الطبية الى انتاج نوع من الاقراص لعلاج ضغط الدم .

وقد بدأت مصانع الادوية في انتاج كميات ضخمة من هذه الاقراص وينتظر ان تنتج المصانع ١٠٠ الف زجاجة قبل نهاية هذا العام .

● صرح اربعة من اطباء الابحاث في مستشفى هوبارت الملكي انهم يعتقدون انهم سبقوا الاطباء الاميركيين في محاولة انتاج مصل يستطيع ان يذيب التجمدات الدموية ويساعد المصابين بالنوبات القلبية . وقالوا ان تجربة هذا المصل المستخرج في جوهره من الدم البشري قد جرت في بريطانيا على بعض الاشخاص والحيوانات . وعلم ايضا ان الاطباء يأملون ان ينجح هذا المصل في شفاء بعض حالات العمى المفاجيء .

● تجري دائرة الصحة في الكونغو البلجيكي بالاشتراك مع الدكتور هيلاني كوبروفسكي بمعهد ريستار بمدينة فيلادلفيا تجارب على لقاح ضد مرض البوليو (شلل الاطفال) ، يتكون من فصائل حية من الفيروس ، على حيوانات الشيمبانزي . والغرض من هذه التجارب تقرير الحد الادنى للكمية التي يجب ان يحقن بها الشخص من الفيروس الحي لوقايته من المرض . والمعلوم ان لقاح سولك لا يحتوي الا على فيروسات ميتة .

● نجح ثلاثة من الاطباء الاخصائيين الامريكيين في علاج ٥٥ مريضا بالانيميا الحادة وذلك بوضع مقادير من فيتامين ـ ب ١٢ ـ في انف المريض بدلا من استعمالها حقنا . وينتظر ان تعمم الطريقة الجديدة لقلة نفقاتها ولان استعمالها لا يسبب للمريض ما يسببه العلاج بالحقن من الضيق .

● أعلن مدير مصلحة الصحة العامة في الولايات المتحدة نبأ اكتشاف لقاح فعال ضد داء الانفلونزا وان كميات كبيرة منه ستنزل الى الاسواق قريبا .

وقال الدكتور بورني احد كبار الاطباء بأن مصلحة الصحة العامة تعمل بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية في هذا الحقل وقال ايضا ان المصانع الاميركية بدأت بصنع اللقاح وسوف يكون لديها منه ما لا يقل عن ٦٠ مليون جرعة في اخر فبراير المقبل .

● تقول المصادر الطبية ان عدد المصابين بالسل في المانيا الغربية يبلغ ٢٥٠،٠٠٠ شخص من مجموع ٥٠ مليون نسمة هم سكان البلاد ، وان عدد الاشخاص الذين تحكم فيهم الداء بلغ ١٠٠،٠٠٠ نسمة . وتقول هذه المصادر ان معدل الوفيات نتيجة للداء اخذ في الانخفاض اذ انه اقل من اثنين في كل عشرة الاف وان السل فقد دوره كوباء يبعث الفزع .

● استطاع الطبيب البريطاني الدكتور اندريه دجورنو ان يجري عملية تعتبر من اجرأواخطر واعجب عمليات الطب الحديث فقد استطاع ان يعيد السمع الى انسان اطرش تمزقت طبلة اذنه بان ادخل في رأسه وتحت غطاء الجمجمة آلة راديو تدعى بالفحمة الحساسة واوصلها بعصبة وعضلة ضمن رأس الرجل والصق على صدغه فحمة ثانية متصلة بمولد كهربائي منخفض التيار ولكنه يستطيع أن يحول الامواج الصوتية الى نبضات كهربائية تتصل بالفحمة الداخلية التي تقوم مقام الاذن عند الاطرش .

● في انباء لندن ان ٢٠٠ اختصاصي من بريطانيا واميركا والمانيا وبعض بلدان اوروبا يعقدون حاليا مؤتمرا للبحث في اسباب الصلع وفي امكانية انبات الشعر مجددا والاسئلة المطلوب من الاختصاصيين الاجابة عليها هي :

اولا ــ لماذا يسقط الشعر في البلدان التي يعيش سكانها في الهواء الطلق ؟

ثانيا ــ لماذا ينبت الشعر فوق اذان الاشخاص في الوقت الذي يسقط فيه شعر رؤوسهم ؟

ثالثا ــ هل الصلع وراثي ؟

وبالرغم من ان الاطباء يؤكدون ان مؤتمرهم لن ينتهي الى نتائج سريعة فانهم يؤكدون ان مكافحة الصلع باتت امرا ممكنا .

ومما يدخل الفرح الى نفوس الصلع تأكيد الطبيب الاميركي هاملتون بان هناك علاقة بين الصلع وحيوية الرجل ويؤكد الطبيب هاملتون ، ان الرجل القوي هو الرجل المعرض للصلع اكثر من غيره .

● توصلت مؤسسة مختبرات التجارب لحفظ الاطعمة في شيكاغو الى اعداد برشامات من الاطعمة لها نفس الفعل المغذي للطعام الذي صنعت منه . ولكنها تخدم مدة اطول من الاطعمة الاصلية . ويحفظ اللحم مثلا في انبوب صغير من البلاستيك ويكون جاهزا للاكل ولكن دون ان يمضغ وتحضر الجبنة على شكل برشامة والحبوب على شكل قطعة صغيرة .

وقد اتقن الخبراء صنع هذه الخلاصة من الاطعمة المجمدة لكي يستعملها الطيارون في طبقات الجو العليا . وينتظر ان تتمكن الصناعات المدنية من تحضير برشامات شهية ومغذية من الاطعمة بأثمان رخيصة .

● اعلن معهد الابحاث بجامعة مينز بالمانيا الغربية انه قد اكتشف ان بذرة الكاكاو التي تصنع منها الشوكولا وكل منتجات الكاكاو الاخرى تحتوي على مواد كيماوية تمنع تآكل الاسنان وتمنع عدم نموها وتقويها وتجملها . وقد اعلن المعهد انه توصل الى هذه النتيجة بعد اجراء كثير من التجارب على مختلف الحيوانات .

● يقوم علماء جامعة كاليفورنيا في بركلي بدراسة حشرات ما تزال محفوظة داخل قطع صغيرة من العنبر منذ ثلاثين مليون سنة . ويعتقد العلماء ان هذه الحشرات علقت في بعض الصمغ الذي تحول على مر السنين الى عنبر . وقد استطاع العلماء حتى الان تحديد حوالى ٧٥ نوعا من هذه الحشرات التي يعود زمانها الى ما قبل التاريخ وهذه الدراسة هامة جدا للابحاث الخاصة بدراسة الاحوال الجوية وانواع النبات والحياة التي كانت موجودة على سطح الارض منذ ثلاثين مليون سنة .

● زعمت امرأة يابانية تبلغ من العمر ٤٠ سنة ، كانت ضحية القنبلة الذرية التي القيت على مدينة هيروشيما اليابانية عام ١٩٤٥ ان مياه احد الينابيع الحارة في شيماني الواقعة في غرب اليابان قد شفتها من الامراض التي

طائرات

Super DC6

التابعة

للخطوط الجوية اللبنانية



تصل أوربا وافريقيا

بجميع بلدان الشرق الأدنى

الخطوط الجوّية اللبنانية

درجة أولى

درجة سياحية

AIR LIBAN

الت بها من جراء الاشعاعات الناجمة عن القنبلة وقالت انها بعد ان استحمت في مياه نبع يونوزو المعدنية مدة ثلاثة اسابيع متواصلة اكتشفت هبوطا في ضغط الدم ، ووجدت ان اثار البقع التي كانت منتشرة في جميع انحاء جسمها قد زالت .

● اعلنت مصلحة الصحة العامة الامريكية في بيان اصدرته انها اخترعت الة خاصة تستطيع وتسهل اكتشاف سرطان الاوتيروس (الرحم) ، وتستطيع هذه الالة اكتشاف الخلايا الغير عادية .

● « تجاوز العلم الدور الذي كان فيه يتساءل الانسان عما اذا كان بالامكان التوصل الى الشفاء من السرطان بالمركبات الكيماوية ، اذ اصبح في مقدور الاطباء اليوم ، ان يستخدموا عددا من هذه الادوية والمركبات الكيماوية لمعالجة بعض انواع السرطانات بنجاح تام وذلك خلال فترة من الزمان تمتد من بضعة اسابيع الى عدة اشهر » . هذا ما اعلنه الدكتور سدني فاربر رئيس قسم الابحاث العلمية في معهد الابحاث عن سرطان الاطفال . وقد اطلع الدكتور فاربر زملاءه الاطباء ان هنالك اليوم نحو ٢٥ الف مركب كيماوي قيد التجربة والاختبار للكشف عما يخفيه كل واحد منها من قوة وفعالية وتاثير على السرطان . على ان هذا البرنامج ما زال في بدء مراحله

● تمكن العلماء في اميركا من استنباط الة جديدة تستطيع فحص ٦٠ عينة من الدم في ساعة واحدة وهي عملية يقتضي لها نهارا بكامله يقوم بها خبير متمكن . والالة الجديدة تسمى « المحلل الذاتي » (اوتو انا لايزر) اخترعته شركة تشونسي التكنية في نيويورك . والقسم الاساسي في هذا الجهاز الجديد هو عبارة عن مطياف تصوير كهربائي لالوان الدم في العينة المعروضة . فتسجل حجرة التصوير الفارق بين عينة دم واخرى وترسمه على لوحة بخط احمر .

● ستستخدم قريبا سلطات الطاقة الذرية في هارول البريطانية دماغا اليا جديدا يستطيع ان يحل العمليات المختلفة بمعدل يعتبر خمسين مرة اسرع من اية الة حاسبة اخرى صنعت حتى الان في اوروبا الغربية . وسيستخدم في ميدان الابحاث الخاصة برقابة الصواريخ ولحل عمليات التنبؤ بالاحوال الجوية والاعمال الهندسية المتعلقة بالابحاث الذرية ووضع تصاميم الطائرات وقد جاء نتيجة لجهود علمية تواصلت خلال ثلاثة اعوام .

● اكتشف المهندس المصري سميح عافيه وجود مواد ذرية في جنوبي السودان ، ورفع تقريرا الى الجهات المسؤولة في الحكومة السودانية . وكان المهندس المصري معارا من مصلحة المناجم المصرية للحكومة السودانية ، وهو من خبراء المواد الذرية والكشف عنها .

● بدات اعمال التنقيب عن الاورانيوم في الاردن . وقال السيد انور ملحس ، الذي اعطى امتياز هذا التنقيب ، ان البحث بدا في منطقة وادي عربه وان الدلائل تشير الى وجود كميات كبيرة من الاورانيوم .

● أعلن رئيس الوزارة البريطانية المستر هارولد مكميلان انه سيكون لدى بريطانيا جهاز جديد لتطور الابحاث الذرية وللاسراع في عملية تفكك المواد الذرية وتبلغ نفقات هذا الجهاز الجديد ٧ ملايين استرلينية . ولقد تم الاتفاق على صنع هذا الجهاز كما ان سلطات الطاقة الذرية في هارويل وافقت ان يكون مقره على مقربة من مركزها في هارويل .

● تحدث السر كلود جيب في لندن فقال : ان ما يزيد على الف شركة بريطانية قررت التعاون في قضية بناء مصنع ذري عظيم في برادويل من اعمال اسكس لتوليد الطاقة الذرية . وسيتم انجاز هذا المشروع حول عام ١٩٦٠ وتبلغ نفقات انشائه ما يزيد على ٤٠ مليون استرلينية . وسيكون بامكانه انتاج ٣٠٠ ميغاواط اي ثلاثة ملايين واط من الطاقة الكهربائية وهذا ما يعادل ثلاث مرات انتاج محطة كالدرهول الحالية . وستتضافر جهود الشركات الصناعية الكبرى في هذا الميدان للافادة من خبرتها المشتركة فيما يتعلق بصناعة العلوم الذرية .

● وضع مهندسان يعملان في شركة بل لصنع الطائرات جهازا الكترونيا جديدا سمياه « اسمع نورا » يستطيع العميان بواسطة موجاته الصوتية ان يروا امامهم . والبطارية الالكترونية التي يستعملها الجهاز تشبه قلم الحبر يتصل بسلك ناعم بسماعة مركزة في فتحة الاذن . ويحمل القلم حجيرة ضوئية رهيفة الاحساس وذبذبا كهربائيا ينقلان الى الاذن صوتا سويا تشتد حدته ويزداد توتره باشتداد النور الذي يتأثر به .

وهذا التغيير في شدة الصوت يمكن حامل الجهاز من التعرف الى الانوار وفقا لقوتها بحيث يستطيع ان يميز بين الاشياء . ففي تجربت اجريت على احد العميان بالجهاز المذكور استطاع ان يميز بين الملح والبهار وذلك عن طريق الموجة الصوتية التي يبعثها النور في الوعاء الزجاجي .

وفي نية مخترعي الجهاز الجديد ، وهما الدكتور برونغ والدكتور بيلنجر ، ان يعرضاه للبيع في الاسواق بغير ربح بنية المساعدة على رواجه وتشجيع اكبر عدد ممكن من المكفوفين على الاستفادة منه . ومن المظنون ان لا يزيد ثمن الجهاز الواحد على ٢٠ دولارا .

● تنبأ ثلاثة من المهندسين الكيماويين الذين بامكان تركيب الافران الذرية في طبقات المنازل السفلى واستخدامها لتامين التدفئة اللازمة لها في فصل الشتاء . وهم يرون كذلك امكان استخدام هذه الافران الذرية لتكييف الهواء وتوليد الطاقة الكهربائية اللازمة لانارة المنزل وادارة الاجهزة الكهربائية فيه . ويؤكد الدكتور لوبس مدين ، رئيس القسم التكنولوجي الكيماوي الذري التابع لشركة الكو ان العمل جار لتحسين تكنولوجية هذه الافران بغية تخفيض نفقاتها الضخمة .

● صرح عالم نووي بانه تم التقاط ذرة تحتوي على طاقة تبلغ عشرة اضعاف ماتحتويه الذرة في قنبلة ذرية متفجرة . وقد تم الاكتشاف في تجربة بريطانية - اميركية مشتركة تعاونت فيها جامعة مينيزوتا مع جامعة بريستول البريطانية . وقال العالم وهو البروفسور ادوارد ني من جامعة مينيزوتا ان الذرة سجلت على كومة من الصفائح الفوتوغرافية بلغ ثمنها ١٨ الف دولار .

وقدر الدكتور ما في طاقة الذرة المذكورة بنحو الف مليون مليون فولت الكتروني . وكانت اكبر نسبة للطاقة شحنت بها اجهزة السرعة التي صنعها الانسان حتى الان قد بلغت ستة الاف مليون فولت الكتروني .

● منذ ثلاث سنوات ، اي في ٢٧ يوليو ١٩٥٤ ، بدأ المركز الذري السوفياتي ، الاول من نوعه في العالم الذي دشن عهدا جديدا في تاريخ التكنيك ، بانتاج التيار . وان تجهيزات المركز الذري «التي اوجدها العلماء والمهندسون والعمال السوفياتيون ، قد برهنت بسطوع على جدارتها ، خلال ثلاث سنوات من الاستثمار الصناعي . ان اي عنصر من الاورانيوم الذي يولد الحرارة لم يتوقف عن العمل ، كما لم توجد حالة واحدة هددت فيها السلامة البيولوجية . وان العاملين في المركز ، الذين ما يزالون في بداية الطريق ، لم يكتفوا بهضم التجهيزات المعقدة على خير ما يرام ، بل توصلوا ايضا الى تمديد مدة استعمال اصابع الاورانيوم والى استخدامها استخداما اكمل.

ان التجربة التي اكتسبت لدى وضع تصميم اول مركز ذري في العالم ، ولدى بنائه واستثماره تطبق على مدى واسع في المراكز الجديدة التي يجري بناؤها في الاتحاد

السوفياتي .

● أعلنت البحرية الاميركية انهاستستخدم « عقلا الكترونيا » مصنوعا بشكل خاص لنقل المعلومات الى الارض من الصواريخ التي يجري اختبارها الان لتكون اداة لحمل الكواكب الاصطناعية في السنة الطبيعية الجغرافية الدولية . ويستطيع « العقل الالكتروني » الذي يعمل على اساس مبادىء العداد السريع ، تزويد العلماء بتفاصيل نهائية عن صواريخ التجارب خلال ٧٢ ساعة من اطلاقها .

● وقع جميع العلماء المشتركين في المؤتمر الدولي الثالث في طوكيو لمحاربة استعمال القنابل الذرية والهيدروجينية بيانا كان قد اعده العلماء في بوغواش بكندا في مطلع شهر يوليو وجاء فيه ان الحرب بالاسلحة الذرية ستؤدي الى الدمار التام

● يقترح الدكتور ستيوارت تشرشل احد اساتذة جامعة ميشيفان استخدام الاشعاعات الذرية لتعجيل عملية احتراق الوقود في محركات الطائرات ، بعد ان لاحظ ان اشعة « بيتا » التي يبثها الذهب المشع احد النظائر الذرية المشعة ، تزيد سرعة احتراق الوقود المستعمل في الطائرات بنسبة ٥٠ في المائة . وهذا الاكتشاف من شانه ان يساعد على صنع محركات ادق حجما واصغر من المحركات المستعملة في الطيران اليوم لها بفضل الاشعاعات الذرية فعالية اكبر من فعالية المحركات الضخمة وبالتالي يزيد من طاقتها على الارتفاع . ويقول تشرشل ان الاشعاعات المنطلقة من نظائر الذهب تحدث في الوقود تأثيرا كيماويا يجعلها اسهل على الاحتراق بسرعة .

● يصنعون في الولايات المتحدة اليوم اسلاكا زجاجية تستطيع ان تتحمل درجة حرارة تبلغ ٥٠٠٠ فهرنهايت او ٢٧٦٠ درجة مئوية واكثر من ذلك ، بحيث يمكن استعمالها في الطائرات النافورية . وليس من يجهل الحاجة الشديدة الى مثل هذه المواد لمقاومة الحاجز الحراري الذي يعترض انطلاق الطائرات الصاروخية السريعة في الفضاء . وهذه الاسلاك تتكون من اخلاط معينة من الاوكسيدات والمعادن الاخرى المعروفة بطاقتها الكبيرة لتحمل الحرارة العالية .

● أعلنت لجنة شركة النفط في ليبيا عن ظهور النفط والغاز الطبيعي في ليبيا بعد ان حفرت شركة اسو ستاندرد هنالك بئرا وصل عمقها الى ١١١٧ قدما وظهر فيها النفط والغاز الطبيعي . وستواصل الشركة عمليات التنقيب بصورة اكثر عمقا املا بايجاد كميات اكبر واغزر من هذه المادة .

● استطاعت شركة سترمبورغ كارلسن احد فروع شركة جنرال دينامكس من استنباط جهاز ارسال جديد تستطيع معه الطائرات تزويد محطات الرصد القائمة على الارض باصدق المعلومات وادقها حول الظروف التي تحيط بالطائرة من طقس وحرارة ومكان وزمان . ولا يطلب من ربان الطائرة سوى برم زر ليجري نقل هذه المعلومات بصورة اوتوماتيكية ، فيدلي باسم الطائرة ورقمها والمكان المسافر منه والمكان المتجه اليه والوقت اللازم لبلوغه ومكانها في الجو وارتفاعها فيه وسرعتها وغير ذلك من المعلومات الضرورية .

● أعلنت شركة « بندكس » للطيران انها ستقوم قريبا بصنع جهاز للاملاحة البعيدة المدى يهدف الى تزويد الطائرات التي تعبر المحيطات بمسالك جوية الكترونية . وهذا الجهاز يرسم تلقائيا وبدقة الطريق الذي يجب ان تسلكه الطائرة او السفينة ، ويدل الطيار او القبطان عن مكان طائرته او سفينته بالضبط وعن المكان الذي كانت فيه ، وما اذا كانت سائرة في الاتجاه المطلوب .

● سيقام مصنع جديد لتكرير المياه المالحة والاسنة في طبرق لتموين المكان بمياه الشرب العذبة . وقد تقرر انشاؤه بسبب قلة نفقاته لان جميع الوسائل التي استخدمت حتى الان هنالك كانت باهظة الاكلاف وبينها التبخير والتقطير . وسيجري شحن جميع اجزاء المعمل المذكور من بريطانيا الى ليبيا قريبا .

● أعلنت الحكومة السوفياتية ان علماء الارض قد اكتشفوا تخزينات هائلة وجديدة من الحديد الخام في جمهورية كازاخستان .

● ذكر باحثو وزارة الزراعة الاميركية انهم وجدوا طريقة جديدة لصنع الصوف الذي لا ينكمش . وقد تمت تجربة الصوف الجديد في صنع الجوارب والبلوفرات ، فلم تزد نسبة التقلص فيها عن ٥ في المئة ، واقل من ذلك في المنتجات الصوفية الرخوة . وقد توصل الباحثون الى هذه النتيجة بتغشية الغزل بالراتنج (صمغ الصنوبر) ، بحيث لا يضاف الى ثمن المواد المصنوعة منه سوى قدر زهيد .

● صرح الدكتور روبرت باسيس احد اساتذة كلية الطب في جامعة نيويورك بان احد املاح معدن اليورانيوم قد يؤدي الى قتل السرطان وذلك بجعل ذرات هذا الملح تنفجر داخل خلايا السرطان بواسطة توجيه تيار خفيف من الذرات عليها . وتسمى هذه المادة اورانيل بروتوبورفيرين وهي مصنوعة من اليورانيوم ومادة كيماوية حيوية هي البروتوبورفيرين وهي اساس الهيموغلوبين وهو المادة التي تحمل الاكسوجين في الدم .

● اكتشف الدكتور ليونارد ريفل رئيس الابحاث الطبيعية في مؤسسة ارمر للتجارب الة تصوير باشعة اكس اصغر من عود الكبريت . وقد اختبرت هذه الالة التي ما زالت في المرحلة التجريبية ، في التطبيقات الصناعية . وهي تعتمد على النظائر المشعة لتوليد قوتها الكهربائية . ويمكن حمل الجهاز الصغير المولد للاشعاعات الكهربائية في حقيبة الطبيب لاخذ صور للاجزاء المعطوبة ، عن كثب .

● تشرع مجموعات من رجال السلاح الجوي الاميركي في الشهر الحالي بالطيران مددا تصل الى ١٢٠ ساعة متواصلة في ظروف تشبه ظروف السفر الى القمر والاجرام السماوية الاخرى ، وذلك في طائرات نموذجية تشبه الطائرات التي ستستعمل في غزو الفضاء . وسيراقب الطيارين جماعة من المهندسين والاطباء وسواهم من الاخصائيين لدراسة رد الفعل الذي يحدثه الطيران بعيد المدى في الاماكن المضغوطة .

● أعلنت وزارة الطيران الاميركي انها ستقوم خلال التسعين يوما القادمة بتجربة جريئة غايتها اطلاق صاروخ يصعد الى علو عدة الاف من الاميال في الفضاء ، ولكن بدلا من ان يندفع الصاروخ بقوته ، يحمله بالون منفوخ بالغاز الى علو ٣٣ الف متر ، ومن هنا يبدأ الصاروخ بالانطلاق بقوته في اربع دفعات نحو الاعالي . وغاية التجربة دراسة احوال الجو العليا .

● دشن العالم السر ادوارد ابلتون بدء العمل لراديو تليسكوب جديد لدراسة الافلاك وسيكون عمله مكملا للراديو تليسكوب الجبار الموضوع في مرصد جامعة مانشستر وقد تعاونت في الاضطلاع بنفقات بنائه وصنعه شركة مولارد البريطانية التي قدمت منحة مالية لهذا الغرض قدرها مئة الف استرلينية واضطلعت بالقسم الباقي من النفقات جامعة كمبردج والدائرة العلمية والصناعية التي تختص بالتصاميم الهندسية والفنية . وذكر العالم ابلتون في الحفلة التدشينية التي اقامتها الجامعة لهذه المناسبة فقال : اننا لفخورون بان نعالج المشاكل التي تمت الى النواحي العلمية الدقيقة في معرفة الافلاك واحوالها وفي جملتها تكوين المجرة وتاريخ الكون . وسيقوم بدراسة الاشارات التي تصل الى الارض من الابعاد الجوية العظيمة والمسجلة على

الراديو تليسكوب الجديد واجهزته فريق مؤلف من ١٥ عالما بشؤون الابحاث الفلكية .

● يسعى علماء وزارة الزراعة الاميركية ممن يجرون التجارب على مادة تزيد من نمو النبات ، الى الانتفاع بتطبيق بحوثهم هذه تطبيقا عمليا في نطاق زراعي عالي . وهذه المادة التي حققت زيادة ملحوظة في نمو النبات هي حامض « الجبرليك » . وقد حقق الحامض هذه النتيجة في عدة انواع من النباتات التي جرى استخدامه فيها في نطاق التجارب الكثيرة التي اجراها العلماء في مختبر البحوث الزراعية (التابع لوزارة الزراعة الاميركية) في مدينة بلتسفيل بولاية ماري لاند . ويتابع العلماء بذل جهودهم من اجل الانتفاع عمليا بقوة حامض « الجبرليك » الجبارة في كثير من الشؤون الزراعية الاخرى .

ويستدل من الدراسات الاولى التي افضت اليها تجارب مختبر بلتسفيل على ان حامض الجبرليك ذو مزايا عظيمة لزيادة درجات النمو كما يحتمل كذلك ان يزيد من انتاج عدة محاصيل منوعة والغريب ، ان التجارب التي جرت اول الامر بدافع تنشيط زيادة نمو النبات بواسطة الحامض انما كانت في الاصل نتيجة للبحوث الخاصة بتخفيف حدة اثاره على محصول الارز في اليابان .

وقد استخدم العلماء احدى تركيبات هذه المادة الكيماوية لمضاعفة او زيادة نمو النباتات الى ثلاثة امثالها . واجريت التجارب في غرف الاستنبات الخاصة باستخدام عجينة من الحامض (مخلوطة باللانولين) ودهن سيقان النباتات بها من الخارج . وقد لوحظ في فترة تتراوح بين ثلاثة واربعة اسابيع ان النباتات مثل : زهور الجرانيوم وعباد الشمس ، والداليا والورد ، والبوتانيا (من الفصيلة التبغية) والاسترا (العشب الزهر كالنجوم) وغيرها من النباتات التي دهنت بعجينة الحامض ، قد زاد طول سيقانها الى ثلاثة امثال مثيلاتها من النباتات المجاورة لها في نفس غرف الاستنبات والتي لم تعالج او تدهن بعجينة الحامض . وبالمثل تضاعف نمو نباتات اخرى كفول الصويا ، والفلفل ، والذرة ، والشعير بمعالجتها بنفس الطريقة التي اتبعت في الزهور السالف ذكرها .

● انجز حديثا بناء خمس مطارات خاصة بالهيليكوبتر في كاراكاس عاصمة فنزولا ضمن نطاق برنامج حلول معضلة السير بشكل توجد هذه المطارات فيه الاماكن المكتظة بالسكان . وسيكون هذا المشروع اشبه بمشاريع التاكسي الطائر المعروف في بعض مدن اميركا الشمالية

● اخترعت شركة بريطانية برادا صغيرا من البلاستيك حجمه ٢٥ سنتيمترا مكعبا يستعمل لحفظ الاطعمة في اثناء النزهة او الرحلات القصيرة . والبراد عبارة عن كيس من البلاستيك ذي جدارين بينهما مادة عازلة وفي داخله حقيبتان صغيرتان يوضع فيهما الثلج الذي يحفظ محتويات الكيس مدة عدة ساعات تحت درجة منخفضة .

● ذكرت لجنة الرئيس ايزنهاور الاستشارية حول التحكم بالاحوال الجوية ان تجارب توليد الغيوم الاصطناعية في غربي الولايات المتحدة اوجدت زيادة ملموسة في كميات المطر التي هطلت في المنطقة . وقد تناولت التجارب توليد الغيوم فوق المناطق الجبلية الممتدة بمحاذاة ساحل المحيط الباسيفيكي . على ان تقرير اللجنة ذكر بان عملية توليد الغيوم الاصطناعية في مناطق الشرق الاوسط المنبسطة نسبيا وفي الولايات الشرقية لم تؤد الى زيادة المطر في هذه المناطق .

● عمت العالم موجة لاهبة من الحر لم تعرف لها الارض نظيرا . ولم تقتصر هذه الموجة على المناطق الحارة بطبيعتها وانما تعدتها الى القطب الشمالي .

فقد جاء من هيلسينكي ان الثلوج في القطب الشمالي تذوب بسرعة غريبة رغم انها المرة الاولى التي يذوب فيها الثلج في القطب الشمالي . وكان العلماء قد حذروا منذ مدة بان التجارب الهيدروجينية قد تؤدي الى ذوبان القطب الشمالي فيؤدي ذلك الى رفع مستوى البحار في العالم عشرة امتار .

● اعلن متحف العلوم الطبيعية في شيكاغو نبأ يفيد بان ولاية انديانا الواقعة في اواسط الولايات المتحدة كانت مغمورة بمياه المحيط منذ ٢٥٠ مليون سنة وقد جاء هذا التحليل بعد اكتشاف جثة كلب متحجرة في تلك الولاية يعود تاريخها الى ذلك الوقت اي عصر الفحم . ويبلغ طول بقايا الحيوان المذكور حوالي ثلاثة امتار اما الحيوان الكامل فقد يكون طوله الحقيقي خمسة امتار .

● تبين ان السبب المباشر للزلزال العنيف الذي هز مكسيكو وكل منطقة المكسيك الجنوبية في اواخر يوليو الماضي هو ظهور بركان جديد اخذ الان في الخروج من الارض في ولاية غيريرو حيث فتحت هوة عميقة طولها ٥٠ مترا وعرضها ٥ امتار ولا تزال تتصاعد منها سحب كثيفة من الدخان مرفقة بهدير اصم .

● صرح اندريه دانجون مدير مرصد باريس بان اهالي بريطانيا وفرنسا سيشاهدون عما قريب بالعين المجردة مذنبا جديدا له ذيل ابيض طويل واسمه « ماكوس » نسبة الى الفلكي التشيكي الذي اكتشفه في اوائل شهر اغسطس .

وقد شوهد المذنب بالتلسكوب من الدانمرك كما شاهده ملاحو طائرة فرنسية كانت تحلق في سماء النمسا . وقال دانجون انه تلقى تفاصيل عن هذا المذنب من كوبنهاغن تفيد بانه قريب من الشمس . وقال انه لم ير هذا المذنب بنفسه بسبب رداءة الطقس في باريس وقد شاهد الفلكيون المذنب المذكور في مرصد هامبورغ وقال هؤلاء الفلكيون انه بدا اكثر لمعانا من الكواكب المعروفة وان له ذيلا يبدو للعين المجردة اطول حوالي ثلاث مرات من قطر البدر .

● ادت التحريات التي قامت بها البعثة العراقية الاثرية في الكوفه جنوبي بغداد الى اكتشاف دار الامارة التي قام القائد الاسلامي سعد ابي وقاص بانشائها ، بعد فتح العراق سنة ١٧ هجرية وصرح الدكتور ناجي الاصيل مدير الاثار القديمة بانه ثبت الان ان قصر الامارة يمثل اقدم بناء تم انشاؤه في العهد الاسلامي واتخذ دارا للحكومة .

● اعلنت مديرية الاثار العراقية العامة ان عمالا كانوا يعبدون طريقا في شمالي العراق كشفوا معبدا عمره ٢٧٠٠ سنة كان لاله اشوري . وقالت المديرية : ان المعبد هو واحد من اجمل ما اكتشف في العراق . وانه عثر على ١٤ تمثالا في البناء القريب من مدينة الموصل . وقد بناه الملك الاشوري سيرغوان تكريما لالاله سيبتي .

طريقة المنولوج الداخلي في الاقصوصة تعتمد على بناء نفسيءصرف، تبرز منه الشخصية بخطوطها وملامحها واضحة كل الوضوح . فالتخطيط المادي (الخارجي) المعبر عن النموذج البشري للمشكلة يتآزر بعضوية فريدة مع التخطيط النفسي الذي يصور من « داخل » المعاناة الحقيقية للمشكلة . التخطيط الاخير يعرض ضمن لحظات تتحول اللمسات فيه الى مجموعة من المفاتيح لغرف نفسية .

التخطيط المادي (الخارجي) في « الموقف » منفصل عن التخطيط النفسي (الداخلي) لذا تتفكك القصة وتتحول الى هباء . تبدأ القصة والبطل يمشي مع صديقه ، الى منطقة بعيدة . ويقف الصديق منتظرا سيارة ، اما البطل فيقف هو الاخر ليعرض علينا افكاره :

« صديقي هنا .. واقفا قربي بعيدا بنفسه عني . انه اناني وغريب عني . في هذه اللحظات ليس هناك اي ماض يربط بيننا ولا اي شعور متبادل متقارب » .

« بقيت وحيدا . وهكذا دائما . اني نادم هذه المرة . اشعر انني اعطيته من نفسي كثيرا . ان المرارة تملأ نفسي وتسمم طيبتي . »

هذه اللمسات ترسم بعدا نفسيا خاصا للبطل اما كيف تتوالى اللمسات الاخرى ــ لتتخذ من عملية التطوير الموقفية في النهاية الجاهزة التصميم فهذا بيانها : بعد ان يستعرض البطل صورا من المشاهد الخارجية (الحديقة . القصر . الطفلة . سيارة المصلحة . والتي لا تلقي على الشخصية الا اضواء قليلة) يفترق عن صديقه ويشعر بالوحدة القاتلة :

« واستيقظ شعوري بالوحدة » .

« ولا ادري لماذا وصلت بي ذكرياتي الى تلك الايام التي كانت تسيطر فيها علي قوة مؤلمة ساحقة فظيعة تدفعني الى الانتحار . العالم صعب وغير انساني واحيانا غير طيب . وانا ماذا افعل في هذه الدنيا وحيدا . رغم ان لي اصدقاء كثيرين . حتى هنا في هذا الموقف انا وحيد . »

اذن لقد وضحت شخصية البطل . فهو وحيد متمزق يرى العالم قاسيا وغير انساني . فكيف يبرر لنا الكاتب نهايته : « وزالت وحشتي » هكذا ، وبمنتهى البساطة . لماذا ؟ وكيف ؟ ومتى ؟

الانه رأى شابا مع خطيبته ؟ !

هذا الذي كنا نتقصد الما من اجله يخرج من ازمته العاصفة لانه رأى شابا مع خطيبته فيصعد الى سيارة المصلحة ، ويغوص في المقعد بارتياح :

« لقد غمرني سرور عظيم . لقد انتابني احساس جديد بالحياة . عنيف ومؤثر . ان في هذا العالم طيبة انسانية وانتظام وانا لست وحيدا كما اعتقد . لا لست وحيدا . »

هكذا انتهت ازمة البطل النفسية . وانا كقارىء ، لم اتجاوب اطلاقا مع شخصية البطل . فالقارىء لا يعرف كيف عصفت بالبطل ازمته النفسية الحادة ، ولا كيف خرج منها بقفزة واحدة . مشكلة البطل ليس لها ما يبررها ، كما ان خروجه منها ليس له ايضا ما يبرره .

هل اقول ان قصة « الموقف » ليس فيها غير الافتعال . لا لن اقوله على الرغم من ايماني به . كل ما اود قوله ان الكاتب لم يلتزم الصدق الفني قط لكن ، في القصة ايضا سرد لا باس به ، والتماعات وصور جميلة حقا تبدو من بين اعتام .

لي كلمة اخيرة ، انني لا اقصد ابدا الاساءة الى كاتب القصة منير امير ــ وانا ناشىء مثله ــ لكنني افهم النقد على انه عملية تحليلية معقدة وليست تطبيلا يصم الاذان . او تملقا رخيصا او تهديما او تحطيما .. حتى النهاية . وليتقبل الاستاذ منير امير تحيتي مقرونة بالاخلاص .

سهير تشير

البريد السريع

● الى « الناشىء الصغير » كفر جوايا ، سوريا

لا تتسرع بالكتابة انصرف الان الى التحصيل والدرس . الكتابة تحتاج الى المعرفة ، والمعرفة لا تكون بالسليقة . كذلك الشعر لم يعد رصف كلام كما كان ، انه يحتاج الى المعرفة ، الى العلم ...

● من السيد اديب الخطيب ــ الجامعة السورية دمشق

انني طالب في السنة النهائية من قسم اللغة الانكليزية بكلية الاداب بالجامعة السورية وقد اخترت موضوعا لرسالتي : ترجمة قصص قصيرة لمحمود تيمور ، وانني بحاجة لمراسلته لمعرفة تاريخ حياته بشكل عام وحياته الادبية بشكل خاص فارجو افادتي عن عنوانه .

ــ عنوان الاستاذ محمود تيمور : مصر ــ القاهرة ــ الزمالك ــ ١٩ شارع الجبلاية ــ عمارة ليبون .

● من السيد خيري الضامن ــ البصرة ، العراق

هل ترجمت قصة « القضية » لفرانز كفكا الى العربية وعن اية لغة ترجمت ومتى كان ذلك ؟ اما انا فقد رأيت ان اترجمها عن الانكليزية .

ــ نحيل هذا السؤال الى الباحث المحقق الاستاذ يوسف اسعد داغر للاجابة عليه .

● من السيد عبد الكريم محمود السعيدي ــ البصرة

كتب يرد على ما جاء في مقال السيد باسم عبد الحميد حمودي « اضواء على الادب الشعبي في العراق » عدد اغسطس من الاديب نكتفي بالاشارة اليه لان السيد عبد الكريم تناول الكاتب اكثر مما تناول الموضوع ...

● الى السيد عيسى موسى ــ طرطوس ، سورية

نستغرب ما جاء في رسالتكم . لم نجد اسمكم الكريم بين اسماء المشتركين . فهل لكم ان تذكروا لنا عنوانكم القديم ورقم الايصال بقيمة الاشتراك مع تاريخه . وهل دفعتم اشتراككم الى ادارة الاديب وكيف

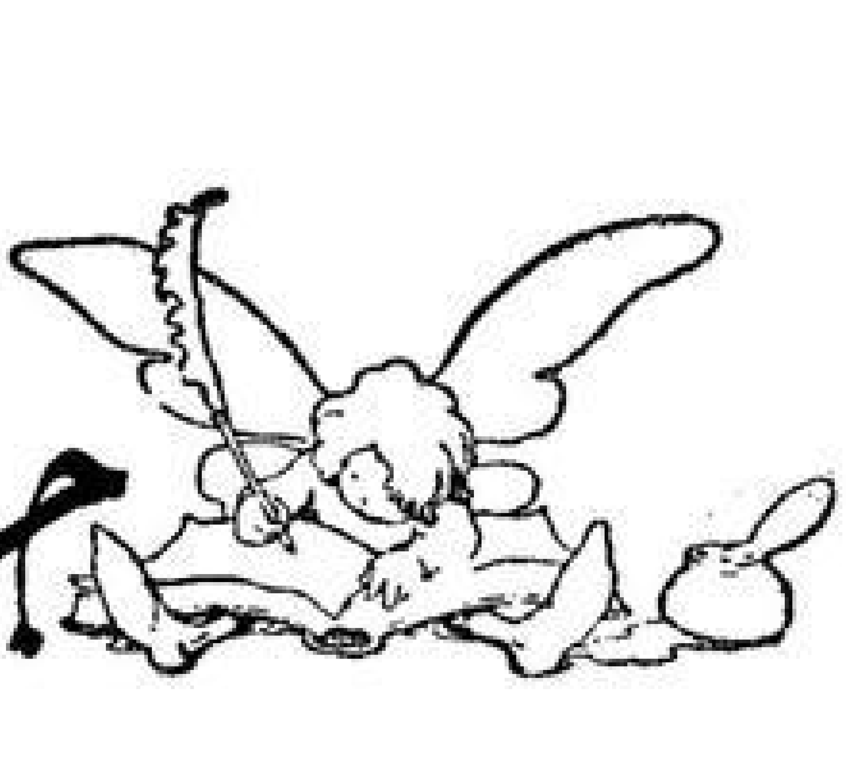
● من السيد محمد عصفور ــ بغداد

كتب بعض الملاحظات حول قصة « طفل بلا ام » لفاضل السباعي ، عدد يونيو من الاديب . نكتفي بالاشارة الى وصول رسالته . كما نعتذر عن نشر قصيدته لضعفها .

● الى الاستاذ غازي عبد الحميد الكنين ــ بغداد

نرحب بنشر كل ما يصلح للنشر في الاديب . نفضل المقالة المستقلة على « السلسلة » . كل شيء يمكن اختصاره ... اما مجموعة « لمن ؟ » لالبير اديب منشىء الاديب فقد طبعتها دار المعارف بمصر لحسابها . وهي تطلب منها او من مؤسسة المطبوعات الحديثة في بيروت صندوق بريد ٢٦٧٦ ومن وكلائها : في العراق : مكتبة المثنى شارع المتنبي ببغداد ــ وفي سوريا : مكتبة اطلس ــ جادة الصالحية بدمشق ــ وفي القاهرة : مؤسسة المطبوعات الحديثة شارع مسبيرو رقم ٣ .

ذكرنا هذه العناوين في مختلف المناطق لكثرة ما يردنا من طلبات او اسئلة عن هذه المجموعة واين تباع . ونغتنم هذه المناسبة لنرجو مؤسسة المطبوعات الحديثة بتوزيع المجموعة على وكلائها في الاقطار العربية فجميع الرسائل التي وردتنا تؤكد اختفاء « لمن ؟ » من المكتبات .



جولة الأديب في شهر

لمحات من الشعر العربي الحديث

●

تطور الشعر الحديث من مظاهر الحياة المتجددة الصاعدة في الامم الحية ..

ولقد هزت الامة العربية في السنوات العشرين الاخيرة انتفاضات مباركة املتها ظروف داخلية وخارجية عالية .. وعرفت العقلية العربية مفاهيم جديدة للحياة فجعلت تطهر رواسب القديم المتعفنة وتنثر في مواضعها بذور المستقبل الخصيب . ومن هذه الظروف المثيرة عبات المخيلة العربية شحنات جديدة للتوثب والانطلاق .. ان كل عربي اليوم يتاثر بهذه الظروف ويعيشها ويتمرس بها .. انها في ذرات الهواء .. في الخبز والماء . في نبضات القلب والفكر .. في هذا النسيج الانساني الكبير الذي يسمى قيما او فلسفة مثل ابدية . واحد مظاهر هذا التطور المرموق هو هذا الشعر العربي الحديث الذي ينحدر مع نهر بردا .. ويتالق على جبال لبنان .. ويزرع على ضفاف دجلة .. وينتصب على قمة الاهرام .. وهو لا يقل تدفقا وتالقا منه في الاردن والسودان والكويت والحجاز وبقية الاقطار التي تنفسح دروبها تحت فيض من شمس طالعة اسمها العربية الجديدة . اذا فعندنا شعر جديد ينمو ويتفرغ ويقوى ويخضر .. ويثير واعية الطلائع من هذا الجيل

هذا الشعر العربي الجديد ما مميزات الجدة فيه بالنسبة الى الشعر العربي المأثور؟

اولا

انه في صياغته ليس كلاسيا .. ليس فيه شنشنة الجرس واواصر القافية الواحدة .. ولكنه شعر مولد الاوزان .. طليق القوافي متنوعها .. محتدم الايقاع في استرسال دفوق .. وهذه الميزة في الصياغة يشف منها بنصوع تحرر المعاني من اسلوبها المتوارث المعاد .. وانسكابها في اشكال جديدة من الصياغة لا في قنوات ضيقة مقفلة . وكان لامتداد المعاني في صياغتها المتحررة انها نبذت كثيرا من الزخارف الشكلية التي تشيد بها كتب البلاغة والبديع مما يسمى جناسا وتورية ومطابقة الخ .. وابتكر الشعراء اشعارات جديدة ورموزا موحية في الاداء .

ثانيا :

اضمحلت التقريرية في الشعر ، التقريرية التي كانت ملزمة بوحدة البيت – القناة الضيقة المقفلة . والتقريرية بطبيعتها في الشعر المدرسي او الشعر المأثور تقطر التجربة وتركزها وتعبر عنها تعبيرا مقتضبا مستقلا يسمى احيانا حكمة او مثلا او فكرة او تقريرا عاديا. وبقضاء الشعر الحديث على اواصر القافية الواحدة تفككت وحدة البيت وامحت التقريرية فيه .. واصبحت القصيدة وحدة متماسكة مستقلة .. مندمجة عناصرها الفنية بصورها وايحاءاتها وجرسها ومضمونها وصياغتها من مؤتلف له طابعه المستقل المتميز .

ثالثا :

بزوال التقريرية وتفكك وحدة البيت تلاشى استخدام الالفاظ بالاسلوب الخطابي ولم يعد للالفاظ قوالبها المالوفة .. وخرجت القصيدة عن اطارها التقليدي المأثور .. فالشاعر الحديث لم يعد يلتفت الى مناهج الاقدمين ويقتفي اثارهم واساليبهم .. ويطبع من انتاجهم نسخا مشابهة .. نسخا لمجنون ليلى او المتنبي او شوقي .. لم يعد هناك انتساخ وتصدير لقصائد تعوزها التجارب التي فيها استجابة حقيقية وسيطرة ذهنية .

رابعا :

وينهج الشعر الحديث البساطة في التعبير واستخدام اللفظ العادي وبذلك يتخلص من العبارات المركبة الجاهزة وينساب في حرية فنية متجددة .. وان كانت هذه الحرية احيانا تهبط بالشعر الى مستوى النثرية فتتجمد معانيه .. او تبهت الوانه .. او تهتز طبعة الصور فيه .

خامسا :

من الصفات البارزة لشعر اليوم انه ينأى عن الغنائية .. او (الرومانتيكية) التي كانت تضم تحت جناحيها فردية انعزالية كئيبة .. تعيش بالاحلام والخيالات فيها وراء الافق .. وتبني عوالم خيالية من العطور .. والدموع والضباب .. وليس في شعر اليوم تلك العواطف المتفجرة بالحزن والبكاء والاستسلام وكآبة العبيد السوداء التي تجتر عتماتها من طبقات الظلام الهائل الذي اسمه تشاؤم وكفر وبأس وقناعة بالاكراه . وحمل الشعر الحديث طلائع الامل المتفتح .. وبشائر الحرية والعدالة وعواطف الحب الانساني الكبير . لذلك فهو ثائر على الاوضاع الفاسدة والمذاهب الهدامة والقيم المزيفة .. والخيالية الهاربة .. ثائر على كل ما يجمد تقدم الانسانية او يصفد انطلاقها وحريتها ورسالتها السامية .. وهو في ثورته هذه يلتحم بالواقع ويفرز اظافره في الطين الذي نبت فيه. ولكن بعض المتطفلين على الشعر يسيؤون الى هذه الحقيقة او يستغلونها استغلالا خطيرا . بعضهم يحسبون ان كل كلام مشحون بالفاظ الحرية .. والاستقلال .. والكرامة .. والعزة الوطنية هو شعر ينتزع التصفيق من اكف الدهماء .. وهؤلاء المساكين لم يتمرسوا الشعر القديم ويتعمقوا في هذا التراث الادبي الشامخ قبل ان يرسوا كلمات مجراة مهلهلة من امثال : « المتعبون .. اللاهثون .. الكادحون .. السائرون .. في الطريق .. يا رفاقي »

صدق او لا تصدق ان ما تقدم شعر ..

وبعضهم يبثون دعايات سياسية او مذهبية تحت ستار منمق من الالفاظ امثال القوة .. والعبودية المنكرة .. والاستغلال الخبيث .. والطبقات الكادحة الخ.. وهم يخدمون بذلك غرضا خاصا قد يكون من ورائه منفعة شخصية

سادسا :

قلت ان الشعر الحديث يركز صفته على المضامين ... المضامين التي تحمل روح القوة والامل الاكيد .. وهي مضامين يتنسمها هذا الجيل في امتداده العريض بظروفه وواقعيته وآماله .. ولكن المضمون في الشعر ليس كل الشعر .. ان الشعر كفن يحتاج الى جمالية الشكل التي هي من ابداع الشاعر ، من عاطفته.. وذاته.. وهي التي تعبر بها التجربة (أي المضمون) تعبيرا فنيا متفتحا . انا لا اعني بالجمالية الشكلية الزخرف السطحي او التنميق الكمالي .. ولكنني اعني بها ان تكون شحنة الحياة النابضة من مضمون القصيدة ولا يمكن ان يفصل شكل القصيدة عن مضمونها .

سابعا :

ان المضامين الجديدة في الشعر الحديث ليست تجارب انعزالية يتمرسها الشاعر في صومعة .. ليست رومانسية هاربة او انحلالية عاطفية .. ولكنها تجارب ذات امتداد انساني واجتماعي . انساني يتناول العواطف البشرية ويؤثر فيها ، وواقعي يتناول المعركة التي تخوضها الانسانية لاجل ان تنتصر لنفسها بتدعيم قيم كبرى وحرية مشرقة وعدالة اجتماعية

هذا الشعر الحديث يتناوله اليوم شعراء مجيدون استطاعوا ان يصلوا به الى قمم فنية تكاد تكون عالية .. ولا يزال هذا الشعر الحديث يندفع في تياره الجارف وهو يحمل معه حرية الفن وواقع العصر الذي يعيش فيه.

ولكن كما يقول الاستاذ محمود العالم : « كثيرا من ادبائنا الجدد ما يزالون في بداية الطريق لاستكمال القيم الشكلية واكاد ان اجزم ان عدم استكمالهم للقيم الفنية سيقلل من قيمة اتجاهم نفسها .. ولكنهم في الحقيقة في مرحلة انضاج صياغة جديدة خلال تمرسهم بمضامينهم الجديدة والصياغة الجديدة عملية شائكة في حاجة الى خبرة طويلة » .

[فتاة الجزيرة بعدن] **لطفي جعفر امان**

وفاة ملبارته الاديب الايطالي

●

اديب ايطاليا العظيم كورنسيو ملبارته مات عن ٥٩ عاما . اسمه الاصلي كورنسيو سوكرت ولكنه اطلق على نفسه مالبارته ، تلاعبا باسم نابليون « بونابرته » ـ هكذا ينطق بالايطالية كان فاشيا بل اول من دعم الفاشية . ولكنه لم يكن يؤمن باستعبادها للناس ، فخرج عليها ونفي في جزيرة ليباري خمس سنوات وهو من الم الادباء الذين تزعموا حركة « فوق الوطن » قبل ان يموت طلب الى البابا ان يغفر له الخطايا التي ارتكبها في كتابه « الجلد » . وتحول من البروتستانتية الى الكاثوليكية على فراش الموت . وله كتاب كبير اسمه « كابوت ـ او المتهدم » توفي بسرطان الرئة ، ولم يكن زوجا ولا ابا لاحد .

* * *

وهو على فراش الموت طلب من البابا ان يسامحه ، على ما قدم قلمه من اتهام للكنيسة ، وسخرية بالبابا ، وفهم غريب للمسيح ورسالته . وسامحه البابا . فرحل امنا مطمئنا الى العالم الاخر ، ولكن النبش بدا بعد رحلته بساعات . وظهرت اوراق هامة وقصص لم تتم ومقالات لم يجف مدادها .. وتلقفتها المجلات ونشرت بعضها ، وكلها تدل على ان الاديب رغم التمزق الفظيع الذي اصاب حياته ورئتيه ، كان ما يزال ملتهب الخاطر ، حي العبارة ولديه امل في ان يبلغ الثمانين من عمره ـ هكذا يقول :

ومن رأيه في «الهيئات الادبية او السياسية» ان السياسة تجري الان في دماء الناس جميعا وان ارسطو عندما اعلن منذ الفي عام ان الانسان حيوان سياسي ، انما قال بعض الحقيقة . والحقيقة كلها ان الانسان سياسي بلا انسانية ولا حيوانية . والا فما معنى الحروب والمعارك السياسية والانتخابية والدماء وفضائح الذمم والاخلاق ؟ وانا اذكر مقالا كتبه «ارثركيستلد» .. اعجبني المقال ، وفيه يقول ان هناك «شهوة سياسية » تماما كالشهوة الجنسية . وان الناس يتهافتون على اشباعها ويعانون من الكبت والحرمان . وان هناك علاقات شاذة بين ابناء الجنس الواحد وهناك احلام لها مدلولات سياسية .. ومثل هذا ، او هذا نفسه تجده في الادب .

ويمضي الى ان يقول رأيه في النقد فيقول هناك مثل صيني ، قديم او حديث ، يقول : ان التاجر المتجول لص هارب ، واللص تاجر متجول هارب . فالتاجر لص على اي حال . وكذلك يقال ان الناقد اديب فاشل ، والاديب ناقد فاشل . فالاديب او الناقد فاشل على اي حال . فمن هو الناجح ومن الذي اشار واضاء وانتج . ولا يرضى الناقد الا ان يكون سياسيا له حزب يحميه ويصفق له . وليس بين النقاد اليوم من يفعل كما فعل الخطيب اليوناني الذي صفق له الناس فتوقف عن الكلام وسالهم ان كان قد ارتكب خطأ .. والحقيقة انه لم يتهم نفسه وانما اتهم جمهور المصفقين وقدرتهم على فهم ما يقول .. فالكبرياء راقصة اسبانية غجرية . ينعشها التصفيق .

ولم يهاجم كاتب ايطالي جزيرة كابري كما فعل ملبارته .. فمن المعروف ان كلمة «كابري» باللاتينية معناها الماعز . فالجزيرة اذن هي جزيرة الماعز . لانها جافة بلا عشب ولا ماء ، فلا يعيش فيها الا الماعز . او لان طرقاتها الصخرية ضيقة ولا تتسع الا لحوافر الماعز . ومن هنا كانت التسمية . ومن رأيه هو : ان الجزيرة لم تعد تتسع حتى لحوافر الماعز . وانما اصبحت قطعة من السكر الماسخ تضج بنمل مجنون . والجزيرة ليس فيها جمال ولا شيء غير عادي . وانما هي نيشان ضخم يعلقه العالم كله على صدر السياحة الايطالية التي ضحكت على عقول الناس في كل مكان . انني لم اطق البقاء بها يوما واحدا .

وكان احد النقاد قد وصف قصة «الجلد» بانها لا تساوي فردة حذاء . وقد استفاد ملبارته من هذا النقد وبدأ يراجع افكاره وآماله . وقبل ان يموت اوصى بحذاء مليء بالاوراق المالية لهذا الناقد . وقال : ابعث اليك بالحذاء والمال ، فانت تستحقه . ولم يشأ ان يذكر ايهما يستحق الناقد : الحذاء او الذهب .

وفي يناير تصدر مجموعة مقالاته التي لم تنشر وفي مجلد واحد من ٣٠٠ صفحةوبعنوان « حساب ختامي » .. فحتى ذلك اليوم ! !

[الاخبار] **انيس منصور**

الادبية التركية خالدة اديب

●

من مفاخر المراة التركية اليوم ومن ابرز الناهضات بالحركة النسائية في تركيا الكاتبة الشهيرة خالدة اديب استاذة اللغة الانكليزية في جامعة استانبول منذ عام ١٩٣٩ وقد اتيح لها بوصفها عضوا في المجلس الوطني التركي بين ١٩٥٠ـ١٩٥٤ ان تلعب دورا بارزا في الحياة السياسية في تركيا خلال هذه الحقبة .

ولدت خالدة اديب في استانبول عام ١٨٨٤ وفيها تلقت تعليمها الابتدائي فتلقنت العربية والتركية والرياضيات على ايدي اساتذة خصوصيين، ثم دخلت الكلية الامريكية في استانبول وتخرجت منها عام ١٩٠١ .

يرجع نشاطها الادبي هذا النشاط العارم الذي يرافقها حتى اليوم ، الى اوائل عام ١٩٠٨ اذ كانت تكتب اذ ذاك في الجرائد والمجلات التركية . وفي الحرب العالمية الاولى قدمت سوريا وانشات في حلب مدرسة للاناث تولت فيها التدريس .

وعهد اليها في عام ١٩١٨ـ١٩١٩ بدروس الاداب الغربية في جامعة استانبول . ولم تلبث ان انضمت مع زوجها الى الحركةالوطنية التي بعثها منقذ تركيا مصطفى كمال باشا الذي عرف فيما بعد اتاتورك . وقد ساهمت سواء بخطبها وكتاباتها المثيرةفيتحقيقالوحدةالوطنية في البلاد ، بعد ان تعرضت مرة مع مصطفى كمال باشا وستة من رفاقه للحكمعليها بالاعدام

غادرت تركيا عام ١٩٢٦ وجاءت لندن حيث اقامت ثلاث عشرة سنة باتصال ، ودعيت خلال عامي ١٩٢٨ ـ ١٩٢٩ الى الولايات المتحدة الاميركية تحاضر في كلياتها وجامعاتها عن الادب التركي وتاريخ تركيا ـ كما عينت عام ١٩٣١ استاذة زائرة للادب التركي في جامعة كولمبيا في نيويورك .

وقامت عام ١٩٣٥ برحلة الى الهند تلبية لدعوة تلقتها من الجامعة الاسلامية في دلهي حيث عينت استاذة زائرة . كما دعيت في الوقت ذاته لالقاء سلسلة من المحاضرات في جامعات كلكتا ، ومنارس واليفار ولاهور ، الى ان عادت الى تركيا عام ١٩٣٩ .

وخالدة اديب هي المؤسسة لنادي القلم التركي في استانبول وهي مؤلفة لها شهرتها الواسعة في عالم الادب كتبت في التاريخ والادب والقصة ولها ابحاث شتى ومجموعة من الاقاصيص . من الكتب التي نشرتها تاريخ الادب الانكليزي في ثلاثة مجلدات ظهرت بين ١٩٤٠ـ١٩٤٨ ، نقل الى بعض اللغات الاجنبية وضعت باللغة الانكليزية عددا من الكتب ،

منها « تركيا في وجه الغرب » ـ مذكرات خالدة اديب ـ النظام التركي الجديد ـ المنافسة بين الشرق والغرب ـ الاسلام ـ من صميم الهند ـ المهرج وابنته (قصة) .

يوسف أسعد داغر

اجتهـاد طالب جامعي أعمى

●

« **مطلوب** طلبة يقرأون لي الكتب بصوت عال ، لمدة ساعة او ساعتين في اليوم . الرجاء مراجعة وين ديرهام ، ٨١٨ لفنجستون هول » .

ظهر هذا الاعلان على لوحة الاعلانات بجامعة كولومبيا ، بمدينة نيويورك ، وصاحبه الطالب الكفيف وين ديرهام البالغ من العمر ٢١ عاما الذي فقد بصره وهو في سن الرابعة عشرة .

وعثر وين على ضالته ، وتابع دروسه في جامعة كولومبيا واصبح الان في السنة الثالثة وبز اقرانه في اجتهاده وتفوقه وفاز بمرتبة الشرف وهذا دليل واضح على ان عاهته لم تحل بينه وبين طموحه وها هو العميد المساعد تشارلز كول يبعث بخطاب يهنئه فيه على علاماته العالية التي اهلته لوضع اسمه على « سجل العميد» ، وهي القائمة التي تضم اسماء الطلبة المتفوقين في دروسهم .

ومما جاء في خطاب مساعد العميد : « ان النجاح الذي احرزته في دراساتك الجامعية لا بد وان يكون قد اشعرك بارتياح كبير في نفسك»

واليك كيف حقق « وين » هذا النجاح :

لقد استجاب اربعة طلبة للاعلان الذي علقه « وين » على لوحة الاعلانات بالجامعة، وراحوا يقرأون له الكتب المدرسية مدة ٢٢ ساعة في الاسبوع . وكان « وين » يسجل الجانب الاكبر مما يقرأون على اسطوانات بواسطة آلة تسجيل صغيرة ليتمكن من استعادة كلماتها فيما بعد .

وفي حجرات الدراسة ، كان « وين » يسجل ملاحظاته بواسطة جهاز خاص يدعى « لوح بريل » مزود « بحروف هجائية » يقرؤها العميان باللمس باصابعهم . وهذه المذكرات ، بالاضافة الى الاسطوانات والكتب المعدة خصيصا للعميان ، مكنت « وين » من متابعة دروسه مع زملاء صفه .

اما « زميل » وين في الغرفة فهو كلبته « وعينه المبصرة » دوتي . وقد دربت «دوتي» على قيادة سيدها وارشاده الى المكان الذي يقصده . ويدرب الوف من هذه الكلاب في الولايات المتحدة على مساعدة العميان ، فيلبسونها اقنعة واسرجة خاصة ، ويعدونها لحماية اسيادها ومساعدتهم .

وقد كانت دوتي « طالبة » مع وين في مدرسة تدريب الكلاب في موريستاون بنيو جرزي عام ١٩٥٤ ، وهي اليوم «زميلته» في جامعة كولومبيا . ويقول وين في ذلك :

« انها طالبة هادئة جدا ، ولعلها هي الوحيدة التي تنام خلال المحاضرات وتنجو من العقاب ! »

قـالـوا في « الاديـب »

●

نواصل فيما يلي نشر بعض ما قالته الزميلات في الاديب شاكرين عطف الاخوان ومحبتهم راجين ان تبقى الاديب دائما عند حسن ظنهم بها :

* * *

قالت جريدة النهار الغراء التي تصدر في بيروت :

يتساءل الناس بدهشة ممزوجة بالرضى : متى تكف « الاديب » عن الصدور؟ ذلك ان هذه المجلة تخطت عامها الخامس عشر بروح العزيمة ، على الرغم مما اعترض طريقها محاولا الفت في عضدها ، وتاريخها شاهد على عراكها الطويل مع قوى الهدم ، ومن هذه القوى ما شب على يدي صاحب«الاديب» واكل من بيته ...

وها هي « الاديب » في عامها السادس عشر، في نهاية عامها السادس عشر ، تستمر في مشيتها الرزينة ونهجها المعروف مدللة على ان اقوى قوة شر في الوجود تتحطم عند العزيمة ، وحين تكون هذه العزيمة من روح الكلمة ، تمحي ظلال الشرور امام ضياء الكلمة .

●

وقالت جريدة برازيل لبنان الغراء التي تصدر في سان باولو بالبرازيل :

طوت مجلة الاديب الراقية التي تصدر في العاصمة اللبنانية عامها الخامس عشر ودخلت في السادس عشر وهي كما يعهدها جمهور قرائها مثابرة على تادية رسالتها الادبية الثقافية القومية بامانة واخلاص وترفع مما اكسبها مكانة عالية في عالم الصحافة فاصبحت تعد من ارقى المجلات في العالم العربي كله بمقالاتها الادبية الطريفة وابحاثها العلمية ومواضيعها الاجتماعية الاخلاقية العالية وروائعها الشعرية وابتكاراتها القصصية التي يدبجها نخبة من كبار الكتاب والمنشئين المجددين

ونحن اذ نسأل للزميلة العزيزة اطراد التقدم والازدهار نقدم احر تهانئنا الى صاحبها ورئيس تحريرها الاديب الالمعي الاستاذ البير اديب المعدود حالا من اكبر العاملين في حقل الادب والصحافة .

●

وقالت مجلة الحج الغراء التي تصدر في مكة المكرمة :

دخلت مجلة الاديب البيروتية الغراء في سنتها السادسة عشرة ابتداء من شهر يناير ١٩٥٧ وقد اصدرت لهذه المناسبة عددها الاول لشهر يناير في اكثر من ١٠٠ صفحة مشتملا على اطرف الموضوعات في الادب والنقد والقصة والشعر .. لمشاهير كتاب العالم العربي وشعرائه .. فجاء عددا ممتازا على عهد قراء الاديب في سائر انحاء البلاد العربية بمجلتهم الادبية الراقية فنهنىء الزميل المجاهد الاستاذ البير اديب صاحب الاديب الاغر بما حازته الاديب من مكانة مرموقة ونرجو لها المزيد من التوفيق .

●

وقالت جريدة السنابل الغراء التي تصدر في باريس :

بلغت مجلة « الاديب » عامها الخامس عشر وها هي تستقبل في مطلع هذا الشهر عامها السادس عشر. ومجلة الاديب لبنانية تصدر عن لبنان . واننا نقطع جازمين بان احدا في لبنان من المسئولين لم يحفل حتى الآن بهذه المجلة ، بل نكاد نقول قاطعين ايضا : بان المسئولين ، كبارا ومتوسطين ، ما حفلوا يوما بهذه المجلة الكبيرة الا في ايام سلبيتهم او بتعبير اصح الا في الفترة التي كانوا عاطلين عن كرسي الحكم .. وما اكثر ما كانوا يترددون على دار الاديب في ايام « محنهم » ...

بيد ان لبنان اذا كان لم يحفل بمجلة الاديب العربية فدنيا العروبة وعالم المهجر يقدر في هذه المجلة روح راعيها ويسجل له هذا الجلد وذاك الصبر على المكاره والمتاعب للصمود بمجلته الحبيبة الى قلب كل قارىء .

ولم يكن لبنان عاقا في شيء كعقوقه بحق الاديب وبحق صاحبها البير اديب الذي صمد في وجه الاعاصير وارتفع عن سفاسف المؤامرات التي حيكت فوقه وتحته للنيل من عزيمته وحتى من كرامته ... فالاديب ستبقى مجلة الاديب في دمشق والقاهرة وبغداد ومكة وباريس وتطوان ونيويورك ودكار وموسكو المجلة الادبية الفكرية التي تحمل مشعل الثقافة العربية الحقة الا في ... بيروت مسقط رأسها : فهنيئا للبنان ..!

أنباء العالم في شهر

٢١ يوليو ١٩٧٥ – انعقد مجلس الامة المصري وخطب الرئيس جمال عبد الناصر فاستعرض اعمال الثورة منذ قيامها ودعا الى الاتحاد وعدم الانحياز واعلن استعداد مصر لحماية الدول العربية وقال ان القومية العربية هي امضى اسلحتنا في الدفاع عن وطننا .

٢٢ – اعلن سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية ان سلطان مسقط طلب تدخل القوات البريطانية ضد الثوار وان الحكومة قررت تلبية طلبه .

– اذاعت الصحف البريطانية ان القبائل الثائرة في عمان قد احتلت نزوى والفرق والابرى وان الحامية التي يقودها البريطانيون في الابرى قد ابيدت وان الثوار مجهزون باسلحة امريكية .

– الغت الحكومة السورية الاحكام العرفية باستثناء قضائي القنيطرة والزوية لقربهما من الحدود الاسرائيلية .

– ابلغت مصر هيئة الامم المتحدة تعهدها بقبول الالتزام باي قرار تتخذه محكمة العدل الدولية في اي نزاع على الملاحة في قناة السويس .

٢٣ – القت الطائرات البريطانية المناشير باسم سلطان مسقط وعمان على المنطقة التي يسيطر عليها رجال الامام غالب طالبة من السكان اخلاء المنطقة خلال ٤٨ ساعة .

٢٤ – وصل الى موسكو وفد سوري برئاسة خالد العظم وزير الدفاع ومن اعضائه اللواء توفيق نظام الدين رئيس الاركان .

– اخذت الطائرات النفاثة البريطانية التي تطلق الصواريخ تضرب معاقل الثوار في سلطنة مسقط وعمان .

٢٥ – قررت الجمعية التأسيسية الوطنية في تونس الغاء حكم الباي واقامة نظام حكم جمهوري رئاسي وانتخب الحبيب ابو رقيبة رئيسا للجمهورية التونسية وحل محل الباي محمد الامين الاول .

– طلب الامام غالب بن علي الى الجامعة العربية مساعدته في قتاله لتحرير عمان .

– صدر بلاغ سعودي اثيوبي مشترك على اثر انتهاء زيارة الملك سعود لاثيوبيا ذكر ان العاهلين وافقا على اقامة تعاون اوثق بين بلديهما في الميدانين الاقتصادي والتجاري كما تبادلا وجهات النظر بالشؤون الدولية وقضايا الشرق الاوسط . .

٢٦ – قبل الملك سعود الاعتذار الذي بعثت به الحكومة السورية اخيرا وعاد السفير السعودي الى دمشق .

٢٧ – اطلق روميرو فاسكيز سانشيز احد حراس القصر الجمهوري الرصاص على رئيس جمهورية غواتيمالا كارلوس كاستللو ارماس فقتله .

– جرت في الاسكندرية مناورات للاسطول المصري رفع خلالها الرئيس عبد الناصر العلم المصري على الغواصات الثلاث التي اشترتها مصر من روسيا .

٢٨ – بدات في عمان محاكمة ٢١ ضابطا ومدني واحد بتهمة محاولة الاعتداء على الملك حسين وتغيير دستور البلاد بالعنف .

٢٩ – وصل جون فوستر دالس ناظر الخارجية الامريكية الى لندن واعلن سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية انه سيبحث معه الثورة في سلطنة عمان .

– صدر في بون بيان مشترك جاء فيه ان بريطانيا وفرنسا وامريكا والمانيا الغربية مستعدة للبحث في توحيد المانيا وعقد اتفاق للامن الاوروبي مع الاتحاد السوفياتي في اي وقت يتوفر فيه فرص حقيقية لاحراز التقدم .

٣٠ – قامت الطائرات البريطانية بعدة غارات على منطقة نزوة .

٣١ – قطعت المفاوضات التي تجري على مستوى عال بين الاتحاد السوفياتي والمانيا الغربية في موسكو بسبب مشكلة ترحيل ٨٠ الف الماني تصر حكومة بون على انهم ما زالوا محتجزين ضد رغبتهم في الاتحاد السوفياتي

– اصدر البيت الابيض بيانا عن عزمه على اعادة الممتلكات الالمانية المحتجزة خلال الحرب العالمية الاخيرة الى اصحابها.

– تسلم لويس ارثور غوانزاليس لوبيز رئاسة جمهورية غواتيمالا وصرح بانه سيمشي على سياسة سلفه في محاربة الشيوعية .

اول اغسطس ١٩٥٧ – وصل الى عمان حسين سهروردي رئيس وزراء الباكستان في زيارة رسمية للاردن يجري خلالها محادثات

٢ – قدمت الدول الغربية مشروعها لمراقبة التسلح من اجل الحؤول دون وقوع هجوم مفاجيء من اي من المعسكرين العالميين .

– استولى الرئيس باتيستا على جميع السلطات العسكرية والمدنية في جمهورية كوبا على اثر استفحال الثورة في البلاد .

٣ – تجري محادثات في رومانيا بين خروشوف الامين العام للحزب الشيوعي السوفياتي والماريشال تيتو رئيس الدولة اليوغوسلافية وصرح الزعيمان ان العلاقات بين البلدين هي على اساس المساواة

٥ – وجهت الجامعة العربية الدعوة لعقد اجتماع لبحث الحالة في سلطنة مسقط وعمان

٦ – وقع الاتحاد السوفياتي وسوريا بيانا مشتركا على اثر انتهاء المحادثات التي جرت في موسكو والتي عقدت فيها اتفاقات بين البدين ستقدم روسيا بموجبها اسلحة لسوريا وستمدها بمساعدات اقتصادية .

– تجري معركة ضارية في جبال بوسعدى بالجزائر بين الوطنيين والقوات الفرنسية .

٧ – عاد الى دمشق السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية قادما من سويسرا

٨ – وصل نيكيتا خروشوف على راس وفد سوفياتي الى المانيا الشرقية وفي خطاب له في البرلمان قال ان حربا حديثة تؤدي الى فناء مناطق كثيفة بالسكان . ان هذه القوة الهدامة يجب ان تظل في اذهان رجال الدولة في بريطانيا وفرنسا وغيرهما من المناطق المعرضة للاسلحة الهيدروجينية وعلى رجال الدولة في امريكا ان يفكروا بذلك حيث التطورات الصاروخية سريعة جدا

٩ – صرح مسؤول بوزارة الخارجية البريطانية ، ان ست شحنات او سبعا من الاسلحة السوفياتية قد ارسلت الى اليمن وهي تشتمل على بعض الطائرات وان في اليمن ٥٠ مدربا وفنيا من السوفيات .

١٠ – لاقت قوات سلطان عمان والقوات البريطانية مقاومة شديدة في منطقة القتال القريبة من نزوى واضطرتها قوات الامام غالب الى الانسحاب .

١٢ – قام جنود سلطان عمان بمعونة البريطانيين بهجوم عنيف واستولوا على نزوى مقر قيادة قوات الامام غالب .

– اذاع راديو دمشق خبر اكتشاف مؤامرة امريكية انقلابية في سورية وقد اتهم الزعيم اديب الشيشكلي والعقيد ابراهيم الحسيني بالمساهمة فيها .

١٣ – طلبت الحكومة السورية من السفارة الامريكية في دمشق اخراج ثلاثة من كبار موظفي السفارة في مهلة ٢٤ ساعة لاتهامهم بالاشتراك في المؤامرة .

– قدم الاستاذ سامي الصلح رئيس الحكومة اللبنانية استقالته .

مطبعة الشراع
بيروت – الحازمية